

# الغنازل



الشمائل

# المناهل

تصدرها

وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية  
الرباط - المغرب



صفر الحغير 1395  
مارس 1975

العدد الثاني  
السنة الثانية





## تحفة المناهل لغير العرش

والمناهل "أفلة في حلة من السناء والبهاء، ريانة متدفقة بعصارة تاريخ  
أبحار عريقة خصيبة تمتد زهاء ثلاثة قرون ونصف، كلها مجلدة بمهونة موسومة  
بالبطولات والفتومات، يبعدها أن ترفع آيات :

وهي مقدرة مدركة بابتهاج، جميل أياديه، وصادق حذبه، وعميق رعايته،  
معترزة فخورة بما خلقه جلالة الله عليهما من كريم العبارات، ونبيل الشاعر: حلة ملكية  
حسنية فضفاضة فاخرة، تزينت بحامي وأسرته وكتابها وقراءها في عدرها  
الأول الحسن.

واذ ترفع "المناهل" هذه العواطف الجياشة إلى مقامه العالي، تفرع  
إلى الله القدير، أن ينعم جلالة الله بهذا العيد السعيد، هو وأسرته الكريمة، وشعبه  
الوفى، وأن يقر عينيه بسمو ولي العهد المحبوب سيدي محمد، وصنوه مولاي شيد،  
ويسد خطاه، ويقوى عزيمته في نضاله الحاسم البطولي، لاسترجاع أراضينا  
المغتصبة، واستكمال وحدة ترابنا، وأن يبقية لهذا الشعب قائدًا ملهمًا حكيمًا تحفه  
الرعاية الإلهية .



## افتتاحية\*

### تجديد اللغة العربية وترصايب الجلالة

- الاحتفال بالذكرى الألفية للشاعر ابن زيدون
- أحداث الجمع العالمي بالمغرب لبحوث الشريعة

محمد باحنيني

وزير الدولة

المكلف بالشؤون الثقافية

لو كان لقاؤنا هذا يوم حط الرحال ، وأراح الركاب ، فوق تراب هذه الديار ، اخواننا العرب الوافدون علينا من المشرق العزيز ، أو يوم اجتمعوا لافتتاح أعمالهم لنطقت كلمتي هذه جاهرة بالترحيب ، صادعة بشكر الوفادة ، وتمجيد القصد منها والغاية ، ولكنهم حلوا بمغرب وطنهم ، فتلقاهم بصادق المشاعر وحفى الترحاب وحياهم باسم المغرب ملكه وشعبه ، تحية

---

(\*) نص الخطاب الذي القاه معالي وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية في الحفل التكريمي الذي اقامه على شرف اعضاء اللجنة الاستشارية للمكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي .

القريب لقريبه والشقيق لشقيقه ، اخوان لهم اتصلت بين الزائر منهم والمزور ، أسباب التعارف والتعاطف ، والمودة والوداء ،

فلم تبق لهذه الكلمة التي أجشمتكم سماعها وقد أزف وقت الوداع ، وأجم الرحيل ، الا أن تأسف للفراق ، وتأسى على تجرم أيام الزيارة والمقام ، وتتجه الى الله سائلة للوافدين الكرام ، سلامة العودة والاياب ، ولجميع الاخوة الاثقاء الذين انتظمهم سعى جامع ، وعمل نافع ، لقاء جديدا غير بعيد واتصالا مديدا تتلاحق مواعده وتتعاقب على الايام فوائده وعوائده .

على أن حظى وقد ترك لى من هذا الامر ما ترك ، ليس بالحظ الذى أعده طفيفا مبخوسا ، ولا نصيبى من حلول اخواننا بالمغرب ، بالنصيب الذى أراه مخسورا موكوسا فقد شاءت الاقدار أن تتوثق الصلات بينى وبين فطاحل المؤتمرين وأعلامهم ، بعد أن أشرفت أعمالهم على الانتهاء ، وكادت نفوسهم أن تقىء الى الدعة ، وقاربت أن تستريح الى ما أوضعوا فى سبيله من جميل الاهداف والغايات .

وها هم أولاء ، وقد أفرخ روعهم ، وخلا ذرعهم ، واطمأن بهم يشرفون ويزينون هذا الاحتفاء ، بالطلعة المرموقة ،

والحضرة المشهودة ، ليس لعباد عليهم امارة ، قد استراحوا  
بعض الراحة من عناء ما أدهم من أعباء المطارحة والمناظرة ،  
ونجوا الى حين من مكاره المطالبة والمتابعة ، فلنا منهم لحظات  
الهشاشة والطلاقة وساعة من ساعات الخلو والفراغ ،  
والاسترواح والانشراح ، وهو حظ خالص ، وسعد شاخص ،  
وبرهة لا يجود بأمثالها الزمان ، الا في الاوان بعد الاوان وغب  
الفترات المتواصلة والاحقاب المتباعدة .



كثيرا ما يساق المتقلدون لاعباء الدولة ، القائمون بأمر من  
أمور السلطان في مناسبات مختلفة ، الى الادلاء راغبين أو غير  
راغبين ، برأى من الآراء ، والى الافضاء راضين أو كارهين ،  
بوجه من وجوه الاخذ والرد فيما هو معهود اليهم ، معقود  
باجتهادهم ، مفروض على الاداة التى يقاسمونها تكاليف الحكم ،  
ويشاطرونها تبعات المزاولة والتصرف ، واذا كان سرورى  
عظيما بهذه المناسبة التى تتيح لنا فرصة الاجتماع مرة أخرى  
باخوان لنا جلة أكابر ، أصفياء أعزاء تفضلوا بالزيارة ، وتكرموا  
بصلة رحم ماسة ، فليس لى من رأى أفضى اليهم به ، يعزب  
عما هم اليه منقطعون ويند عن دائرة ما هم فيه متقلبون ملء



قلوبهم وعقولهم ، ذلك أنهم على التربية دائبون عاكفون ، وعلى اتساع رحاب الثقافة قائمون ، وللعلوم باسطون وناشرون ، ليس لهم عن المعرفة بما ينداح له مدلول هذه الكلمة ، من أصناف وأنماط محيد ولا محيص وليس لهم عن اللغة العربية واثرائها وتثبيت أركانها وارساخ بنيانها مصرف ولا متحول ، قد أخلصوا الى العرفان جهد اخلاصهم وعبأوا لصالح العلم كتائب أذهانهم الثاقبة ، وبصائرهم النافذة فما أكثر ما كسبوا من رهان ، وأوفر ما أصابوا من خصل ، وما أغلى ما نثروه بين الناس من فرائد وأنفس ما جادوا به من عطاء وأجزلوا من فوائد .

فأى مجال بعد هذا يستطيع أن يلجّه الوزير المكلف بالشؤون الثقافية في هذه البلاد ، دون أن تسام بضاعته ببرد واقصاء وتمنى بصد وهجران ، ودون أن يسدى اليه النصح والارشاد أن ينتجع من بلاد الله لتمره أرضا يشط المزار بينها وبين أرض هجر ، وما مثله وقد أوصدت دونه الابواب وسدت عليه المسالك وعميت المذاهب الا كمثّل من وصفه الشاعر بقوله :  
كان بلاد الله وهى عريضة على الخائف المطلوب كفة حابل

ومع هذا ، فان المنافذ لم تضرب على جميعها الاسداد ، فقد بقى من الوجوه ما هو ميسر للخلاص مبذول للنجاة ، فاذا

كان الابتكار قد أشتط وعز ، وانخذلت المفاجأة وقل النصير من الجديد والطريف مما يتصل بما تعنى به المجامع والجامعات ، والمنظمات الثقافية والمؤسسات فليس هناك أيسر من الاعتصام بما يفيد التذكير ، ويدل على الاسترسال وينم عن المواظبة ولا أسلم من الاستواء على جودى الطريق المرسوم ، والخطبة التى عجمت عودها الايام وجلا محاسنها التجريب والاختبار .

\* \* \*

ان هذا البلد الذى تألق فيه نور الاسلام ولما يمض على استتباب الدعوة المحمدية الغراء واستحكام أمر المسلمين وارتقاع شأنهم بين الامم والشعوب ، الا حقبة وجيزة ، قد أقبل على لغة القرآن اقبال المعتز بايمانه ، الشغوف بأسرار الذكر الحكيم ، واللسان العربى المبين ، وما لبث أن استفاضت اللغة العربية فى أرجائه ، وانتشر بيانها فى سهوله وانجاده ، وعمل أبنائه بدافع من سلطان الدين والكتاب فى نفوسهم ، على اعلاء كلمة الله وابتناء المجد ، وتيسير الاسباب لاشراق حضارة أخذ العالم منذ حين ، يشيد بثرائها ، ويلهج ببهائها وروائها ، وخلت القرون والعصور وتوالت السراء والضراء واختلفت الظروف والملابسات وابتلى العالم الاسلامى بشر الادواء والعاهات وسيم التمزيق والتفريق ، وحيل بين الاخ وأخيه وأقصى القريب عن قريبيه ،

وحاول الشر النفاذ الى قرار نفسه والتسرب الى مكن القوة فيه وجد في تقويض دعائم كيانه ومصادرة ذخائر وجدانه

ولكن الله لطيف بعباده حفى بأوليائه ، ما تمسكوا بحبله واعتصموا بهديه فدلهم على طرق الانتفاض ، وأضرهم في نفوسهم لهب الحفاظ والذيات ، وأكرمهم بالانعتاق والانطلاق بعد كرب السدود والقيود ، وطرح الخمول والركود ، وهامهم يلتمسون أسباب العز من جديد ، وينشدون بالعزم الوطيد ، اجتماع الكلمة والتئام الشمل رائدهم الرغبة في الاتحاد وهاديهم حب الوئام والانسجام .

وان المغرب الذى يشاطر اشقاءه اصناف عنايتهم بمختلف الشؤون والوان حرصهم على ما يؤمن المسيرة المظفرة لجميع الشعوب التى تدين بالاسلام ليولى اللغة العربية ، من دائب اهتمامه وشامل رعايته ، ما يؤمل معها اطراد انتشارها واتصال ازدهارها فهى لغته التى لا ييغى بها بديلا ، ولا يرتضى عنها تحريفا ولا تحويلا . وستظل كما كانت بالامس البعيد والقريب قوام حياته الروحية والفكرية ، وعماد كيانه الاصح الاوثق على مر العصور والازمان .

(\*) بل وترح

ولئن دل على شيء وجود اشقائنا العرب بين أهليهم وذويهم في هذه البلاد فانما يدل على تظافر جهود أبناء العروبة كافة ، وتآزر مساعيهم لجعل لغة آبائهم واجدادهم لغة لا تعطل من فضل ولا تعوزها سمة من سمات المثالة والكمال .

وتمجيذا للغة العربية وتكريما لها كأداة وسعت العلوم والفنون ، على اختلافها ، ورحبت بالاحاسيس والافكار على غزارتها ودقتها وانشعابها ، قرر صاحب الجلالة الحسن الثانى الملك الاديب والقائد الحكيم ، أن يخلد المغرب خلال هذه السنة ذكرى مرور ألف عام على مولد الشاعر الاندلسى الكبير أبى الوليد أحمد ابن زيدون الذى أغنى اللغة العربية وأثراها بالمرهف من الشعور والبديع من التعبير .

وسيستمر المغرب ان شاء الله ، سائرا على هذا النهج وعلى غيره من أسباب التقريب والتعريف ، والتمجيد والتخليد، للمغة القرآن فيما بقى صامدا شامخا من آثار علماء المسلمين وشعرائهم وأدبائهم ، وتمادى متألقا مشرقا من آيات عبقريتهم ، وغرر بيانهم .

وليس هذا الجانب بالوجه الوحيد الذى يستأثر باهتمام المغرب ورعايته ، وينفرد برغائبه ومطامحه ، ذلك أن بلادنا التى

تحرص شديد الحرص على أن تتحد المصطلحات ، وتتفق المفاهيم لتحس بالحاجة احساسا ملحاحا الى احتكام الاقطار الاسلامية الى احكام مماثلة وشرائع متوافقة وقوانين متجانسة ، واذا كان الشعور بهذه الحاجة شعورا مشاعا بين المغرب وغيره من الاقطار الاسلامية فان صاحب الجلالة الحسن الثانى مد الله فى عمره أصدر أوامره بأن تلبى الرغبة ، وتقضى الحاجة وذلك باحداث مجمع بالمغرب ، يلتقى فيه علماء الشريعة الاسلامية على اختلاف مذاهبهم ، واصحاب المعرفة والاختصاص ، من رجال القوانين العصرية والاحكام الوضعية ، للتباحث والتدارس والافضاء بالجهود المتصلة المتلاحقة ، الى اتخاذ قاعدة واحدة لا تختلف فيها الدول الاسلامية ولا تتباين معها الشرائع والمدونات .

\* \* \*

تلك كانت وسيلتى الى الخلاص وسبيلى الى النجاة فمعذرة اليكم من الاسهاب وشكرا لكم على التكرم بالانصات .  
وفق الله الامة العربية الى تبوأ ما تتوق اليه من أسنى المقامات ، وأرفع الدرجات ، وأثاب الله نضال المخلصين وجهاد المجاهدين ، بالفوز المبين والنصر المكين .  
**محمد باحنيني**



## للمحمد بن شعيب الجزنائي

عبد الله شكنون

هو أبو العباس أحمد بن محمد بن شعيب ، وبه عرف ، التازي دارا ، الفاسي قرارا ، الجزنائي اصلا ونجارا ، نسبة الى قبيلة جزناية المعروفة من قبائل الريف ، وهو بالجيم المصرية ، ولذلك تكتب احيانا بالكاف والكاتب الشاعر الفيلسوف الطبيب الكيماوي المجرب :

عرف به ابن الاحمر في كتابيه نثر الجمان ونثر فرائد الجمان ، وابن الخطيب في كتاب الاحاطة وغيرهما وذكره ابن خلدون في تاريخه وفي كتاب التعريف ، واثني عليه كثيرا ، وتنقل ترجمة ابن الاحمر له في كتاب نثر فرائد الجمان اذ كانت اوسع من غيرها ونعقب عليها بما يقتضيه الحال .

قال ابن الأحمر : ( سابق ركض في ميدان الشعر فجلى ، وما هم  
طلع في سماء الاجادة فتجلى ، له في الطب قدم في صحته وعلته رسخت ،  
وفي احكام النجوم ءاية باعجازها سور ((1)) الكلدانيين نسخت ، وبرع في  
الحساب واحكامه ، واصاب في الفقه واحكامه ، ولديه من الاصول حظ  
وافر ، كما وجه النحو له سافر ، والانشاء أجرى في لوح الاحسان قلمه ،  
واطلع بين جبال تنميقة علمه ، ومدينة تازا مسقط رأسه ، ومتوقد نبراسه ،  
وطرا على فاس فحمدت مسراه ، وقالت ما أجل سراه ، وصميم منتسبه  
في البربر جزناية ، حيث الاعتزال عمت به الجناية ، ولو كان من الاعراب  
لشمل في شعرائها ، وحمل راية الكلام في امرائها . . والعجب من بريري  
الاصل يدرك مدارك الاعراب ، ويأتي من الفصاحة العربية بالاعراب » .

### عبقريته

اول دلالة هذا الكلام ان المترجم كان ذا عبقرية محيطة بجملة  
من المعارف والفنون تجعل منه شخصية علمية وأدبية مرموقة ، وقلما  
اجتمع العلم والادب بمعناهما الكامل الا للنوابغ الافئاذ واهل الكفايات  
النادرة . . وكان من واجب ابن الأحمر ان يذكر لنا اين درس ، وممن اخذ  
من الشيوخ والاساتيد ، فان هذه الحصيلة الوافرة من العلوم لا تتأتى  
بدون سعي واجتهاد وتلقين وتفهم ، وقد اشار الى شيء من ذلك لسان  
الدين في الاحاطة حين قال :

### شيوخه

(( قرا في بلده فاس على كثير من شيوخها كالاستاذ ابي عبد  
الله بن أجروم ، والاستاذ ابي عبد الله بن رشيد ، ووصل الى تونس  
فاخذ بها الطب والهيئة على الشيخ رحلة وقته في تلك الفنون يعقوب بن  
الدراس )) .

فهذا النص يلقي بعض الضوء على بدايته ومكان دراسته وان لم  
يستوعب الكلام في ذلك كما يجب . ثم ان قوله قرا في بلده فاس لا يصح  
مع ما ذكره ابن الأحمر من انه ولد بتازا وفيها نشأ وانه طارئ على فاس  
وليس من اهلها ، فالغالب ان قول ابن الخطيب في بلده محرف عن بلدة  
بالتاء ، وان كان وصف فاس ببلدة غريبا . ويشير ابن الأحمر الى قبيلة

المرجم جزناية ويصمها بجنابة الاعتزال ، وهو يطلق هذا الوصف بمعنى عام ، اذ الذي نعلم من حال هذه القبيلة هي انها كانت ما تزال متمسكة ببعض تعاليم المهدي بن تومرت التي بثها في القبائل البربرية ، وقد كان منها بعض عقائد الشيعة ، والشيعة يميلون الى الاعتزال ، فلعله انما وصفها به لذلك .

### بدعة جزناية

وفي المعيار سؤال مرفوع الى فقيه تازا ومفتيها الفقيه ابي عبد الله محمد بن عبد المؤمن رحمه الله عن طائفة جزناية من اخماس تازا هذا نصه : (الحمد لله ، سيدي رضي الله عنكم ، جوابكم في قوم فارقوا الجماعة ويكفرون المسلمين ولا ياكلون ذبائحهم ولا يصلون خلفهم ويقولون من لم يؤمن بالمهدي بن تومرت فهو كافر ويفضلونه على ابي بكر وعمر رضي الله عنهما ويقولون من لم يعلم اثني عشر بابا من التوحيد فهو كافر ، وينقضون الوضوء بلمس ذوات المحارم ، ويقولون من حلق ما تحست اللحية فهو مجوسي ، بينوا لنا الرد عليهم في ذلك وما يلزمهم والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ) . وقد اجاب الفقيه المذكور عن جميع فصول السؤال بما تقتضيه ادلة الشرع ، وما يهمننا هنا هو النحلة التي كانت عليها قبيلة جزناية والتي نعتها ابن الاحمر بالاعتزال وما هي منه بالمعنى الدقيق للكلمة على كل ما نظن ان صاحبنا ابن شعيب كان من المنتمين لهذا المذهب الزائغ ، ولا نعتقد ان في جزناية اليوم من يرفع به راسا ، فقد قضى علماؤنا رضي الله عنهم على امثال هذه الانحرافات في غير ما قبيلة وبلد ، ودلوا الناس على الجادة ونوروهم بالعلم وهدى السنة والكتاب ، فلم يبق في ناحية من نواحي المغرب من يعتقد شيئا من هذه المذاهب والآراء الباطلة .

واخيرا يتعجب ابن الاحمر من نبوغ المترجم في اللغة العربية والادب ومزاحمته بالمتكبر لشعراء العرب وامراء الكلام فيهم ، مع انه بربري الاصل ، وهو تعجب في غير محله ، فالناس لا تتفاضل بالاصول وانما تتفاضل بالجد والعمل ، فكم من عربي اصيل لا يحسن تركيب جملة عربية ولا يعرف من قواعد لغته مسألة واحدة ، وعلى العكس كم من عجمي الاصل برع في الادب واللغة والشعر بحيث فاق الكثير من العرب

في ذلك ، وناهيك بان الكتاب الاول فى نحو العربية هو لعجمي وليس لعربي ، والشعراء الذين يرجع أصلهم الى غير العرب ولا سيما المولدون لا يحصون ولا يعدون ، وقد المعنا الى هذا المعنى بكلمة مشابهة في ترجمة الشاعر الجراوي فلتنظر هناك .

### تنويه ابن خلدون به

ويؤكد ابن خلدون تنوع كفايات مترجمنا وينوه به اكبر تنويه فيقول في كتاب التعريف عنه : (سرع في اللسان والادب والعلوم العقلية من الفلسفة والتعاليم والطب وغيرها ونظمه السلطان ابو سعيد في جملة الكتاب واجرى عليه رزق الاطباء لتقدمه فيه فكان كاتبه وطبيبه ، وكنا مع السلطان ابي الحسن بعده) .

ونلاحظ بكل اسف ان هذه الناحية العلمية من المترجم قد دخلت في ذمة التاريخ ، فليس بيدنا ما يكشف لنا عنها الا ان نقف على اثر من عايناه فيها ومن اين لنا ذلك ؟

انما الذي نتحققه انه كان فيها قويا متينا بالنسبة لوقته وظرفه طبعا، فالطبيب الذي يخدم السلاطين امثال ابي سعيد وابي الحسن المرينيين لا يكون طبيا مزيفا ولا ممن يتراعى على الصناعة وليس له فيها يد ، وناهيك بشهادة ابن الخطيب له وقد كان يتعاطى شيئا من هذه المهنة ، اذ قال فيه : (من اهل المعرفة بصناعة الطب وتدقيق النظر فيها ، وقد اضاف الى ذلك الاشتغال بالكيماء ، ولها بالطب اكبر علاقة ، ومن قول ابن الخطيب عنه فى هذا الصدد : (وتهتك فى علم الكيماء وخلع عليه العذار فلم يحصل على طائل الا انه كان يتفوه بالوصول ، شئنة المفتونين بها على مدى الدهر)) .

وهذا الكلام وان كان المراد به الكيماء القديمة ، الا انه يفيد تضلعه في هذا العلم بعامة ، وهو مما يدل على رسوخ قدمه في الطب ولا يعنيانا من كلام ابن الخطيب غير هذا القدر ، وما زاد عليه فهو من شغشغته المعروفة . وكنا قوله بعد ان ذكر نبوغه في الادب : (والغالب عليه العلوم



الفلسفية وقد مقت لذلك) فليت شعري من الذي مقته ، وقد كان بحيث يتنافس فيه الملوك ويخدم في خاصة رجال البلاط كاتبا وطيبا ، ولم يستغن عنه ابو الحسن حتى صحبه في حركته الى افريقية ، وهلك بمعيته هناك .

### رد كلام ابن الخطيب فيه

على ان العلامة ابن مرزوق يشير الى نفرة السلطان ابي الحسن منه ولكنه لا يجعل سبب ذلك اشتغاله بالعلم والفلسفة ، وهو يبرئه مما عسى ان يظن به لذلك . وهذا كلامه في كتابه المسند الصحيح الحسن : (وكان مولانا رضي الله عنه ينفر منه لموجب الله اعلم بحقيقته ، ولا يبدو على ظاهره ما يدل على طعن في طريقته في المعتقد . ولقد خبرته وذاكرته وباحثته - علم الله غير مرة - فما اطلعت والله منه الا على ما يرضي) فبان بهذا ان احدا لم يمت ابن شعيب لتزعته الفلسفية واشتغاله الخدمة . والسلطان نفسه وان كان ينفر عنه لسبب لا نعرفه ، لم يستغن عنه حتى آخر نفس ، وحسبه ذلك عزا وشرفا .

والمقصود ان لا يتقول متقول على عصر التقدم في الحضارة والعرفان بالمغرب ، وهو عصر بني مرين ، فينسب اليه استنادا الى قول ابن الخطيب ان الاشتغال بالعلم والفلسفة فيه كان من اسباب المقوت ، ويسجل عار ذلك على رجال الدولة والشعب وربما نسبه الى التعصب الديني ، مع ان المعروف في التاريخ ان هذا العصر كان من اكثر العصور تسامحا ، ولذلك تقدمت فيه العلوم وكثر المشتغلون بها بين المغاربة انفسهم بشكل لم يسبق له مثيل ولم ينقل عنه ولا حادث صغير في باب الاضطهاد الفكري من الدولة او من الشعب ، لا ظاهرا ولا مستورا بستر من سياسة او دين كما وقع في غيره والغريب اننا نجد ابن الخطيب في ربحانة الكتاب يحطيه تحطية منصفة فلا ينزهه بشيء من هذه القالة السود ، ويتأسف على كونه لم يلقه حين قدومه لقرناطة ، ودونك قوله بالنص الكامل :

مورد ترده الهيم فتروى وتهوى اليه النفوس فتجد عنده ما تهوى



وصدر لا يخفى مكانه ، وذخر اضاعه زمانه ، حاز من كل فن نصيا ،  
ورمى الى كل غرض سهما مصيبا ، واستمطر كل عارض وديعة ، من  
العلوم الحديثة والقديمة . فبرع في فنونها وبهر ، وحقق الطب منها ومهر ،  
وبلغ في صنعة النبات ، درجة الاثبات ، ورضي بالانتماء الى العلم  
والاكتساب . عن الاكتساب . فما اهمه الدهر بالوانه ، ولا ثناه عن شأنه .  
وعانى في حركته وانتقاله ، مشقة اعتقاله ، وخلص خلوص الحسام بعد  
صقاله ، وهو الان من كتاب ملوك المغرب تطوى عليه الخناصر اذا عدوا ،  
وتذخر له قصب السبق اذا حضروا في المحاضرة واشتدوا . . ورد علي  
الحضرة (2) في خدمة لبعض الولاة ، فرايته رؤية لم تنهض الى المحاورة  
والكلام ، والمخاطبة بما يجب لمثله من الاعلام ، لخمود هذا الباعث عندي  
في العهد المتقدم ، ولم البث ان عضضت يد المتندم ، أسفا على ما ضاع من  
لقائه ، واجتلاء الفوائد من تلقائه ، وله شعر تهوى الشعري ان تتخذه  
شيفا ، ونثر تود النثرة لو تتحلى به وان شمخت انفا .

ففي هذه النبذة من كلام ابن الخطيب انصاف كبير للرجل الذي  
لمزه في كلامه السابق ، واعتراف بسبقه وفضله في الوقت الذي كان  
قائله لم ينتبه بعد الى العناية بهذه الشؤون حتى انه لم يسعه الا التأسف  
على ما فاتته من مداخلته والاستفادة منه .

ومما نستخلصه من هذه النبذة ان المترجم امتحن بالاعتقال ، وهو  
امر لم يذكره احد ممن وقفنا على كلامه فيه ، وانه لما قدم الى غرناطة  
كان كاتباً لاحد الولاة ، فذلك يعني انه سبق ان عمل كاتباً خصوصياً قبل  
ان يصل الى البلاط الملكي .

### ترفعه عن التكسب بالشعر

والفائدة المهمة التي تحتويها هذه النبذة من كلام ابن الخطيب ،  
ان مترجمنا كان يتحلى بسمة اهل العلم ويرفع عن حشر نفسه في زمرة  
الادباء المتكسبين بادبهم ، ولذلك لا نرى له امداحا في رجال الدولة ،  
وناهيك بها .

## رئاسته لديوان الكتاب

واذا كانت الناحية العلمية منه قد عميت علينا أنباؤها ، فالناحية الادبية يمكن ان نتتبع آثارها ، ونستخرج اخبارها من بعض عبارات كبار الادباء فيه ، وبعض اقواله الواصلة اليها برغم قلتها ، فانها تدل على كبر نفسه ، وعلو نفسه ، وما ظنك بمن ترأس ديوان الكتاب في عهد بنى مرين في ايام النخبة الصالحة من ملوكهم ، وقد كانوا محاطين بكبار رجال العلم والادب من اهل الاندلس وافريقية والمغرب ؟ وابن الخطيب على نيله منه في الاحاطة ، لم يستطع ان يتجاهل مكانته الادبية ، فاعترف انه كان مشاركا في الفنون ، وخصوصا في علم الادب حافظا للشعر ذاكرا له ، وان له شعرا رائقا وكتابة حسنة وخطا ظريفا واما في الريحانة فقد وفاه حقه . ولم يملك الا ان يظهر غاية الاعجاب به .

ويقول ابن خلدون في التعريف بعد العبارة السابقة له عن معارف هذا الاديب : وكان له شعر سابق به الفحول من المتقدمين والمتأخرين ، وكانت له الامامة في نقد الشعر والبصر به ، ويكفيها هذا دليلا على ما ننسبه لادبائنا ، والمترجم منهم ، من التفوق على كثير من ادباء الاقطار التي ربما ينكر اهلها الادب على اهل المغرب ، فان شهادة ابن خلدون هذه لفرد من افراد ادباء المغرب لها قيمتها العظيمة ، لا سيما وهو لا يتحفظ في شيء كتحفظه في هذا الباب .

## ادبه وشعره

على انه ما يمنع ان يكون الجزائي اماما في نقد الشعر ، وقد كان يحفظ منه عشرين الف بيت للمحدثين فقط ، كما في الاحاطة ، فلا جرم اننا بازاء اديب كبير ونقادة امام ، وانما حوادث الايام والظروف التي لاقى فيها حتفه بالطاعون العام في تونس مغربا عن اهله وبلده هي التي قصت على آثاره بالضياح ، ولم يبق منها الا ما افلت من التلف برغم انف الدهر .

وهذا مثال من نقده ، تعرف به سلامة ذوقه ، ومتانة أسلوبه ، قال  
أبو القاسم بن رضوان كاتب العلامة بالدولة المرينية ، فيما حكاه عنه ابن  
خلدون في المقدمة :

((ذاكرت يوما صاحبنا أبا العباس بن شعيب كاتب السلطان الميني  
وكان المقدم في البصر باللسان لعده ، فأنشدته مطلع قصيدة ابن النحوي  
ولم انسبها إليه ، وهو هذا :

لم أدر حين وقفت بالاطلال ما الفرق بين قديمها والبالى

فقال لي على البديهة : هذا شعر فقيه . فقلت له ومن أين لك ذلك؟

قال : من قوله ما الفرق ، إذ هي من عبارات الفقهاء وليست من  
أساليب كلام العرب .

ومما يدل على أريحيته الأدبية أنه كان تسرى جارية رومية اسمها  
صبح من أجمل الجواري وأحسنهن ، فأدبها حتى لقنت حظا من العربية  
ونظمت الشعر ، وكان شديد الغرام بها فهلكت أشد ما كان حبّالها وامتداد  
أمل فيها ، فكان بعد وفاتها لا يرى إلا في تأوه دائم وأسف متماد كما  
يقول ابن الخطيب ، ففتحت له هذه الحادثة باب القول العاطفي ، فصدرت  
عنه بدائع في رثاء محبوبته ومناجاتها وصفة محاسنها، تشير بلابل الصدور  
وتهيج أشجان القلوب ، فمن ذلك قوله :

يا قبر صبح حل فيك لهم	جتي أسنى الأمانى
وغدت بعد عيانها	أشهى البقاع إلى العيان
أخشى المنية أنها	تنشي مكانك عن مكاني
كم بين مقبور بفا	س وقابر بالقيروان
وقوله :	

يا صاحب القبر الذي أعلامه	دوست ولكن حبه لم يدرس
---------------------------	-----------------------

ما الياس منك على التصبر حاملي  
 لما ذهبت بكل حسن أصبحت  
 يا صبح ايامي ليال كلها  
 وله فيها ايضا :

يا نازحا في الضمير ما برحا  
 لم تضر الصبر عنك جارحة  
 مستعبر المزن فيك ادمعه  
 ولا ارى البرق عادة مبتسما  
 وما تغني الحمام من طرب  
 داني محل الهوى وان نرحا  
 ولا فؤادي لسوة جناحا  
 يظل يبكيك كلما سفحا  
 بعدك بل زند شوقه قدحا  
 بل يعلن النوح كلما صدحا

وفي هذه الابيات خيال جميل اصفى عليها جوا من الشاعرية التي اشركت الطبيعة ومظاهرها في الاحساس بعواطف الشاعر والتاثر بمواجهه فالسحاب انما تهمني ادمعه بكاء على هذا الحبيب المفارق ، والبرق ولمعانه ليس كما يحسبه غيره من الشعراء ابتساما وتنويرا ، وانما هو اشتعال زند شوقه عند القدح وانبعاث شرارته ، وكذلك الحمام وهديله انما هو نواح على فقد الحبيب لا غناء كما يظن . واذا بلغت الرؤية الشعرية هذا الحد من التطلع والاستشراق الذي وصفه شاعرنا ، فانها تكون قد خرقت الحجب والاستار ونفذت الى آفاق الشاعرية ومجالاتها الا محدودة ومن قوله الذي جارى به الفحول في موضوع النسيب :

اعلمت ما صنع الفراق  
 ووقفت منهم حيث لك  
 سبقت مطاياهم فما  
 اطلقت حمل صدورهم  
 عن ذات عرق اصعدوا  
 غداة جد به الرفاق  
 نظرات والدمع اتساق  
 ابطا بنفسك في السباق  
 البين خطب لا يطاق  
 اتقول دارهم العراق

ما ضرهم وهم المنى  
وتيامنوا عسفان ان  
قالوا تفرقنا غدا  
عمدا راوا قتل العم  
اولى بجسمك ان ير  
اما الفؤاد فمئذهم  
اعتاد حب محلهم  
واما لسالفة الشبا  
ابقت حرارة لوعة  
لا تنطفي وورودها

وقال ايضا :

يا موحشي والبعد دون لقائه  
يدنيك مني الشوق حتى اني  
واحن شوقا للنسيم اذا سرى  
كان اللقاء فكان حظي ناظري  
فابعث خيالك تهده نار الحشا

لو وافقوا بعض الوفاق  
يقفو - المجتمع الرفاق  
فشغلت عن وعد التلاق  
سيد فكان عيشك في نفاق  
ق ودمع عينيك ان يراق  
دعه ودعوى الاشتياق  
فرحيب صدرك عنه ضاق  
ب مضت بايامي الرقاق  
بين الترائب والتراقي  
من ادمعي كاس دهاق

ادعوك عن شحط وان لم تسمع  
لأراك راي العين لولا ادمعي  
بحديثكم واصيخ كالمستطلع  
وسطا الفراق فصار حظي مسمعي  
ان كان يجهل من مقامي موصمي

وهذه القطعة لا تقل عن القطع السابقة في غرابة معانيها وبداة  
صورها ومنزعا الفلسفي فهي مثلها من الشعر الفريد في هذا الباب ومن  
شعره ايضا في النسيب :

دار الهوى نجد وساكنها اقصى امانى النفس من نجد



هل باكر المسمي ساحتها	واستن في قيعانها الجرد
او بات معتل النسيم بها	مستشفيا بالبان والرند
يتلو احاديث الدين هم	قصدي وان جاروا عن القصد
ايام سمر ظلالها وطني	منها وزرق مياهها وردي
ومطارح النظرات في رشا	احوى المدامع اهيف القد
يرنو اليك بعين جازية	قتل المحب بها على عمد
حتى اجد بهم على عجل	ريب الخطوب وعائر الجد
فقدوا فما واييك بعدهم	عيشي شفا الا على الفقد
وغدوا دفيننا قد تضمنه	بطن الثرى وقرارة اللحد
ومشردا من دون رؤيته	قذف النوى وتنوفة البعد
اجرى علي العيش بعدهم	اني جرعت حميمهم وحدي
لا تلحني يا صاح في شجن	اخفيت منه فوق ما ابدي
بالقرب لي سكن يؤوبني	من ذكره شهد على شهد
فرخان قد تركا بمضيعة	زويت عن الرفداء والرفد

وهذه القصيدة مما خاطب به الفقيه العالم ابا جعفر بن رضوان يسأله عن شيء من علم صناعة الكيمياء ، ولم يذكر ابن خلدون منها الا هذا القدر واما ابن الخطيب فقد اقتصر منها على البيت الاول .  
وخاطبه ايضا وقد نشأت بينهما فيما يقول ابن الخطيب صداقة اوجبها القدر المشترك من الولوع بالصنعة المرموزة يتشوق الى جهة كانوا يعطون بها للشيخ فيها ضيعة بخارج مالقة :

رعى الله وادي شبنانة	وتلك الفدايا وتلك الليال
ومسرحنا بين خضر الفصون	وودق المياه وسحر الظلال

ومرتعنا تحت أدواحه  
نشاهد منها كعرض الحسام  
ولله من در حصائمه  
وبلبله في ستور الفصون  
واسماره كيف رقت شذا  
ولله منك ابا جعفر  
تطارحني برموز الكنوز  
فالقط من فيك سحر البيان

وله وهو مليح الاشارة والتلميح :

ايجمع هذا الشمل بعد شتاته  
اما لليالي آية (( عيسوية ))  
وتورد عيني بعد ملح مداامي

ومكرعنا في النмир اللال  
اذا ما انتت فوقه كالحوال  
لال واحسن بها من لال  
كخود لرنم فوق الجبال  
وصح النسيم بها في اعتلال  
عميد الجلال حميد الخصال  
وتسفر لي عن معاني المعال  
مجيبا به عن عويص السؤال

ويوصل هذا الحبل بعد انبتاته  
فتنثر ميت الانسي بعد مماته  
برؤيته ، في عذبه وفراته

وله واستعمل فيه انواعا من البديع : فهو من شعر الصناعة لا غير :

يارب ظبي شعاره نسك  
يترك من هام فيه مكتوبا  
اشكو له ما لقيت من حرق  
صبرت حتى اطلل عارضه

وله من هذا المنزع :

يا من توعدني بعادث هجره

الحاظه في الوري لها فتك  
لا تعجبوا ان قومه التـرك  
فينثني لاهيا اذا اشكوا  
فكان صبح ختامه مسك

ان السلو لدون ما تتوعد

هذا عذارك وهو موعد سلوتي      فاكفف فقد سبق الوعيد الموعد  
واظن سلوتنا غدا او بعده      (وبذاك خبرنا الغراب الاسود)  
وقال في ضده :

قال العنول تنقضا لجمالها      هذا حبيبك قد اطل عذاره  
لا بل بدا فصل الربيع بخده      فلدا تساوى ليله ونهاره  
وله في التورية باسماء الكتب :

ومولع بالكتب يبتاعها      بارخص السوم واغلاها  
في نصف (الاستذكار) اعطيته      (ملخص العين) فارضاها

ومن شعره هذه القصيدة الاعرابية المعنى والاسلوب ، يشكو  
الزمان ويصف ربه ويفتخر ، وهو مما انشده له ابن الاحمر ، في نشر  
فرائد الجمان ، وقد دخلها كثير من التصحيف صححنا غالبه .

احار سل العتبي فلست بعاتب      حنانيك ان الدهر اخبت صاحب  
عجبت من الايام انى الفتها (3)      مسالمة الايام احلى العجائب  
مرفت الليالي قبل عرفاني النهى      وقد اخلت قلدا وما طر شاربى  
ولابست حالها مع الكره والرضى      وقد شاب راسي وهي سود اللواتب  
ومارست ابناء الزمان فلم اجد      اخا ثقة يا حار ، غير التجارب  
مليون بالبغضاء الا تملقا      وما هو الا مثل ابساس حالب  
يضيق بها رحب الفضاء وانها      لجائمة بين الحشا والترائب  
اذا ذكرت ملقى عصاها من الالى (4)      ترامت اليه ذون ذكر العواقب  
فان تسالوا صعب الشكيمة ماضيا      فحيهلا بي او بسعد بن ناشب (5)

وسعت الليالي عفة وقناعة  
وقضيتها خمسا وعشرين حجة  
فما لي وللأوطان هل يطلب الجدا  
وما كنت أرى أن أقيم بذلة  
وما يطبيني أين نيطت ثأمي  
فان مع (6) من فودي جون شبيبي  
ستالف مني البيد طلاع انجد  
وشيعان (7) لا تشنى المهابة عزمه  
حليف سري لا يسام البيد والسري  
ازجي بها من عزمي متوقدا  
حيثا ونزعان النجوم كانما  
تقدمني حتى أقول شمائلي  
بمنخرق يثنى العيون كيلة  
كان جنى الظلماء فيه ابن دابة  
تخال به زهر الكواكب جثما  
فلا جهوري (9) الرعد فيه بنابس  
ولا ناجم الا قتاد كانه  
وفي شعب الأكوار شعث كاني  
إذا اعتكر الليل البهيم تنودوا  
ألا علمت سبل المعالي بانني

وقد ضقن ذرعا عن تسني مآربي  
أصدق ظني بالاماني الكواذب  
من القطر الا كأننا في السحاب  
فكيف وما سدت على مذاهبي  
على فأوطاني ظهور الركائب  
فلا مع (6) عن عطفي جون الفياهب  
قليل هموم النفس جم المطالب  
يتخوض غمارات الردى غير هائب  
طوال الليالي في عراض السباب  
فاحسبني بعض النجوم الثواقب  
تسابقني من خشية للمقارب  
واقدمها حتى أقول جنائبي  
طروح النوى جم السرى فير لاحب  
لأمن فراق البيد ليس بناعب (8)  
وتحسب فيه البرق نار الحياحب  
من الرعب الا مثل صر الجنادب  
برائن أسد او حمات عقارب  
بهم في ذرى دو سليك المتانيب  
أضاء مشقوق الحقيقة قاضب  
سريت إليها حين كل مصاحب

مع الليل الا بارقا (10) متنسورا كطرفة (11) جفن او كومة (12) حاجب  
 وبين جفوني والكرى فيه جازم بهم على خفض من العيش ناصب  
 فان ناب نجوى موهنا قمعت له خطى من شنان (13) كالقسي لواقب  
 قد اصطلمتها (14) اليد الا بقية وكانت منيفات النرى والفوارب  
 الا يا اسلمى ياناق ثم تقدمسى بنا تصدري بالرقد ملأى الحقائق  
 فلي امل فى ءال فهر (15) بن مالك خلا ان حبي فى لوى بن غالب  
 وما ازلتني بحاجة الى التنبيه على ما فى هذه القصيدة من معان  
 واخلية تعكس قوة نفس صاحبها وشدة أسره حتى لبدو لنا كأنه احد  
 شعراء العرب وفرسانها المتقدمين ، جزالة لفظ ومتانة أسلوب ، وشجاعة  
 واقداما وبأوا وفخرا ، وقد كان نظمه لها وهو ابن 25 سنة اعني فى فورة  
 الشباب وشرة الطموح ، فلا غرابة ان قال ابن الأحمر عنه انه لو كان من  
 الاعراب لعد فى شعرائها وامراء كلامها ، وقال ابن خلدون فيه وله شعر  
 سابق به الفحول من المتقدمين والمتأخرين . ولكن يا فلاسف مما دخل  
 هذه القصيدة من التحريف فى أصلها الوحيد الموجود بيدنا حتى الآن ،  
 ولئن كنا قد قومنا أكثره فقد بقى منها بعض الابيات قلق العبارة غامض  
 المعنى ، على ان روائع أبياتها وهي كثيرة تغطي على هذا البعض الذي لم  
 نهتد الى صوابه .

### نثره

هذا ما وقفنا عليه من شعر المترجم وجملة الراي فيه .  
 واما نثره وهو كاتب الملوك بل رئيس الكتاب فى البلاط المريني ، فاننا لم  
 نقف منه الا على رسالة من قبيل الاخوانيات اوردها ابن الأحمر مصدرة  
 بالابيات العينية السابقة الذكر ، ويظهر انه كتبها الى احد خلصائه من  
 اهل الادب وهي محررة بطريقة السجع وفيها بعض التكلف مما يجعلنا  
 نظن انه فى الشعر اطبع منه فى النثر ، ولكن الحكم على نثره باطلاق من  
 رسالة واحدة لا يصح ، لا سيما وأصلها الوحيد الذي بأيدينا ملئ  
 بالتصحيف ، ونحن نذكرها على ما بها مستظهرين ما نعتقده صوابا فى  
 بعض عباراتها .





فكتمت منه صبحا مسفرا ، وسرى عرفه فى سوادها فكانت مسكاً  
أدفراه واعتسف المسافة الزيزاء ، والافق متشح بصارم الفجر ، والجو  
معتقل عصا الجوزاء ، والرامح قد اشرع سنانة فخفق قلب الاسد ذعرا ،  
وجرى دمع الفميصاء على العبور فكانت به المجرة نهرا ، وذهبت تستبق  
الكواكب للمفارب ، فجاء الفجر على قميص الليل بدم كذب فتيل فجر  
كاذب ، وافى فكان من تبشير الصباح ، والنوم متخبط فى حبال الاجفان  
يجاذبها وقد علق الجناح ، اعتيادا لطروقه مثواه ، لا عيادا لمشوقه من  
بلواه ، وقد طبع فى طينة القلب ، واعتورته نار الحب ، فاقام ماثلا بين  
الجوانح ، لا تطفئه (24) الانفاس العواصف ولا الدموع السوانح ، لا ينزل  
به طارق السلو وان كان محل كريم ، ولا يقوم فيه رسول العذل وان كان  
فترة به طوفان نوح ونار ابراهيم ، ولو شاء لكان بردا وسلاما ، ببرد  
السلام ، او هبة شمال ، وبرود الليل لسما ، بليلة الجناح ، عليه تنعش  
الارواح ، كلية المسرى ، قد تطوفت معاهد حسان بين جلق وبصرى ،  
وبثت (25) لبثينة حال جميل ، وجالت بالحمى فاذا كرت اذخرا  
وجليل (26) وقضت لقيس من لبناء لبانة ، فخلع عليها لقد كان فيها  
للأمانة ، والامت بالخمائى الماما ، فمنحت الفصوص اعتناقا والازهار  
التثاما ، واطارت السجف عن الخدور ، بل السدف عن البدور ، فالتمس  
الصحب تلك الفرقة ، فاختلس فيها نظرة ، حتى خلصت الى مثواى ، وما  
تخلصت من بلواى ، فظننتني من خوافيها نسالا ، فقلبتني فى الشمال  
يميننا وشمالا ، فلما تنسمت نشرك فى طيها ، وتوسمت بشرك من حليها ،  
قلت اسميدية فاسعدي ، الي لاجد ريحه لولا ان تفندي ، والا فما عطر  
شذاك ، اصدقني ، فقالت هو ذاك ، فقلت لها بعد الترحيب والتحية ، ما  
حال تلك الشيم المرضية ، التي لو كانت نسيما لكانت الصبا ، او عصرا  
لكانت ايام الصبا ، قالت كالزهر اشرقه الندى بمائه ، والاقحوان غداة  
غب سمائه ، قلت فالحلم العالية لا تبصر العلياء اختلاسا (27) ، ولا  
تتركها التماسا (27) قالت ما كنت اقفو ما ليس لي به علم ، فما لي  
ولاخيات النجم ؟ فمن لي بالمجرة اوافيها ، فاعلم من فيها ، فاسأل  
الكواكب عن عدادها ، فانت حاف سدادها ، قلت فمال حال ذلك (28)  
الكمال والسيادة ، قالت الحسن (29) والزيادة ، قلت جعلت فداك ، انك

خالطت صقيما (30) فاعداك ، فجئت سموما وستعودين نسيما ،  
لمن اهداك ، فينكر سماك (31) ، ويقول ما وراك ، واين خلعت رداءك ،  
فقولي على يعقوب هواك ، الذي لا يفتر عن ذكرالك المستشعر مع ياس  
السلو عنك ، رجاء الدنو منك ، والسلام الكريم ، يخص ذلك الحسب  
الصميم ، ورحمة الله تعالى وبركاته .

انتهت وما كادت وهي كما ترى من النثر المسجوع او الفني كما  
سمى حديثا ، تشتمل على فقر عالية في الحسن والروثق والرصف  
والتنسيق ، وفيها فآر أخرى يظهر عليها التكلف وتحتاج الى بعض  
التوجيه ، على ان نصها الكامل ، بعد التقويم الشامل ، لا يستغنى عن  
الشرح والبيان . وخاصة للشداة من اهل الطلب ، وناشئة الادب ، وهي  
على كل حال ان دلت على براعته فلن تكون وحدها نموذج انشائه واسلوبه  
في الكتابة الذي يحكم به عليه ، كيف ونحن لم نطلع على شيء من كتابته  
الديوانية التي كانت اكثر اعماله ؟

هذا وبعد ان ذكر ابن الخطيب دخوله الى غرناطة في ايام السابع من  
ملوكها ، لقرب من ولايته ، في بعض شؤونه كما قال ، وحقق بها بعض  
الاغراض التي تتعلق بمهنته الطبية ، ذكر انه توفي رحمه الله بتونس في  
يوم عيد الاضحى من سنة تسع واربعين وسبعمائة . وسبقت الاشارة الى  
انه كان في صحبة السلطان ابي الحسن المريني وان وفاته كانت بالطاعون  
الجارف الذي عم البلاد في تلك المدة .

ومن الحكاية المروية عن ابن شاطر الجمحي المراكشي المعروف  
بنكتة ونواده انه دخل الاندلس ومر يوما بابي العباس بن شعيب الكاتب  
صاحبنا وهو جالس في جامع الجزيرة ، وقد ذهب به الفكر ، فصاح به :  
انظر الى مركب عزرائيل قد رفع شراعه ، يعني بعزرائيل ملك الموت على  
ما هو شائع بين الناس ، ولله في خلقه شؤون .

عبد الله كنون

طنجة :

## المصادر والمراجع

- (1) بالاصل : صدور الكلدانيين ، ونظن أن الصواب ما أثبتناه ، وفي أصل المخطوط الوحيد من نشر الفرائد الموجود بدار الكتب المصرية تصحيف كثير حاولنا جهدا أن نصحح ما تنقله منه .
- (2) يعني غرناطية .
- (3) في الاصل : أنى الفتها لنا .
- (4) في الاصل : الحلى .
- (5) من شعراء الحماسة الشجعان الفتيالك .
- (6) مع : زال ودثر وفي الاصل : صح .
- (7) في الاصل : وشنحان .
- (8) في الاصل : بناهب .
- (9) في الاصل : جوهري .
- (10) في الاصل : فارقا .
- (11) في الاصل : لظرفة .
- (12) في الاصل : كموءاة .
- (13) في الاصل : شان .
- (14) في الاصل : اصطليتها .
- (15) في الاصل : فهم .
- (16) في الاصل : فمدا استقل ردى بكم .
- (17) يلاحظ اقتباس القاب الحديث في هذا البيت ، والقطعة بعد البيت الخامس دخلتها الصنعة فلذلك اقتصر ابن الخطيب على ايراد ما قبل هذا البيت فقط .
- (18) في الاصل : عن هذه .
- (19) في الاصل : واضل .
- (20) في الاصل : برد .
- (21) في الاصل : الفتاة .
- (22) في الاصل : وصرنا سياما .
- (23) في الاصل : بالكفر .
- (24) في الاصل : لا تعفيه .
- (25) في الاصل : وتبتت .
- (26) تلميح لقول بلال : الا ليت شعري هل ابين ليلة ، بواد وحولى اذخر وجيل البيتين
- (27) اختلاسها ، التماسها .
- (28) في الاصل : حالك الكمال .
- (29) في الاصل : بالحسن .
- (30) في الاصل : مستقيما .
- (31) في الاصل : سماءك وهي سماك بالضم كما ترجع .

## لوحة حياة

# الذرب والسيام

محمد العزبي الخطابي

الاولى شجرة نارنج ،

والثانية تينة تبعثرت حوالها الظلال ،

والثالثة زيتونة عتيقة دائمة السهر تحرس ماء العين .

وهناك ، على مرمى الظل الرطب خربة كانت فى غابر الزمن ضريحا  
مبنيا بالحجارة والطين فتهدمت سواريه وتقشرت جدرانها فلم تمسه  
يد بالترميم الا ان اغصان الريحان ما فتئت تغطي ساحته يندىها الفجر  
الطالع ويملاً الاصيل الغارب اعطافها بقطرات الضوء .



دفين الضريح مجهول ... انه ولي صالح ... هذا كل ما يعرفه  
عنه الناس من سكان هذه القرية المفروسة فى سفح الجبل .

وكان من رواد الضريح شيخ وقور تشرق عليه الشمس هناك كل  
يوم ، ينقطع فيه للخلوة والتدبر . لا يراه الناس الا مداعبا سبحته ،  
باسما متألقا ، صامتا ، يقضي يومه هناك ويقفل راجعا الى القرية فى  
المساء حيث يختفي فى بيت منعزل من بيوتها ، بيت مجلل ببياض الجير .

ومع طول تردد الشيخ على الضريح المهدوم صار عند سكان القرية  
اعتقاد غامض بأن للشيخ صلة عضوية بدفين الضريح ، وربما كانا  
شخصا واحدا .



كان للشيخ حفيد يحبه كأنه ذوب عينيه ، اخذ يصطحبه معه الى  
الضريح حينما بلغ العاشرة من عمره ، ويتركه يمرح بين الخمائل .

وكان الصبي ، كجده بشوشا حسن الصورة ، الا انه كان مرحا كثير  
الحركة ، لا تكاد الدهشة تفارق عينيه المتألفتين .

سقوط الاوراق يشغل عقله الصغير . شقشقة الطيور تثير العجب  
فى نفسه . طيران الفراشة يملك عليه فؤاده . رتابة السكون توقظ  
فضوله ، فهو لا يلبث يصيخ سمعه ، ويجيل بصره ، ويوجه حواسه نحو  
كل شيء . يرى فى صغر حجم النملة معنى الحركة ، وفى بقع الضوء  
المتراصة من خلال الاشجار تسلسل الحوادث ، وفى جريان ماء العين  
تالى النجوم ، وفى الظلام يرى انقطاع الاشياء وتلاشيها .

وكان طفلنا يحس ان كل ما يحدث حوله يؤلف انغاما متناسقة او  
متنافرة تعبر تعبيرا مبهما عن الحياة وعما وراء الحياة . ومن هنا احب  
النغم ، وعشق الموسيقى ، وهام بالاصوات الجميلة ، وتفتح قلبه الصغير

على ذلك فاستبد بأحلامه وغدت الألحان عنده نوعا من التعبد يصله بالمطلق .

نشأ الفتى على الدهشة الدائمة والحيرة المصحوبة بالسؤال حتى اذا ما كبر واشتد عوده امتزج وجدانه بالاشياء المبهمة واندمجت جوارحه المتفتحة بالمنظور والخفي من الاشياء .



جلس الفتى يوما قرب ينبوع ينحدر مأؤه فيتفتت عند صخرة صلبة ويتطاير منه رشاش يبدو مع نور الشمس كأنه الشرار . تساءل الصبي فيما بينه وبين نفسه : أين يذهب رشاش الماء المتطاير وأين يستقر فى نهاية الامر ؟ وبينما هو كذلك أخذته سنة . فما هو الا ان وقف على رأسه حارس المياه بازاره الابيض ورجليه الحافيتين النقيتين وقال : ان الرشاش المتطاير من الماء يصعد الى السماء كما يصعد الدعاء المقبول فيصبح سديما . وفى السماء كل شيء : الفراغ والنجوم واللانهاية ، وفيها المزن والفمام ايضا ، وفيها تلتقي اصوات الارض فتحثك وتتصادم فيحدث عن ذلك البرق والرعد والنيازك .

لم يقتنع الصبي بهذا التفسير المبهم ، ذلك انه كان غافيا سادرا .

وفى هذه الاثناء كان اهل القرية يرعون ماشيتهم او يبذرون الحب فى الارض او يقومون المعوج من الشجيرات فى بساتينهم لا يبالون ان كانت الارض متحركة او ساكنة او كانت قطرات الماء المنفلقة عن السيل المصطدم بالصخور تصعد الى السماء او تنزل الى اعماق الارض . الحكمة عندهم وجود الماء لا تغير احواله ، ونمو الزرع لا تفتق بذوره ، وطلوع النهار لا مصادر ضوءه .

وحينما صحا الفتى من غفوته رأى الامور لحظة كما يراها اهل القرية الا انه سرعان ما أحس بأن للاشياء ظاهرا وباطنا وان بنفسه ميلا

جبليا الى استكناه بواطن الاشياء وخفاياها . ومن هنا كان يعتبر الموسيقى من الاسرار التي لا يدرك كنهها الا ذوو المشاعر المرهفة والوجدان المتفتح . وكان الفتى يرى فى تألق النجوم ولا نهاية الفضاء سر الاسرار يربط بين ذلك وبين مطالع النغم ومصادره ايا كانت . هذا عنده هو التناسق والتكامل والتعاقب .



جلس الفتى مرة يتأمل فراشة تلهو بمفاذلة زهرة صفراء يفيض على اكمامها الرحيق ، تحاذي الفراشة الزهرة تارة بجناحها الايمن وتارة اخرى باليسر ومرة بقرنها الرفيع . وكانت الزهرة الصفراء تبدو وكأنها تريد ان تمتص عصارة النور من أعطاف الاشعة . وقريبا من هذه المفاذلة كانت قبرة غبراء تدرج مرحلة وهي تنقر التراب لا تبالي بما يحدث بين الفراشة لوسنانة والزهرة الصفراء ، كل ذلك والماء يجري فى الساقية رقيقا خفيفا متأنيا كأنه لا يخاف ان يدركه المساء .

قال الفتى فى نفسه : ما أعجب هذا الايقاع المتناغم وما أعجزني عن ان استشف مطالعه ومساريه ! واذا كان الفتى يجيد العزف على الناي بدا له ان يترجم على ثقوبه ما يختلج فى اعماق نفسه من انفعالات يثيرها انتشاء الفراشة وتفنج الزهرة وتموج الماء فى الساقية .. ولما عجز عن ذلك ادرك ان تفتح اكمام الزهور وارواء الزرع الطالع وانعكاس الضوء على الصخرة وتحرك الدودة الصغيرة فى باطن التربة تنطوي كلها على مغزى احدى وان اختلف منها المظهر والفعل ، وبدا له ان ثقوب الناي وتجويفه قاصر عن أداء هذه الانشودة العلوية التي لا تعرف تقطعا او نشازا .

وهكذا هجر الفتى العزف على الناي وصمم على ان يقوم بسياحة طويلة يفتح خلالها سمعه وبصره وحواسه ليتعلم . وكذلك فعل .



مر الفتى ذات يوم بمدشر صغير انتصبت دوره البيضاء وامتدت على سهل خصيب فرأى صبيانا يمرحون ويحومون حول غدير هناك . تفتح قلبه لهذا الجذل البريء الذي يزيد الخضرة اخضراراً والماء شفوفاً ، فلذ له ان يقتعد ظل تينة مفبرة ليستريح من عناء السفر ويشاهد الصبيان يمرحون ويلعبون .

وسرعان ما اخذته ، كدابه ، سنة ففقا . ولما كانت عيناه مفتحتين على الغدير والصبية والبيوت المترائية من وراء الاشجار ، رمق فتاة تقترب من الماء متأنية متهادية فى مشيتها ، يزداد وجهها نضارة واشراقاً كلما مشت خطوة ويسمع للحصى تحت اقدامها ايقاع مهموس .

استيقظ قلب الفتى لما رأى رغم غفوته الظاهرة ، وراعه هذا الجمال الوئيد المتأنى المقبل نحوه فخف وجيب فؤاده وأحس ان كل جارحة فيه قد استحالت الى عين متفتحة تبصر فلا تكل .

حينما وصلت الفتاة الى حافة الغدير كان الفتى قد استنفد او كاد كل ما فى نفسه من طاقات الاحتمال والتجلد ؛ ولما كان العفاف والزهد مما ورثه عن جده الشيخ راعه أن يقوم بينه وبين هذه القروية الحسناء حجاب سندسي يظهر المفاتن والمحاسن أكثر مما يخفيها ، ويدكى النار أكثر مما يخمدتها ، فقرر ان يسترد حريره وان ينطلق نحو النور الملتحف برداء الجمال .

قال الفتى فى نفسه : ان الظماً جفف حنجرتي وقد ارد ماء الغدير فأرتوي لولا غفوتي وهذه الحسناء التي غزت بوجودها المكان فانعكس على صفحة الغدير حياؤها وخفرتها ووضاءتها .

وبتبادل النظرات الاولى احست القروية بظماً الفتى يحرق حنجرتها ، فأسرعت تملأ جرتها من ماء الغدير ثم خطت ، حييته متهبية، نحوه مقدمة له الجرة فشرب حتى ارتوى ، وانتعشت نفسه بالتملى

وانحفرت فى قلبه أخاديد وترايت له شقاوة السعادة المأمولة وذاب فى لسانه طعم حلوها المر .

تناولت القروية الجرة من الفتى بعد أن أروى ظمأه فأحست انها عاجزة عن اطفاء الابتسامة التي أضاءت خديها وشفيتها وطرفا من عينيها الكبيرتين ، وأحست كما لو كانت الحياة قد انبعثت فى عروة الجرة فأصبح ملمسها نابضا يدغدغ اناملها ويبعث فى راحة يدها راحة تسري فى سرايين البدن كله .

وهكذا تخاطب القلبان بتواطؤ الاعين وانعكاسات الصور على ماء الغدير ، قال الفتى :

— ضيف الله يطلب القرى !

فقالت الفتاة :

— بيتنا هناك فى أعلى التلة وسط بستان اللوز وأبي فى الحقل يراقب الحصاد ، فانطلق اليه .

وكذلك فعل الفتى . وحيث كان اسم أسرته معروفا بين سكان القرى الجبلية ، وكان من بيت شريف يوقره الناس فقد استقبله والد الفتاة بالبشاشة والترحيب ، واستضافه .

شعرت الفتاة أن البيت بوجود الفتى ، لم يعد مجرد مأوى يحجب ساكنيه بين جدرانها ، بل مرتعا تسرح فيه العيون ناظرة من خلال شقوق الابواب وثنايا الستائر ، ويخفق تحت سقفه قلبان فتیان يردد احدهما نبض الآخر .

أعدت « رحمة » الفطائر والشواء مع أمها للعشاء ، وكانت تغنى بصوت خفيض ترتجل الكلمات وتطابقها بالحنان معروفة يتغنى بها أهل الجبل حينما يكونون فى طريقهم الى موسم أو سوق .



وفتح الفتى مسامح قلبه يستقبل بها جمال الصوت ويستشف  
محاسن الصورة التي ملأت نفسه وفجرت فيها ينابيع الحب والرغبة .  
ولقد استبدت به نشوة حيرى لم يعرف مثلها من قبل وتنازعت نفسه  
ضراوة الفريزة الملتهبة ونوازع النسك والتبتل الغالبة على فطرتـه  
لشبابه ، فضاع ، لحظة ، فى متاهات النفس والمادة غير انه ما لبث أن  
استفاق من غفوته وعادت اليه سكينـة الروح فرأى الاشياء كما تعود أن  
يراهـا : مضيئة شديدة الشفوف ، فقرر متابعة الرحلة فاتحا بصره وقلبه  
كي يرى ويتعلم .



واصل الفتى سيره فقطع وهادا ونجادا وأودية ، ومر بمدن  
ومداشر ، واخترق غابات وشعاب جبال ؛ وتحمل لفحات الشمس  
وشراسة البرد والعواصف ، وعرف الجوع والظما والسهر تحت شموع  
السماء .

شاهد قوافل النمل تسير جادة فى نظام بديع محكم تحمل القوت  
أو تحفر فى الارض مساكنها . وسمع ذئابا تعوي فى الفلوات وغربان تنعق  
فى الخرائب ويمامات عاشقة تنوح ، وثعابين تزحف كارهة . ورأى فى  
الجو أسراب اللقالق المهاجرة تتحسس بأجنحتها ومناقيرها طريق العودة  
المحتومة .

وفى منعرجات الدروب مر الفتى بأناس يستعبد بعضهم بعضا ،  
يجتمعون ويتفرقون ، يتجالفون أو يتقاتلون ؛ ورأى ثعالب تفتك بأرانب ،  
وعصافير تلتهم ديدانا ؛ كل ذلك وأمطار السماء تروي الارض فتحياها أو  
تتجمع مياهها فتتحد من الجبل سيولا تجرف الاشجار والبيوت  
والبهاائم .

وكان الفتى يذكر حبه فى كل منزل يحط به رحال السير ، يذكر  
« رحمة » فينتفض فؤاده ويرفع بصره الى السماء فتنفلق فى نفسه ذرات

حب اكبر واشمل يصله بالمطلق ويرتفع به عن تراب الارض فيرحب قلبه  
وتتبوا فيه « رحمة » مكانها الصغير في بؤرة الاشراق الكامل ، فيصبح  
« الكل » « واحدا » أزليا لا اول لبدايته ولا آخر لنهايته .



انتهى المطاف بفتانا الى خلوة في قمة الجبل غير بعيد من الضريح  
المهجور ، وكان الشيب قد جلل شعره فألقى بنظرة الى السهل المنبسط  
تحتة ثم رفع بصره الكليل الى السماء وكأنه يتساءل : الى اين توصل كل  
هذه الدروب اذا كان السائح لا قصد له ولا سمت ؟ واخذته كدابه سنة  
فنام .

محمد العربي الخطابي

الرباط :

# عروض الموشح

محمد الفاسي

ان اضافة لفظة العروض للموشح تظهر لأول وهلة كأنها تناقض ، لان هذه اللفظة توجي في انفسنا القواعد التي اسسها الخليل بن احمد لفصط نظام الشعر العربي في الجاهلية وصدر الاسلام في حين ان اختراع الموشح كان ثورة على هذه القواعد وعلى ذلك النطاق الضيق الذي حصرت فيه مواهب شعراء العرب . وهذا صحيح اذا فهمنا من العروض فقط البحور الستة عشر التي كان ولا يزال في الاكثر ينظم فيها الشعراء شعرهم ولكنها في معناها الاعم تشمل كل الاساليب التي ينتهجها كل شاعر ايا كانت لغته او طريقته للتعبير بكيفية منتظمة عن مشاعره واحساساته . فللشعر اللاتيني عروضه وللشعر الفارسي عروضه وللشعر في الآداب الشعبية عروضه كذلك . وبناء على هذا فللموشح ايضا عروضه الخاص

وهو ما سعى الى اكتشافه الكثيرون منذ حاول ذلك ابن سناء الملك في القرن السادس في كتابه « دار الطراز » (1) الى محاولات المعاصرين من عرب ومستشرقين . ولقد اهتمت بهذا الموضوع منذ سنين اذ نبهتني دراساتي المتعددة في الشعر الملحون وهو اسم الرجل في اصطلاح اهل المغرب الى الشبه بين الطريقتين ، وقد كنت توصلت الى وضع قواعد عروض الملحون ونشرت نتيجة هذه الابحاث في مجلة الثقافة المغربية تباعا في خمسة اعداد (2) حيث قدم لها رئيس التحرير بقوله : « يسر مجلة الثقافة المغربية ان تستهل عددها الاول ببحث مبتكر يعلن عن اكتشاف الاستاذ الفاسي لعروض الملحون المغربي ويعرف بقواعده لأول مرة على غرار اكتشاف الخليل لعروض الشعر العربي الفصيح » .

والذي اريد ان اعرضه عليكم اليوم هو ما توصلت اليه كذلك من وضع اسس الموشح وقواعده وبحوره المتعددة . وقد قلت ان محاولات قام بها بحاثون من قبل ، واول من فعل ذلك ابن سناء الملك ولكنه اعترف بفشله في هذه المحاولة حيث قال بعد ان ذكر ما سماه القسم الاول وهو الذي يسير حسب نظره على اوزان البحور الخيلية :

« والقسم الثاني من الموشحات هو ( ما ) لا مدخل لشيء منه في شيء من اوزان العرب وهذا القسم منها هو الكثير ، والجسم الففير ، والعدد الذي لا ينحصر ، والشارد الذي لا ينضبط ، وكنت اردت ان اقيم لها عروضاً يكون دفترها لحسابها ، وميزانها لاوتادها واسبابها فعز ذلك واعوز ، لخروجها عن الحصر وانفلاتها من الكف ، وما لها عروض الا التلحين ، ولا ضرب الا الضرب ، ولا واتاد الا الملاوي (3) ولا اسباب الا الاوتار ، بهذا العروض يعرف الموزون من المكسور ، والسالم من المزحوف » (4) .

كما انه لم يهتد احد الى ضبط المصطلحات المستعملة في الكلام على تركيب الموشحات ، وكل من حاول ذلك يقلد سابقا له ، وهكذا فالبلبلة شاملة والتخليط عام . فلا احد يعطي تعريفا واضحا للفصن والسمط والمركز والمذهب وللقفل والبيت وللقسم وحتى للخرجة التي

نلتبس بالمركز الخ . ويقولون عن بعض هذه المصطلحات اجزاء وفقر . كل ذلك لانهم لم يعتمدوا منهجية في البحث تؤدي بهم الى وضع أسس عروض الموشح ومبادئه العامة . وهذا لا يتأتى الا باستقصاء اكثر ما يمكن من الموشحات وتقطيعها ومقارنتها . وعوض هذا وحيث انهم لم ينتبهوا الى أن من أسس هذا الفن الحرية المطلقة المتروكة للشاح لاختراع ما يشاء من البحور داخل قواعد عامة ، وحيث انهم راوا موشحات ذات مراكز أو اسماء تتركب من عدة اغصان ، اكتفوا بأن يقولوا ويتركب من جزاين ومن ثلاثة اجزاء ومن اربعة الخ .

واكثر الذين يكتبون عن الموشح يعتمدون اقوال ابن سناء الملك في « دار الطراز » وهو من أهل المشرق وان كان امام الموشحين في الاقطار المشرقية فهو مع ذلك بعيد عن منبع هذا الفن الاصيلي اي المغرب ، على ان المقاربة انفسهم لم يهتدوا لذلك ولكنهم لم يحاولوه لان نظم الموشح اصبح عندهم سليقة كعرب الجاهلية الذين كانوا ينظمون شعرهم عفويا حسب اساليب ورثوها عن الواضعين الاولين ولم يحتاجوا الى البحث عن قواعدها لينسجوا على منوالها .

ثم ان كل الذين يكتبون عن فن التوشيح يهتمون اهتماما بالغا باسباب اختراعه وباقدم من فعل ذلك . والمستشرقون اهتموا بالخرجات اهتماما زائدا لانهم راوا انها غالبا ما تحتوي على الفاظ وجمل باللفظة الاسبانية القديمة ، ومن ثم راحوا يبحثون للموشح عن اصول اسبانية الى غير ذلك من التمجلات . ولكن لم يقصد احد للبحث عن أسس عروض الموشح وابرار خصائص بحوره . وقد حاول ذلك منهم الاستاذ هارتمان في كتابه « الموشح » (5) ولكنه بنى ايضا بحثه على البحور الخيلية محاولا ارجاع كل الموشحات الى اوزان مشتقة من بحور الشعر العربي الستة عشر . وقد قال الدكتور جودة الركابي في مقدمته لكتاب « دار الطراز » : « ولكن لا يمكننا ان نرى في هذه المحاولة الا التكلف والتصنع اذ هناك موشحات تشذ عن الاوزان التي ذكرها هارتمان في كتابه ولا تخضع لها » (6) .



والسر في فشل هذه المحاولات هو ان أصحابها ساروا على مبدأ البحث عن الاوتاد والاسباب والتفاعيل وميادين البحور العروضية مع ان الموشح كما يعرفه الجميع وكما قدمناه كان السبب في اختراعه التخلص من هذه الطريقة والخروج عن هذا الضنك وذلك السياج الضيق الذي ثار عليه أهل الاندلس والمغرب .

وبعد هذه الملاحظات العامة وانا لا أريد في هذا التقديم ان أتعرض لكل القضايا التاريخية والأدبية التي تثار عادة حول الموشح فقد تكفل بذلك الكثيرون ممن بحثوا هذا الموضوع وانا الذي يهمني ان أطلعكم على النتيجة التي توصلت اليها في تحديد القواعد التي يسير عليها نظم الموشح .

وكما قلت أولا فان الخيط الذي قادني في هذه المسيرة هو الشبه البين الواضح بين قصيدة الملحون والموشح . وذلك ان المبدأ الذي تبنى عليه قصيدة الملحون هو عدد التقاطيع في كل شطر . وحيث ان الموشح في مظهره الخارجي يشبه تماما قصيدة الملحون ، فقد عمدت أولا الى عدة موشحات من أزمنة مختلفة وذات مظاهر متنوعة أي من متساوية الاجزاء في الظاهر ومن مختلفتها كان يكون شطرا قصيرا جدا بالنسبة لشرط او اشطار اخرى من البيت واخذت احسب عدد التقاطيع في كل اقسامها فتبين لي ان منها ما تتساوى فيها الاجزاء (7) تمام المساواة . وهكذا قررت وذلك منذ سنين ان أقوم بتقطيع اكثر ما يمكن من الموشحات لاستخرج من هذا العمل قواعد ثابتة لعروض الموشح . فتم لي بعد الرجوع الى عشرات المؤلفات المخطوطة والمطبوعة جمع خمسة وعشرين وخمسمائة موشح قطعت كل واحد منها وجعلت له جذاة خاصة سجلت فيها مطلقه واسم صاحبه ان كان معروفا وفي أي كتاب مخطوط او مطبوع يوجد وذكر اعداد تقاطيع كل جزء من اجزائه مع قافية مركرة واسماطه . وجعلت جذاة اخرى لكل واحد من هذه الموشحات اسجل فيها فقط رقمه الترتيبي في الجذاة الاولى مع الرقم الذي جعلته لبحره .

وقبل الشروع فى بيان قواعد هذا العروض يحسن بنا ان نشرح  
بكيفية مجملته ما هو الموشح وما هي الاسماء التي يعبر بها عن اجزائه :  
الموشح كلام منظوم له ميزان خاص يرتكز على عدد التقاطيع فى  
اجزائه (8) . وللشاعر الحرية المطلقة فى اختراع ما يشاء من الاوزان .  
وهو يتركب من وحدات تتكرر حسب قواعد ثابتة .

فاول ما يبتدا به هو وحدة تسمى المركز ويسمونه ايضا القفل وهو  
فى الحقيقة عند الوشاحين المفاربة المركز الاخير المسمى فى الاكثر  
خرجة ويسمى المركز الاول المطلع ويقولون له ايضا المذهب وانا اكتفى  
باسم المطلع . ويتركب المركز من جزاين فان كانا متساويين فى عدد  
التقاطيع اسمى هذا النوع من الموشح المبيت لانه اشبه شيء بالمبيت  
الخليلى ويمكن ان يخرج على بحر من البحور الخيلية ولكنه يختلف عنها  
دائما فى خلوه من اية علة من علل العروض الخيلية وذلك ان الموشح كان  
فى اول وضعه يلحن ويفنى به وهو فى هذا مثل الملحون تماما السني  
اشتق اسمه من التلحين لا من اللحن اى الخطا كما يتوهمه البعض . ولذلك  
لا يمكن ان يحتمل نقصا او زيادة فى عدد التقاطيع والا اختل ميزانه  
الموسيقي . وهكذا نرى ان فن التوشيح حتى فى المبيت منه مخالف كل  
المخالفة لبحور الشعر القديمة .

واسمى جزاي هذا المركز من القسم المبيت شطرين . واذا تركب  
المركز من جزاين مختلفين عدد التقاطيع او من ثلاثة فاكثر من الاجزاء  
فاسميه المفصن ، وكل جزء منه اسميه غصنا .

وهذا المركز يتكرر فى كل الموشح بقوافيه وعدد ابياته او اغصانه  
وبعد تقاطيعها ثم يلي المركز وحدة ثانية اسميها السمط وتكون تارة  
مبيتة وتارة مفصنة . فاذا كان المركز والسمط مبيتين اطلق على هذا  
القسم اسم المبيت التام .

واذا كان المركز والسمط مفصنين اسمى هذا القسم المفصن  
التام . واذا كان المركز مفصنا والسمط مبيتا اسمى هذا القسم المفصن  
المزيج . واذا كان المركز مبيتا والسمط مفصنا اسميه المبيت المزيج .

فهذه اقسام أربعة وهي المفصن التام والمفصن المزيج والمبيت التام والمبيت المزيج . واكتفى بتسمية الاول مفصنا بدون نعت والثالث مبيتا مطلقا لانه لا يمكن ان يقع التباس حيث اسمي القسم الثاني مفصنا مزيجا والرابع مبيتا مزيجا .

ولنضرب مثلا لكل واحد من هذه الاقسام .

اولا : المفصن

ولناخذ مثلا موشعا لابن بقي (9)

3 ما لدي 5 صبر يعين 5 غير النحيب 3 فسلوا 5 عن اصطباري 5 بدر الجيوب 5

فهذا المركز يتركب من ستة اغصان : الاول فيه ثلاثة مقاطع والثاني خمسة والرابع ثلاثة والخامس والسادس خمسة . ولكل واحد قافية خاصة . وهذا النظام ملتزم في كل مراكز الموشع من حيث عدد الاغصان وعدد مقاطع كل غصن ومن حيث قافيته .

ويلي المركز السمط الاول وهو :

3	5	4
كيف لا	يفدو لباسي	ثوب السقام
وطلا	ظبي الكناس	سر الفرام
ما على	مثلي من باس	ان يستهام

فهو يتركب من ثلاثة اغصان في ثلاثة ابيات (10) يحتوي الفصن الاول على ثلاثة مقاطع والثاني على خمسة والثالث على أربعة . وهذا النظام ملتزم في كل اسماء الموشع من حيث عدد الاغصان وعدد مقاطع كل غصن وعدد الابيات . لا في القافية فانها تتغير في كل سمط . فهي في السمط الثاني مثلا : ل - ر - ل .

ونلاحظ من الآن ان ما يقع من الاغلاط فى طبع الموشحات يرجع لعدم معرفة هذه القواعد . فكثيرا ما يطبع غصن مربوطا بالذي يليه ، وفى الموشحات ذات الاغصان الطويلة لا يعرف اين تنتهي فتقسم فى الطبع ويجعل من غصن غصنين ، ثم اذا ضبطت الكلمات فيقع فى ذلك تخليط لانه حيث لا يعلم ان الغصن الاول مثلا فى المركز يتركب من ثلاثة مقاطع فقط فانه يمكن ان يرد مفتوح الياء والغصن الثالث من السمط يمكن ان يرد مكسورا والميزان يقتضي ان يكون مسكنا . والامثلة فى الكتب المطبوعة التي فيها موشحات لا تكاد تحصى .

### ثانيا : المفصن المزيج

ولناخذ مثلا موشعا للاعمى التطيلي (11) :

7	11	11
صبرت والصبر شيمة العاني	ولم اقل لطيل هجراني	معنبي كفاني

فهذا المركز يتركب من ثلاثة اغصان يحتوي الاول والثاني منها على احد عشر مقطعا والثالث على سبعة مقاطع ولها ثلاثتها قافية واحدة .

ويليه السمط الاول وهو :

11	11
هل كان غيري يعتز بالذله	عشقه ينتمى الى الحله
ملالة الناس عنده مله	لم يحصر الشعر وصفه كله

فهو يتركب من بيتين متساويي اعداد المقاطع بين الصدر والعجز ولهما قافية واحدة فهو اذن مبيت وهكذا فى الموشح .

ووجه تسمية هذا القسم بالمفصن المزيج انه مزج بين التفصين فى المركز والتببيت فى السمط .

ثالثا : المبيت

ولناخذ مثلا موشحا لابن الخطيب (12) :

11

11

جاءك الفيث اذا الفيث هما يا زمان الوصل بالاندلس  
لم يكن وصلك الا حلما في الكرى او خلسة المختلس  
وهذا المركز يتركب من بيتين عدد مقاطع اشطارهما احد عشر  
مقطعا بقافية متحدة في الصدرين والعجزين .

ويليه السمط الاول وهو :

اذ يقود الدهر اشتات المنى نقتل الخطو على ما ترسم  
زمرا بين فرادى وثنى مثلما يدعو الحجيج الموسم  
والحيا قد جل الروض سنا فثغور الزهر فيه تبتسم

فهو يتركب من ثلاثة ابيات ذات احد عشر مقطعا في كل شطر منها ،  
وقوافي الصدور متحدة مع بعضها وكذلك قوافي الاعجاز . ولكنها طبعا  
تتغير في كل سمط بخلاف قافيتي المركز فانهما لا تتغيران في كل  
الموشح على ما قدمنا .

رابعا : المبيت المزيج . وهذا القسم لا يحتوي الا على احد  
عشر موشحا من جملة الـ 525 موشح التي قطعتها . ثم ان جلها لمتاخرين  
ولم اثبتة الا لان البحث والمنهاج انتجاه .

ولناخذ مثلا موشحا لابن زمرك (13) :

8

8

وجه هذا اليوم باسم وشذا الازهار ناسم  
وهو بيت واحد في كل شطر منه ثمانية مقاطع بقافية واحدة فهو مبيت  
ويليه السمط وهو :



جالبات للسرور  
طالعات في بدور  
في حلى نور ونور (14)

هاتها صاح كؤوسا  
وارتقب منها شموسا  
ما ترى الروض عروسا

وهو يتركب من غصنين في ثلاثة أبيات ، الغصن الاول فيه ثمانية مقاطع والثاني سبعة ولكل غصن قافية خاصة فهو اذن مفصن .

هذه هي الاقسام الاربعة التي تدخل تحتها كل الموشحات التي وقفت عليها وفي كل قسم انواع تختلف حسب اعداد الاغصان في المفصن والابيات في المبيت . وبيان ذلك ان المفصن وفيه اربعة عشر ومائتان من الموشحات يتركب من ثمانية انواع :

النوع الاول - يحتوي المركز على غصنين وفيه ثمانية وتسعون من الموشحات

النوع الثاني - يحتوي المركز على ثلاثة اغصان وفيه ثلاثون موشحا  
النوع الثالث - يحتوي على اربعة اغصان وفيه خمسة وستون موشحا  
النوع الرابع - فيه خمسة اغصان ويحتوي على ثلاثة موشحات فقط  
النوع الخامس - فيه ستة اغصان ويحتوي على خمسة عشر موشحا  
النوع السادس - فيه ثمانية اغصان ويحتوي على موشح واحد  
النوع السابع - فيه تسعة اغصان ويحتوي على موشح واحد  
النوع الثامن - يحتوي على احد عشر غصنا وفيه موشح واحد .

والملاحظ ان القدماء كانوا لا يسرفون في تجزئ المراكز ، وهذه بدعة للمتأخرين حتى ان ابن سناء الملك نظم موشحا فيه احد عشر غصنا وهو الذي جعلته في النوع الثامن ولا يخفى ما في ذلك من التكلف والصنعة التي ابعدت التوشيح عن بساطته النسبية والزيادة في الشيء نقصان .

واذا اعتبرنا عدد الموشحات في كل نوع نرى ان اكثره استعمالا هو النوع الاول الذي يتركب مركزه من غصنين فقط . فانه يحتوي تقريبا على خمسين في المائة من موشحات المفصن .

اما القسم الثاني وهو المفصن المزيج . وفيه ثلاثة وستون ومائة موشح فانه يحتوي على سبعة انواع :

النوع الاول : المركز فيه غصنان . ومعلوم ان الفرق بينه وبين مقابله من المفصن ، ان سمط المفصن المزيج من المبيت . وانا لا اعتبر في كل هذه الترتيبات سوى عدد اغصان المركز كما فعلت في عروض الملحون حيث ركزته على الحرية وهي اللازمة التي تعاد بين كل قسم من اقسام القصيدة وتختتم بها كما يعاد المركز بين كل سمط من اسماط الموشح ويختتم به . وفي هذا النوع الاول 60 موشحا :

النوع الثاني : المركز فيه ثلاثة اغصان ويحتوي على اربعين موشحا .

النوع الثالث : المركز فيه اربعة اغصان ويحتوي على ثمانية واربعين موشحا .

النوع الرابع : المركز فيه خمسة اغصان ويحتوي على اربعة موشحات النوع الخامس : المركز فيه ستة اغصان ويحتوي على ستة موشحات النوع السادس : المركز فيه ثمانية اغصان ويحتوي على موشحين . النوع السابع : المركز فيه عشرة اغصان ويحتوي على موشح واحد .

ويلاحظ ان لا وجود لموشح مركزه يتركب من سبعة او من تسعة اغصان ، وان التصنع ظاهر في الانواع الاخيرة من الرابع الى الاخير وان القدماء كانوا ينظمون موشحات هذا القسم في البحور ذات الغصنين والثلاثة والاربعة فقط .

اما القسم الثالث وهو المبيت فيحتوي على سبعة وثلاثين ومائة موشح وفيه ثلاثة أنواع :

النوع الاول : المركز يحتوي على بيت واحد . وفيه ستة وثمانون موشحاً .

النوع الثاني : المركز يحتوي على بيتين وفيه اثنان وخمسون موشحاً

النوع الثالث : المركز يحتوي على ثلاثة ابيات وفيه موشح واحد وهو كذلك من تكلفات ابن سناء الملك ولولا أن البحث ابرزه لما جعلته نوعاً ثالثاً اذ القدماء لم ينظموا الموشح المبيت الا في النوعين المذكورين .

اما القسم الرابع وهو المبيت المزيج فقد قدمت انه لا يحتوي الا على احد عشر موشحاً أقدمها موشح لابن المنيشي (15) ويليهِ موشحان لصفي الدين الحلبي من رجال القرن السابع ، وموشح لشاعر مشرق آخر وهو سراج الدين المحار المتوفى سنة 700 ثم موشح للصالح الصفدي المتوفى سنة 764 عارض به موشح السراج المحار المذكور ثم موشح للشاعر الاندلسي الوزير ابن زمرك المتوفى سنة 793 ثم موشحان لجنا أبي مالك عبد الواحد بن محمد الفاسي المتوفى سنة 1214 هـ . ثم موشح للصوفي المغربي سيدي محمد الحراق المتوفى اواخر القرن الماضي ويليهِ موشح لشاعر الملحن المغربي الحاج ادريس الحنش المتوفى اول هذا القرن والموشح الحادي عشر لشاعر مغربي معاصر توفي في عنفوان الشباب وهو عبد الكريم بن ثابت . فهؤلاء تسعة من الشعراء المائة الذين وقفت على موشحاتهم انفردوا بالنظم في هذا الشكل من العروض التوشيعي .

وهذا القسم يحتوي على نوع واحد اي الذي مركزه فيه بيت واحد كما تقدم في الكلام على المبيت .

اما البحور داخل هذه الانواع فى كل من الاقسام الاربعة فهي كثيرة تبعا للحرية المتروكة للشاعر أن يركب موشحه كيف ما ظهر له من حيث عدد المقاطع فى أشطار المبيت ومن حيث عدد الأغصان وعدد مقاطعها فى المفصن .

وكيفية تحديد البحر ترجع لعدد أغصانه ولعدد المقاطع فى كل غصن . ولناخذ مثلا موشح الاعمى التطيلي الذي مطلعہ :

الى متى بوصلنا تبخل ولا تلين ولا تفي فيشمت العذل بالعاشقين  
4 6 4 4 6 4

وهو من المفصن اذ سمطه كذلك مفصن وهو من النوع الخامس لان فى هذا المركز ستة أغصان . الاول فيه اربعة مقاطع والثاني ستة والثالث اربعة . والرابع اربعة والخامس ستة والسادس اربعة . فهو من البحر الرابع من النوع الخامس . ولا عبرة بالقوافي فى تحديد البحر لانها تارة تتحد وتارة تختلف .

وقد اعتمدت فى ترتيب البحور على الاقل عدد المقاطع فالاكثر .

وقد قمت بعملية حسابية لكل موشح وتلخص من ذلك أن المفصن وقد قدمنا أنه يشتمل على اربعة عشر ومائتي موشح فيه عشرون ومائة بحر موزعة هكذا على انواعه الثمانية :

النوع الاول - غصنان فى المركز : اربعة وثلاثون بحرا . (ثمانية وتسعون موشحا) .

النوع الثانى - ثلاثة اغصان فى المركز : اثنان وعشرون بحرا ( ثلاثون موشحا ) .

النوع الثالث - اربعة اغصان فى المركز : سبعة وأربعون بحرا (خمسة وستون موشحا . )

النوع الرابع - خمسة اغصان فى المركز : ثلاثة بحور (ثلاثة موشحات)  
النوع الخامس - ستة اغصان فى المركز : احد عشر بحرا (خمسة عشر  
موشحا) .

النوع السادس - ثمانية اغصان فى المركز: بحر واحد (موشح واحد) .  
النوع السابع - تسعة اغصان فى المركز : بحر واحد ( موشح واحد) .  
النوع الثامن - احد عشر غصنا فى المركز : بحر واحد (موشح واحد) .

والسر فى كثرة اعداد البحور يرجع الى ما قلناه من قبل وهو  
الحرية التي للشاعر فى اختراع ما يشاء من البحور داخل القواعد العامة  
للموشح التي شرحنها . لذلك نجد عددا من البحور ليس فيها الا موشح  
واحد . وهذا كما هو الشأن فى الملحون فان بحورا كثيرة لا توجد فيها  
الا قصيدة واحدة وتسمى فى اصطلاحهم قصيدة غريزة ، واما رجال  
التوشيح فانهم لم يجعلوا للموشح الفريد اسما وذلك لانه وان كان يغنى  
فلا يقع ذلك دائما بخلاف الملحون فان اصحابه لكثرة ما يفنون من انواع  
القصائد يحسون بالميزان اكثر من غيرهم فاذا نظم احد منهم قصيدة فى  
بحر جديد اخترعه ولم يقلده بعد احد فيه بقيت القصيدة كالبر التي  
يفرز ماؤها وينصب لذلك اسمى الموشحات الفريدة فى بحرها فريزة  
اقتباسا من اصطلاح اصحاب الملحون .

وبحور النوع الاول من المفصن الاربعة والثلاثون تتراوح اعداد  
الموشحات فيها ما بين موشح واحد واربعة موشحات فى ثلاثين منها ،  
واما الاربعة الباقية ففي واحد منها وهو البحر السادس عشر ستة  
موشحات ، وفى البحر الرابع عشر سبعة ، وفى البحر السادس  
والعشرين ثلاثة عشر موشحا ، وفى البحر الثالث والثلاثين عشرون  
موشحا لاثنى عشر وشاحا وهو البحر الذي نظم فيه اكبر عدد  
من الموشحات فى هذا النوع الاول الذي يتركب مركزه من غصنين ،  
الاول فيه عشرة مقاطع والثاني تسعة . ويتركب مركزه من غصنين ،



الاول فيه عشرة مقاطع والثاني تسعة . ويتركب المركز من غصنين في بيتين والسمط وهو مثله من غصنين في ثلاثة ابيات في جميع هذه الموشحات سواء نظمت بفرناطة او بفاس او بالقاهرة ، وسواء كان ذلك في القرن الخامس او في القرن الرابع عشر ، ولاعطائكم فكرة عن الوشاحين الذين نظموا في هذا البحر اذكر لكم اسماءهم :

اقدمهم وشاح اندلسي اسمه ابو عامر محمد بن يحيى يعرف بابن ينق وولد سنة اثنتين وثمانين واربعمئة من اهل شاطبة وتوفي سنة سبع واربعين وخمسماية ، ثم يليه الوشاح المغربي المعروف بابن غرلة من رجال القرن السادس ، ثم وشاح ينسب الى الموصل وهو الشاعر محمد ابن دانيال الموصللي المتوفى سنة 708 ، ثم الشاعر المصري صاحب الموشحات المشهورة شهاب الدين العزازي المتوفى سنة 710 ، ثم شاعر مشرقى آخر هو تقي الدين السروجي من رجال القرن السابع - الثامن ، ثم شاعر غرناطة واديبها بعد لسان الدين ابن الخطيب الكاتب ابو عبد الله ابن زمرك المتوفى سنة 793 كما تقدم . وله في هذا البحر سبعة موشحات .

وينقطع النظم في هذا البحر الى القرن الثالث عشر حيث نجد اربعة وشاحين كلهم ينظمون فيه وهم على التوالي :

الكاتب الشاعر ابو العلاء ادريس بن محمد بن ادريس العمروى والاديب الطيب بسير و له موشحان في هذا البحر ، وشاعر الملحنون المتقدم الذكر الحاج ادريس الحنش ، والعلامة الاديب الشهير ابو العباس احمد بن المامون البلغيثي ، والكاتب الشاعر محمد بن المفضل غريط . والموشح العشرون لشاعر لم يذكر من نقلته عنه اسمه .

ذكرت لكم تاريخ هذا البحر وان كان من ابسط البحور في المفاصل ليتضح ان القواعد التي يسير عليها نظم الموشح قوايين مضبوطة ثابتة لا يشذ عنها شيء لا في عدد الاغصان ولا في ترتيبها ولا في عدد مقاطع كل غصن ، وذلك في اي بلد نظم الموشح وفي اي زمان لم ذلك . وهذا يتحقق

فى كل البهور التى تعدد فىها نظم الموشحات وسواء كان ذلك فى هذا النوع الاول من المفصن او فى الانواع الاخرى وكذلك الشأن فى بقية الاقسام التى شرحنا مميزاتا من قبل .

ولا افصل الكلام على عدد الموشحات فى كل نوع من انواع الاقسام الثلاثة الاخرى وانما اشير اليه اجمالا .

ففى القسم الثانى وقد قدمنا انه يشتمل على ثلاثة وستين ومائة موشح ، فيه خمسة وثمانون بحرا .

والقسم الثالث وقد قدمنا انه يشتمل على سبعة وثلاثين ومائة موشح ، فيه خمسة عشر بحرا فقط بمعنى ان متوسط الموشحات فى كل بحر يقرب من العشرة ، فى حين ان متوسط بحور القسمين الاولين لا يتعدى الموشحين فى كل بحر . وسبب ذلك ان المبيت هو اسهل هذه الاقسام وهو ابعدها عن نظام الموشح الحقيقى الاصيل . والذين نظموا فى المبيت اكثرهم من المتأخرين .

والقسم الرابع وفيه كما قدمنا احد عشر موشحا فقط ومع ذلك حيث اسماطه مفصنة ففيه ستة بحور موشحان لكل بحر على غرار القسمين الاولين المفصنين عموما .

وبالجملة فان مجموع اقسام عروض الموشح اربعة ومجموع الانواع فيها تسعة عشر نوعا ومجموع البهور كلها تسعة وعشرون ومائتا بحر وكل هذا فى خمسة وعشرين وخمسمائة موشح مما توصلت الى جمعه . ولا اظن انه بقى على عدد كبير منها الا ما كان من الموشحات التى ينشدها اصحاب الطرق الصوفية وكثير منها قريب من الزجل احيانا لاستعمالهم اللغة العامية فى بعض اجزائها ، وكذلك موشحات تغنى فى الموسيقى المغربية الكلاسيكية التى نسميها فى المغرب الآلة مقابلة للموسيقى التى تؤدى بدون آلات وتسمى السماع ويسمى المنشدون لها مسمعين وهذه الموسيقى هى التى صار يطلق عليها اسم الموسيقى الاندلسية تبعا

لاستعمال الفرنسيين ، وكلا النوعين لا يخرج عن الاقسام والانواع والبحور التي استخرجتها في هذه الدراسة وسأضربها من بعد الى هذه المجموعة الكبيرة التي تحصلت لدي وانوي ان شاء الله نشر ذلك كله في كتاب اسميه موسوعة الموشح ، أتعرض فيه بتفصيل لكل قضايا الموشح ولتاريخه ولتراجم الوشاحين المغاربة والمشاركة مع نشر كل الموشحات ليكون مرجعا لدارسي هذا الفن والباحثين فيه من أدباء ولفويين ودارسي الاحوال الاجتماعية خصوصا في الاندلس مع الكلام على الناحية الموسيقية التي لها ارتباط متين بالموشح .

وهناك نواح أخرى لا ترجع لتصميم العروض يتعرض لها الكاتبون في موضوع الموشح وهي قضايا شكلية منها مسألة عدد الاسماط في الموشحات وذلك ان الموشحات تبدأ وتنتهي عادة بالمركز ، وبما ان كل مركز يتلوه سمط باستثناء الخرجة يكون عدد المراكز والاسماط فردا فاذا كان الموشح يتركب من خمسة اسماط وهو الاكثر يكون عدد المراكز ستة ومجموع أجزاء الموشح احد عشر جزءا . وهذا ما يسمى بالموشح التام . ولكن هناك وشاحون يستهلون الموشح بسمطه فيكون عدد المراكز موافقا لعدد الاسماط ، وهذا ما سماه ابن سناء الملك بالاقرع وتبعه في ذلك من جاء بعده مع ان هذه التسمية يمجها النوق السليم ولا تتناسب مع حلوة الشعر وبالاخص شعر الموشحات ، لذلك رأيت ان اسميه بلفظ أقل بشاعة وهو الاصلع وهو اوفق لان المقصود ان الموشح المسمى هكذا ينقصه شيء في راسه والاصلع ينقصه شعره ، اما القرع فهو مرض يبقى معه الشعر ويعالج . اما الاصلع فهيئات وقد حارت الاطباء في ارجاع شعره .

والموشح الاصلع اقل بكثير من الموشح التام فنسبته من المجموع 16 ٪ واكثرها في المفصن بأقسامه الثلاثة . ففي المفصن سبعة ورابعين موشحا اصلع ( 22 في المائة ) . وفي المفصن المزيج ستة وعشرون ( 19 ٪ ) وفي المبيت المزيج وهو الذي سمطه مفصن 3 موشحات ( 27 ٪ ) ما المبيت فليس فيه الا اثني عشر موشحا . ( 8 ٪ )

وهذا ونحوه من عدد الاسماط والمراكز فى كل موشح ومن انواع القوافي ومن لغة الخرجة التي ينبغي أن تكون الفاظها اقرب الى العامية كل هذا لا يمس بجوهر العروض الذي يرتكز قبل كل شيء على عدد الاغصان وعلى عدد المقاطع فيها وفي ابيات المبيت كما حاولت شرحه فى هذه المقالة .

ولكم الشكر على انتباهكم والسلام عليكم ورحمة الله .

محمد الفاسي

- (1) ولد ابن سناء الملك سنة 550 هـ ( 1155 م ) وتوفي سنة 608 هـ ( 1211 م ) . كتابه «دار الطراز» طبع بتحقيق الدكتور جودة الركابي بدمشق سنة 1368 (1949م).
- (2) من الاول الى الخامس ( يناير 1970 - دجنبر 1971 م ) .
- (3) الملاوي المفاتيح التي تشد بها الاوتار .
- (4) دار الطراز ص . 35 .
- (5) Hartmann, Das Muwassah
- (6) « مقدمة دار الطراز » ص . 14
- (7) استعمل فى اول هذا البحث الفاظا عادية لا اللفاظ الاصطلاحية التي ساذكرها واحد تعاريفها من بعد .
- (8) وقد تنبه لهذا الصفدي فى كتابه توشيع التوشيع ( بيروت 1966 ) حيث قال معرفا للموشح هو « كلام منظوم على قدر مخصوص » وهذا القدر المخصوص هو الذي توصلت لتحديده . وزاد قوله : « بقواف مختلفة » . وهذا ليس دائما صحيحا .
- (9) وهو شاعر اندلسي كان ايام المرابطين ، من اقدم الوشاحين الذين حفظ لنا على بعض موشحاته وتوفي حوالي سنة 540 هـ والموشح فى جيش التوشيع لابن الخطيب ، ص . 7
- (10) البيت هنا بمعنى الاعم لا بيت الموشح المبيت على ما حددنا معناه من قبل .
- (11) وهو من اشهر الوشاحين واكثرهم اجادة وهو من شعراء الدولة المرابطية وقد عاصر امير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين ( 500 - 537 ) . والموشح فى جيش التوشيع لابن الخطيب ص . 31 .
- (12) وابن الخطيب غني عن التعريف . توفي بغاس سنة 776 وموشحه هذا من اشهر الموشحات وقد عارضه جماعة من الشعراء ، كما انه عارض هو موشح ابن سهل الاسرائيلي « هل نرى ظبي الحمى ان قد حمى » . والموشح فى نفح الطيب للمقري ج 4 ص . 198 .
- (13) من اشهر ادباء غرناطة فى القرن الثامن توفي سنة 793 هـ .
- (14) ازهار الرياض للمقري ج 2 ص . 200 .
- (15) كان معاصر الاعمى التطيلي وكان يدعى عصا الاعمى لانه كان يقوده . ولم يبق من موشحاته سوى ما اثبتته ابن الخطيب فى جيشه .



# يألف ابن زيدون

محمد الصباغ

تمت التسمية في المغرب ، كما تم  
فيه — دوماً — وعلى معراج التاريخ ،  
تسمية « القمة » ، و « الزلافة »  
و « الجولان » وما إلى ذلك من أسماء  
الرياح ، والسنان ، وزهرة المداد .

بمرور الخارقة ، يمتلئ الزمن بالضوء ، حتى الفيضان  
يألف : تجويفة فراغ كانت ستبقى كمثيلات الآلاف  
المجوفة المبعثرة بين أطلال الضياع ، لا تقول شروق الشمس ،  
ولا استدارة القمر ، مر بها خطفا « زيدون » يومنا ، وعتيق  
أمسنا المؤندلس ، حاملا على جبينه هوى الأبد تألقات وشعاليل ،  
مبلا بثمالة عطر التاريخ ، فامتلا بهدير الازل .

---

(\*) بمناسبة الذكرى الالفية لولادة الشاعر ابن زيدون ، التي قررت وزارة الثقافة ،  
الاحتفال بها في بحر هذه السنة .



الكلمة زمن مضى ، بها وحدها يكتسب ديمومة وجوده ،  
وزخرفة حضوره في تقريشة الالق ، فيدخل في جهازة الحساب ،  
حتى يحسب به ، حالما يشرع في تعداد أشياء الجمال ، والبهاء ،  
والفتون : رائعة قافية ، أو طرفة ازميل ، أو « طروادة » أدب ،  
أو قطرة نغم منزلة على تنهيدة آه اعجاب شاردة ، تحرق .

وبدون كلمة السر هذه ، فالزمن تعلات فراغ ، ينقب  
بمؤثرات ساعاته عن أصحاب الخارقات ، ليخرجوه من حصار  
اللازم الغفل ، ليملاؤه بالضوء ، ليمهروه باسم ريق حميم ،  
ليزمنوه في الاسم .

تمت التسمية في المغرب ، كما تتم فيه — دوماً — وعلى  
معراج التاريخ ، تسمية : « القمة » ، و « الزلاقة » ، و  
« الجولان » ، وما الى ذلك من أسماء الرماح ، والسنان ، وزهرة  
المداد .

هكذا تمت التسمية ، فاحتشدت الألف بالشارقات .

هاهي السنوات الألف مجمعة ملونة في خريطة تأريخ ،  
تضمها ، فتفيض « أندلس ابن زيدون » من ثنايا أنا ملك ، وتسيل  
قصائد حفيف ، وأنات وله ، ودفق تباريح وصبابات .

فهذه « الاندلس » المبرحة ، المقفاة ، المغناة ، أينما انزلجت  
وانعطفت على شهامة مشارفها ، وتعدد مسالك أرجها ، تنديك  
الملاحاة ، وتحرقك البارقة ، وتحملك النخوة المشوقة المؤنقة :  
سروة كرامة ، ورفع كرامة على عريش مريش مبجل .

كيفما التفت اليه ، تلقاه في ومضة الشروق ، وخطفة الدهشة ،  
ودفع الريح والشوق الى لقيائك في ترنيمة قوافيه ، حتى تكاد  
تطل عليك أصابع يمينه العشرة ، من نعومة بديعه ، وتمتد  
نحوك ملهوفة في صورة عناق أليف ، فلا تملك الا أن تضمه اليك  
وتضمه . . . حتى تبهر في ضمة اللهفة ، سابحا في لألائها ، وان  
أدى بك الموقف الازرق ، الى الغرق الشعري . ما أحلى !



أن تكون قارئاً مبحراً في « ابن زيدون » ، عليك أن تخلق  
لنفسك مناخاً مشحوناً بأحاسيس البحر ، وانفعالات النسيم  
والعنادل ، وهينمات النسائم الرقاق ، وهزات القلاع .

عليك أن تمتزج حالاً بنغوات الاطفال ، وغنج القيان ، وأن  
تنصهر في صلصلة الحديد السجين ، وتبحث في قاموس الموبقة  
في « قرطبة » ، عن اثم اسمه : « جهور » .

عليك أن تنتهياً لا قتحام كوارث الجمال ، ودواهى اللوعة  
والنوح ، والأسى ، وأن تكون على أتم الاستعداد لتسلق قمة  
الصبايات ، بخفة فتوة ، لتشرف على كلية « زيدوننا » ومجمعه ،  
وهو متربع فى حدقة نزواته الغيبية الجمالية ، بجوار قمريته :  
« ولادة » — بحيرة أشواقه ، وذوب وجدانه وسقسقته .

كثيرة هى الريشات التى احتشدت بحبر الاندلس ، عليها  
تستطيع أن تسبر حقائق وجوهر : « ابن زيدون » ، وتلممها  
بفطنة استيعاب وشمول ، ودوما ، تحس بالنقص كامنا فى زياده  
الاسم ، وتقخيمه وتبجيله ، ومبالغة فى حمولته الكبيرة ، بزيادة  
« واو » و « نون » — شهابين ثاقبين .

والاسم فى مجرى المداد أو اللهاة ، له وزن مرصوص ،  
وزيادة .

هذه الزيادة فى « ابن زيدون » ، هى غور سره ، كما  
اقتربت منها الاقلام حارت وارتكبت لصعوبة ومشقة التوغل فى  
مجاهله النفسية والوجدانية السحيقة المبحرة بقلاعها الهائجة فى  
كونية عالمه .

فقطرة واحدة من قوافيه ، تتذوق فيها ندواة جميع السواقى

والجداول المترقرقة فى أدق وأرق عروق الانسان ، كيفما تلون ،  
وأينما سكن ، وحيثما ارتحلت به رياح الصبابة ، ومجاديف  
الشوق ، وتنقلات الزمن وتقلباته المزمنة .

مسكون بسواد الانسان ، مأهول بهوميه ومزقه ، الى  
حد فيضائها من مسامه ، طوفانا انسانيا كونيا .

فى نممة الرياش وشميمها عاش حالما ، كما عاش مؤرقا  
متشنجا فى رعدة الصقيع وراء وحش الحديد .

وبين الرياش والحديد ، منزلقات ، ومستنقعات ، تلتقى  
فيها أصناف مغامرات ، وسعايات ، وأرضيات ، شقها « زيدوننا »  
بشمم صقر ، وسمو سماء .

مترقرق ، شاسع ، فضفاض ، هفهاف ، مقتحم ، نبيل من  
نبلاء قمم وشاهقات الالباء ، والنخوة ، والكرامة ، كبير من كبراء  
النبض ، والهجس ، والخدر ، ودفق الهوى .

— \* —

كالرسم بالوهم ، كالنقش بالهاجس والغيب المحال .

كمن يقرأ النزهة في جناح نحلة ، والدأب والعناد في دبيب  
نملة ، والهيجان الازرق في موار موجه .

على طريقة الهجس الغنائى ، والهديان بالجمال ، يجب  
أن تحفظ « أندلس ابن زيدون » ، أن تغنى بالجهر ، ولا أقول :  
تقرأ ، بل تتذوق ، حتى التلمظ ، لتحديث قشعريرة الانفعال  
وضجته . فالقراءة عملية رتابة حيادية مألوفة هينة في كثير من  
الاحيان ، يعوزها تغور التذوق لحظات اشراق وومض  
ماردت ، لتصبح مرآة تعكس بصدق وعمق — وبالاخرى فى  
هذه الحالة — عملة « ابن زيدون » ، وتسريحة جذوره فى  
مكنونات الوهم ، الصب ، المغنى .



هكذا تكونت الخارقة فى « قرطبة » سنة 394 ، فاستيقظ  
الزمن — من اللازم — مع يقظة هذا الميلاد .

وهكذا تمت تسميته فى المغرب ، سنة 1394 بالضبط .

وبين التأريخين :

يا للألفية : ذكرى رجل تشعل له فى بلاد « القمة » ، وأرزة  
المداد ، ألف شمعة ، والزمن المؤلف : شمعدانها المذهب .

ياألف ابن زيدون .

محمد الصباغ

الرباط



في الاتحاد السوفيتي

## مع ابن بطوطة من البحر الأسود إلى نهر جيحون



ابن بطوطة

د. عبد الرزاق التازي

يظل ابن بطوطة علما يعتز به تاريخ المغرب الدولي على طول الاحقاب والسنين ، ويكفي أن نعرف أن جل البلاد التي تتمتع بكيانها اليوم داخل الامم المتحدة تشيد تاريخها البعيد وجغرافيتها القديمة عن طريق ما كتبه الرحالة العملاق الذي استطاع أن يفرض تهجي اسمه على مختلف البلاد سواء في افريقيا او أوروبا او آسيا .

ان الرجل ولو انه بدا مغامرته الناجحة في مستقبل عمره ، وبالتأكيد دون هدف سياسي ، لكنه لم يلبث أن امسى شبه سفير متنقل يعرف ببلاده في مختلف الآفاق التي زارها ، وبشتى نواحي الحياة فيها ، بروح سمحة بعيدة عن الحقد والتعصب ، بل انه غدا خاضعا في تنقلاته ،

لتعليمات العاهل المغربي كما تدل عليه بعض المقاطع من رحلته ،  
وبخاصة منها الفقرات التي تذكر أنه تلقى (( أمراً كريماً )) بالالتحاق ببلاط  
فاس العاصمة (1) .

ومهما قيل عن المعلومات التي ضمنها (( تحفة النظار في غرائب  
الامصار وعجائب الاسفار )) من سائر الذين كتبوا عنها عربا وعجماء ، على  
اختلاف مشاربهم ، فانها - أي تلك المعلومات - تكون مادة خصبة في  
تاريخ الممالك والمسالك على ذلك العهد ، وان بعض ما يواخذ عليه فيها  
لا يرجع عند المنصفين من المعلقين والملاحظين الا لسبب واحد وهو ان  
الرجل - وقد فقد مذكراته المكتوبة اثناء عملية السطو التي تعرض لها -  
خائنه ذاكراته عندما كان يملي مشاهداته - بعد ازيد من عشرين سنة  
على تدوين رحلته ، علاوة على ما يمكن ان يقع فيه من تضليل او جهل  
بعض التراجمة ممن كان يعتمد عليهم في نقل معلوماته ...

ويدل على المكانة التي احتلتها رحلة ابن بطوطة هذا التهافت الذي  
يشاهد منذ ازيد من قرن ، على رحلته من طرف الذين يهتمون بالتاريخ  
والجغرافية في العصر الوسيط علاوة على الذين تطوعوا للتعليق عليه  
وتتبع خطواته هنا وهناك .

لقد تصدى فريق الى الحديث عنه وهو في بلاد السودان (2)  
وبعضهم تحدث عنه في جزيرة مالديف وسيلان (3) ... وآخرون  
تحدثوا عنه وهو يجوب بلاد أفغانستان (4) ، وطائفة اهتمت به وهو  
في جهات اخرى (5) ...

وقد صحبت ابن بطوطة منذ زمن وهو يقطع مراحل في ايران ، وفي  
ليبيا ، وفي امارات الخليج (6) ووجدتني اليوم مدفوعا للسير في ركبته  
وهو يقطع البحر الاسود الى بلاد قفجق او روسيا الجنوبية ، وآسيا  
الوسطى وما وراء النهر ، اعني بعض ما يسميه العالم اليوم بالاتحاد  
السوفيياتي .

وقد علمت اثناء رحلتي الاخيرة لسمرقند ، احياء لذكرى الامام البخاري ، ان بعض رجال البحث هناك ينهمكون اليوم فى اعداد رسائل لهم عن رحالة العصر الذي خصص جزءا كبيرا من كتابه للحديث عن ممالكهم القديمة وآثارهم العظيمة ، فيهم فريق من المؤرخين الناشئين من جمهورية اوزبيكيستان ، وفيهم عالمان محققان بمعهد الاستشراق فى لينينغراد يشرفان الآن - كما اكد لي الاستاذ انس خالدوف - على مراجعة ترجمة باللغة الروسية ، كتبت قبل مائة سنة ، خاصة بالجانب المتعلق من الرحلة بآسيا الوسطى ، على ان هناك آخرون يهتمون ايضا بموضوع ابن بطوطة فى الاكاديمية العلمية ...

وكل هذا يؤكد ما الممت اليه من ان رحالة العرب يعتبر من اقوى الجسود التي ربطت المغرب بالبلاد الشرقية فى ذلك العصر وانه سنظل مدينين له فى الحديث عن علاقاتنا الاولى بالعالم الخارجى .

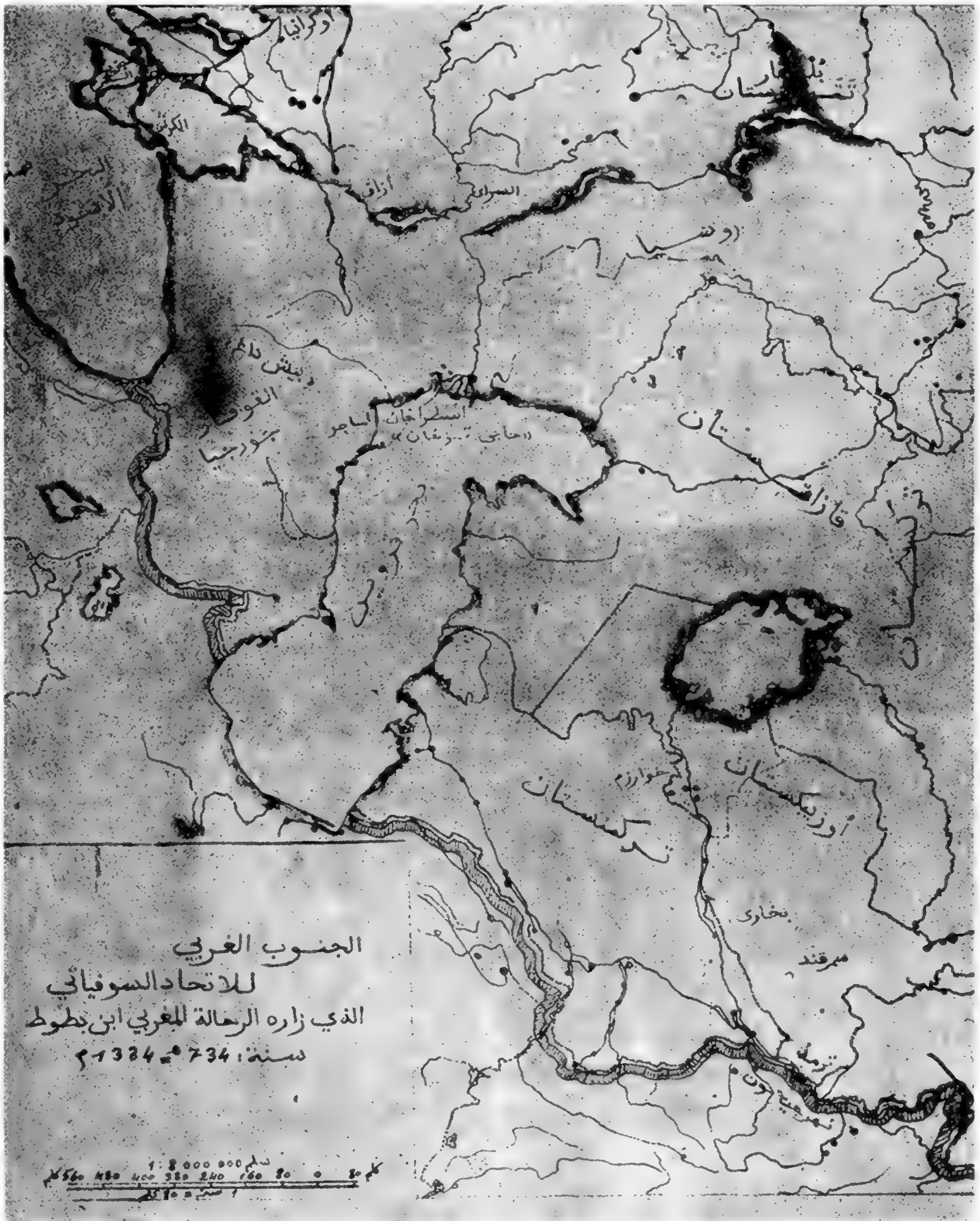


ومن غير ان نسوق النصوص الحرفية (( لتحفة النظر )) فاننا سنكتفى بتلخيص لما ورد فيها عن هذه المنطقة مركزين على المواقع التي زارها وعلى بعض المشاهدات والملاحظات التي اثارت اهتمامه معلقين بما تجمع لدينا من ملاحظات او تلقيناه من سكان تلك الجهات او شاهديناه رؤيا عين .



ودع الرحالة المغربي آسيا الصغرى من مدينة صنوب (Sinope) الساحلية اواخر جمادى الثانية 734 هـ - اوائل مارس 1334 م عبر البحر الاسود قاصدا جنوب روسيا المعروف آنذ تحت اسم قفجق (Kiptchak) وكان تحت حكم دولة منحصرة اصالة من الولد الاكبر لجنكيرخان ... وقد نزل فى شبه





جزيرة القرم (7) بعد ان تعرض مركبه للخطر واشتد به الامر وراى الهلاك عيانا ودهمه من الهول ما لم يعهد مثله بعد ان اكد له أبو بكر المغربي عما شاهده من اعلى المركب عن هياج البحر . . !

وقد نزل فى مرسى يحمل الى الان فى الخرائط السوفياتية اسم الكرش (KERTCH) عند مدخل بحيرة أزوف (AZOV) ومن هناك وبمساعدة طائفة من المغول تابعة لما كان يسمى « القبيلة الذهبية » « LA HORDE D'or » وصل ركب ابن بطوطة الى الميناء الرئيسي للجنوبيين فى شبه الجزيرة الذي كان يحمل اسم الكفا وهو بالذات المرسى الذي يعرف اليوم باسم (FEODOSIA) والذي كان يتوفر على عدد من المراكب الحربية والتجارية .

ومن هذا المرسى انتقل الى مدينة القرم التي استعارت منها الجزيرة كلها هذا الاسم والمعروفة فى الروسية هكذا (KRYM)

وكانت المنطقة المذكورة معدودة من الامبراطورية الواسعة للسلطان العظيم محمد اوزبك خان الذي تملك زهاء ثلاثين سنة ( 712 - 741 = 1312 - 1341 ) والذي يقترن اليوم اسم احدى الجمهوريات « التركستانية » السوفياتية ( اوزبكستان (8) ) باسمه . . .

وبعد ان اقام ابن بطوطة فى ضيافة حاكم مدينة القرم الامير تولوكتمور (TOLOCTOMOUR) متعرفا على مختلف المعالم الاسلامية التي تزخر بها المدينة . . . حرص على السير صحبة الامير المذكور الى عاصمة السلطان ( اوزبك ) التي سماها ابن بطوطة ( السرا ) يعنى السراي .

وقد استعد للسفر من مدينة القرم الى العاصمة المذكورة بتحضير العربات اللازمة لقطع مثل هذه المسافات وكانت فرصة للرحلة المغربي لتقديم وصف طريف لوسائل التنقل عند التتر القدامى (9) .



وقبل ان يستمر في طريقه يقدم اليها عن المنطقة بعض المعلومات التي ما تزال الى الان طرية بتلك الجهات ، فقد تحدث عن عادة الاتراك والتتر في تناول لبن الخيل ، وقال انهم يسمونه القمز (KUMYS) والامر ما يزال كذلك حيث يقدم الى الضيوف في بعض الحفلات ، كما حدث بالنسبة اليها في ( اوبا ) عاصمة جمهورية باشقردستان حيث وضعت امام الوفود كوؤوس من المشروب المذكور ، وهو في منتهى الحموضة والخفة ايضا ، وبالرغم من ان ابن بطوطة لم يستفسر على الاطلاق مرددا انه (( لا خير فيه ! )) فان الناس هناك مطبقون على ان له مفعولا لا يقل عما عهد في المشروبات المنبهة الاخرى !

وتحدث ابن بطوطة عن تناوله لاكلة تسمى الرشته (Resthe) وهي نفس التي تناولها المؤرخ المغربي ابن خلدون مع تيمورلنك في دمشق الشام (10) : ضرب من الشعرية مطبوخة ومضافا اليها شيء من اللبن احيانا وكثيرا ما تقدم في المنادب والحفلات ، على انها اي الرشته ما تزال معروفة ايضا في عدد من البلاد العربية لبنان ومصر وحتى في بعض بلاد المغرب الشرقية كما تحدث ابن بطوطة عن نوع من النبيذ يتناولونه يحمل اسم البوطة او البوزة ، واللفظ معروف كذلك اليوم والكلمة داخلة في اللغة الصقلية (Cyrilique) ، وتكتب هكذا BODA

ومن المطرف في حكايات ابن بطوطة عن المنطقة انه كان يجد نفسه احيانا في مأزق من حيث جهله للغة اهل البلاد ، تماما على نحو ما يجري لاي عابر اليوم بهذه الناحية ، ونستفيد من خلال هذا ان اللغة العربية كانت تعيش في محنة منذ هاتيك العصور ... وقد مرت بابن بطوطة متاعب من جهة الترجمة نقشت على ذاكرته فلم ينسها بمرور الاعوام ... وهكذا فبعد ان يذكر تورطه في بعض جهات آسيا الصغرى حيث استحضروا فقيها من مكان بعيد ادعى انه يعرف العربية ليقوم بدور الترجمة ولما طلبوا اليه تادية ما قاله الرحالة ، اعتذر بان ابن بطوطة يتكلم باللغة العربية القديمة بينما هو ( اي الترجمان ) لا يعرف الا اللسان

العربي الجديد (11) ، وبعد ان يذكر خيبته كذلك وقد قدم اليه ترجمان كشف الفيب انه لا يعرف من اللسان العربي الا كلمة ( نعم ) خاصة ! وبعد ان يذكر قصته وقد بعث ليشتري سمنا فاحضر له بدل السمن تبنا ، وتبين ان للسمن اسما آخر غير ما يعتاده الرحالة ... بعد ذلك يذكر انه ايضا في آسيا الوسطى سال الامير عن شراب قدم اليه فاجابه : (( هذا ماء الدهن )) فتناوله منه وحالتنا قبل ان يتضح انه نبيذ ( البوزة ) الذي يتناولونه بكثرة وان المجيب عوض ان يقول ( ماء الدخن ) بالخاء ، تحرف النطق ، على نحو ما يحصل عند المتلقين للسان آخر !

لقد قطع ابن بطوطة زهاء عشرين منزلا ليصل الى المدينة المعروفة بأزاق ، والتي تقع على مصب نهر ضون (DON) المعروف اليوم أيضا باسم نهر أزوف (AZOV) المتصل بالبحيرة التي تحمل نفس الاسم ، وكانت المدينة AZAQ ملتقى مشهورا للتجار الجنوبيين وغيرهم .

وقد وجد ابن بطوطة في استقباله بأزاق امير المدينة محمد خواجه الخوارزمي الذي كان قد تلقى اشارة سابقة من امير مدينة القرم تخبره بوجهة الرحالة المغربي نحو السلطان ( اوزبيك ) كما وجد في استقباله حركة ( الأخية الفتيان ) التي كان لابن بطوطة فضل الاهتمام بها والحديث عنها طيلة تنقلاته في هذه الجهات (12) ، وقد حضر الرحالة المغربي مائدة فاخرة اقيمت على شرفه قدمت فيها كذلك البان الخيل والبوزة وتليت فيها الخطب باللغة العربية والتركية وصدق فيها بالغاء العري والفارسي والتركي .

ومن مدينة أزاف اتجه نحو مدينة ( الماجر ) التي وصلها يوم 23 شعبان 734 = 29 ابريل 1334 وهذه المدينة هي المعروفة حاليا بـ ( موركومانديري ) (Murgomandjary) على نهر لاكاما (Lakama) الى الجنوب الغربي من استراخان (ASTRAKHAN)

وفي هذه المدينة التقى الرحالة المغربي بيهودي ورد من الاندلس على هذه الديار برا من غير ان يسلك طريقا للبحر وصلها عن طريق القسطنطينية العظمى وبلاد الروم ( او الترك ) وبلاد الجركس .

وقد لذ للرحالة المغربي أن يتحدث بأسهاب عن المركز المرموق للمرأة التترية وكيف تعامل باحترام من قبل المجتمع من أعلى شخصية في البلاد الى أولها ، وهو يفرد مقاطع للحديث عن الخواتين يعني الاميرات زوجات السلطان ، وتقاليدهن داخل البيوت مع الامراء على نحو ما كانوا عليه في وطنهم البعيد من حب واخلاص وتفان في سبيل راحة أزواجهن (13) .

ومن مدينة الماجر تجهز ليقصد مصطفى السلطان أوزبك الموجود على بعد مسيرة أربعة ايام في حمة هناك ، بالمنطقة المعروفة باسم (بيش داغ) إحدى مرتفعات القوقاز وهي اليوم (Reshtau) التي تقع على مقربة من (Pyatigorsk) المعروفة بعيونها الكبريتية الشهيرة وقد وصل ابن بطوطة المعسكر أول رمضان 743 = 6 ماي 1334 .

كانت مناسبة للرحالة أن يتعرف على نظام البلاط الاوزبيكي وتشريفاته ويتحدث عن الامبراطور محمد اوزبيك الذي كان يبسط نفوذه على رقعة واسعة الارحاء وكان الى جانب هذا - وبالرغم من المصاهرة بينه وبين ملك الروم - يقظا حذرا من قسطنطينية العظمى التي كانت تحاول بسط نفوذها على اطراف البلاد الاسلامية المجاورة .

ولم ينس ابن بطوطة - وهو يرتب الملوك السبعة الذين يحكمون الدنيا - ذكر العاهل المغربي السلطان ابا عنان الى جانب سلطان مصر والشام ، وسلطان العراقيين العرب والعجم ، والسلطان اوزبك وسلطان بلاد تركستان (14) وما وراء النهر ، وسلطان الهند وسلطان الصين .

لقد استقبل الضيف المغربي من قبل السلطان اوزبك في اليوم الموالي لوصوله في عصرية حافلة ، شهدها المشايخ والقضاة والشرفاء ، واستمر الحديث الى حلول وقت الافطار حيث نصبت مختلف أنواع المشروبات واصناف الطعام .

ويظهر ان ابن بطوطة نال في القصر الاوزبيكي خطوة كبرى مكنته من التعرف كذلك على مركز الخواتين ودرجاتهن من الكفاءة والجاه بل انه كلف

نفسه عناء البحث عن خطوة الخاتون الكبرى طايطوغلي (Thai Thoghly) وأن مرد ذلك لسبب فسيولوجي ، فإن رحمها شبيه بالخاتم خلقة ، ولذلك يجدها السلطان كل ليلة كأنها بكر !

وقد نقل لابن بطوطة أن الخاتون المذكورة من سلالة السيدة التي يذكر أن الملك زال عن سليمان عليه السلام بسببها ، ولما عاد إليه ملكه أمر بوضعها بعراء لا عمارة فيه فوضعت بصحراء قفجق .

وبما عهد في الرحالة المغربي الشاب من اقدامه على تعدد النساء وتغييرهن وتبديلهن فانه اهتم بموضوع بقايا السيدة المنبوذة بالعراء ، وظل يسأل أهل صحراء قفجق بل انه اخذ يسأل أهل الصيـن الذين اخبروه ان هناك صنفا من النساء على تلك الصورة ، ويظهر ان ابن بطوطة جرب حظه في التعريس ببعض التتريات لكنه (( لم يقع بيدي ذلك ولا عرفت له حقيقة )) على حد تغييره !!



وقد كان من بين الاميرات التي سلم عليهن وتحدث عنهن الخاتون بايلون (Bayalûn) بنت سلطان الروم تكفور (TAKVOR) امبراطور القسطنطينية العظمى وبيزنطة (15) ، وكانت تحيط بها زهاء مائة جارية ما بين رومية وتركية ونوبية اضافة الى حجابها من رجال الروم وقد لاحظ ابن بطوطة انه عندما اخبرها عن وطنه البعيد بكت ومسحت وجهها بمنديل كان بين يديها حينئذ منها ورقة !



وبينما ابن بطوطة في هذا الجو الحافل بالتكريمات والتشريفات ، لد له - وقد سمع بمدينة بلغار او قرا عنها شيئا من امثال ما في رحطة فصلان (16) - ان يقوم بالتوجه اليها ليرى رؤيا عين ما ذكر له عن قصر الليل بها في ايام الصيف ، وقصر النهار بها كذلك ايام الشتاء .



ويقول الرحالة المغربي انه طلب الى السلطان مساعدته لتحقيق هذه الرغبة ، فبعث في صحبته اميرا اوصله الى ( بلغار ) ورافقه في العودة ، ويتذكر ابن بطوطة انه وصل الى هذا الموقع في رمضان وانه لما صلى المغرب افطر وتم اذان العشاء وهو في اثناء الافطار فصلاها وادى تراويح رمضان والشفع والوتر وطلع الفجر في أعقاب ذلك ، وقد استمع برؤية هذه الظاهرة الطبيعية خلال فترة ثلاثة ايام قضاها في تلك الديار الى ان كان رجوعه يوم الاربعاء 28 رمضان 734 = 1 يونيو 1334 .

واذا كانت حكاية ابن بطوطة عن هذه الظاهرة ، عادية لأن موقع بلغار الجغرافي - وهي على خط عرض 54 - 54 شمالا لا يختلف كثيرا عن موقع الدانمارك الذي يعيش هذه الظاهرة ، فان بعض الملاحظين علقوا على تقدير ابن بطوطة ان بين مصطفى السلطان في (( بش داغ )) وبين مدينة (( بلغار )) مسيرة عشرة ايام ، علقوا عليه بما يقتضي تخطئة ادعائه قطع مسافة تناهز الفا وثلاثمائة كيلومتر - من القوقاز الى قازان - في ظرف عشرة ايام .

والحقيقة ان هذه أولى الملاحظات التي أحصيت على الرحالة المغربي وهو في هذه الناحية .



لقد تحدث ابن فضلان في رحلته عن طريق الوصول الى بلغار بتفصيل ، وقد اعتمد ياقوت الحموي على وصف ابن فضلان وتعيين موضعها وحدودها عندما قال في جملة ما قال :

(( بلغار مدينة الصقالبة ضاربة في الشمال لا يكاد الثلج يقلع عن ارضها صيفا ولا شتاء ، وبين ( اتل ) مدينة الخزر وبلغار على طريق المفاوز نحو شهر ، ويصعد اليها في نهر اتل ( فولغا ) نحو شهرين وفي الحدود نحو عشرين يوما ومن بلغار الى بشجر ( باشقردستان ) خمس وعشرون مرحلة )) .



ومن الواضح ان موقع مدينة البلغار المذكورة لا علاقة له ببلاد  
البلغار الحديثة التي تقع على الضفة الغربية للبحر الاسود .

ان آثار مدينة البلغار تقع على الضفة اليسرى لنهر ( الفولكا ) تحت  
التقاءه بنهر لاکاما ( LAKAMA ) ، ويضاف الى ذلك ان هذه المدينة كانت  
عاصمة لمملكة بلغاريا الكبرى ، وانها كانت مركزا رئيسيا لتبادل تجارة  
روسيا وسيبيريا وقد استولى عليها التتر في القرن الثالث عشر .

فاذا اصفنا الى هذا ان ابن بطوطة - على خلاف عادة - لم يقف  
بنا طويلا عند هذه المدينة ولم يتحدث عن أثر من آثارها ، ولا شخصية من  
شخصياتها استخلصنا من كل ذلك ان الرحالة المغربي لم يزر مدينة  
بلغار بنفسه ولكنه روى ما تناهى اليه من معلومات عنها ولو ان أسلوبه  
يقتضي عكس ذلك .

والحقيقة ان لابن بطوطة عنرا بارزا فان السطو على مذكراته الاصلية  
على ما اسلفنا واعتماده - بعد فترة طويلة من الزمن - على ذاكرته التي  
رجع فيها الى ما كان يتلقفه بواسطة الترجمة ، كل ذلك يبرز عدم التدقيق  
في الموضوع .

واذا علمنا ان البلغار او الصقالبة كما تسميهم الرواية الاسلامية -  
توزعوا اوائل القرن السابع الميلادي في اعقاب حملة الخزر عليهم حيث  
ذهبت طائفة منهم بقيادة اسبروخ ( ASPAROUKH ) الى الدانوب حيث  
كونت دولة ، واتجه قسم منهم الى جنوب ايطاليا حيث امسوا بالاندلس  
في خدمة الدولة الاسلامية منذ ايام الحكم 180 - 206 = 796 - 822  
فان قبائل منهم استقروا ببلغار فولكا (17) حيث انتشر فيهم الاسلام منذ  
القرن الثاني للهجرة وكانت لهم علاقات سياسية مع الخلافة ببغداد الامر  
الذي يفسره وصول سفارة هامة الى بلغار برئاسة ابن فضلان يوم 12  
محرم 310 = 11 ماي 922 وهو التاريخ الذي ما يزال الى الان محفوظا  
لدى سكان المنطقة ...

وقد استولى التتر على بلغار هذه حوالي عام 635 = 1237 واتوا على معالمها وكان مما زاد في اندراس آثارها حملة تيمورلنك عام 797 = 1395 ثم اتخذ السلطان أولغ بك قازان عام 850 = 1446 عاصمة جديدة للدولة (Novy Bulgar) حيث أصبحت بلغار القديمة ضمن لائحة المواقع الأثرية التي ينقب فيها !



وبعد حديث ابن بطوطة عن بلغار قدم لنا وصفا عن أرض الظلمة (سيبيريا) التي كان يعتزم الدخول إليها لولا التكاليف التي وقفت دون تحقيق غرضه وهكذا ذكر عادة اعتماد الناس على الكلاب لجبر العربات الصفار وانها هي وحدها التي تستطيع أن تغزو تلك المفازات باظافرها الناشبة ، وهي عادة ما تزال الى الان ماثلة ، شاهدنا فيها صورا في مدينة ( أوفافا ) عاصمة باشقردستان التي كانت خاضعة لبلغار في قديم الزمان .

وعلى نحو ما ذكره الرحالة المغربي فان قيمة الكلاب هناك مرتفعة ومركزها ايضا في المجتمع رفيع حيث يقدمونها على الانسان في الاكل ولا تضرب ولا تنهر .

ويتعرض ابن بطوطة للتجارة هناك في اصناف الفرو التي ما تزال المنطقة معروفة بها عبر السنين فيذكر اوصافها والوانها وخاصياتها واثمانها على اختلاف العملات بين الهند والمغرب وكأنما امسى ابن بطوطة من هواة الفرو !

وقد تحدث عن الطريقة المتبعة آنذاك في بيع الفراء : طريقة التبادل المباشرة والتجارة الصامتة التي استبدلت اليوم بالمزاد العلني الذي يعقد سنويا في لينيفراد !

ويصف ابن بطوطة التجارة الصامتة بان التجار عندما يردون على البلاد يتركون ما جاءوا به من البضاعة هناك ويعودون الى حيث يقيمون

فاذا كان من الغد عادو لتفقد متاعهم فيجسّدون بازائمه فرو السمور والسنجاب والقاقم فان رضي صاحب المتاع ما وجده ازاء متاعه اخذه وانصرف وان لم يرضه تركه ، فيزيدونه ، وربما رفع اهل بلاد الظلمة متاعهم وتركوا بضاعة التجار وهكذا يتم البيع والشراء .

ومع ان وصف ابن بطوطة لطريقة التجارة في تلك البلاد يبدو غريبا الا انه لا يخلو من جنور واقعية ، فقد تصافت نصوص التاريخ على ان الاوربيين عرفوا هذا الاسلوب من التجارة مع الهنود الحمر في امريكا ، كما عرفه القرطاجنيون مع بعض الامم في العصور القديمة ، وعرفه الاحباش مع بعض القبائل الافريقية في القرن السادس الميلادي ، ومن المعروف ايضا ان الاقزام الافريقيين كانوا يتبادلون التجارة مع جيرانهم الزنوج على هذا التحديد الذي يطلق عليه اسم ( التجارة الصامتة (18) .

وليس صحيحا ما قاله كراتشكوفسكي من ان ابن بطوطة اعتمد في وصف بلاد الظلمة على مصدر ادبي فان اهم الرحالة الذين زاروا منطقة الفولغا هم ابن فضلان ، وابو حامد الفرناطي ، ورحلة كل من هذين الرجلين خلو من المعلومات التي قدمها ابن بطوطة (19) .



وبعد عودة ابن بطوطة من ( بلغار ) حضر عيد الفطر 734 = يونيه 1334 مع السلطان اوزبك الذي وجده ما يزال بمصطافه الذي تركه فيه في بيث داغ .



وقد اتى بوصف ممتع للتشريفات السلطانية المتبعة من قبل البلاط الاوزبيكي بمناسبة العيد الذي صادف يوم الجمعة (20) بما في ذلك

الجلوس لتقديم الخلع التي يتقبلها المحظوظون بالعادة التي تسمى « الخدمة (21) » وبما في ذلك تخصيص كل شخص بمائدة له معينة له ، وتناول اللحوم المسلوقة واكواب النبيذ والقمر مما لا يزال معروفا في عادة المنطقة الى اليوم .

وبعد قضاء أيام العيد انتقل الركب السلطاني بمحطته في اتجاه مدينة الحاج ترخان وهي بالذات مدينة اصطراخان (ASTRAKHAN) التي تقع على نهر فولكا .

وبعد ان يقدم وصفا لنهر ( اتل = فولغا ) الذي يعتبر - كما قال - من انهار الدنيا الكبار ، والذي يقضي السلطان على ضفافه أيام المصيف، يؤكد مما عرف من ان مياه النهر تجمد حينما يشتد البرد . وهنا وفي هذه المدينة حدث ان اعربت الخاتون بيلون (Beïaloûn) ابنة ملك الروم عن رغبتها للسلطان محمد أوزبك ان يأذن لها في زيارة والدها بالقسطنطينية لتضع حملها عنده وازافت الى طلبها هذا اقتراح مرافقة الرحالة المغربي ابن بطوطة لركبها لمشاهدة عاصمة البيزنطيين .

وبالرغم من أن السلطان أشعر ابن بطوطة بأنه يشفق عليه ان يناله ما قد يقلق في بلاد الروم ، لكنه لم يلبث ان عاد ليمنحه شرف مرافقة زوجته الاميرة بنت الامبراطور .

وهكذا نجد ابن بطوطة يحظى بمركز سام في القصر ، ويمسى من اثرياء الناس بما تجمع لديه من صلة السلطان أوزبك وعطاءات الخواتين حيث توفرت لديه جملة من الدنانير والسبائك والثياب والخيل وفروات السنجاب والسمور .

وقد اخذ طريقه نحو القسطنطينية يوم العاشر من شوال 434 = 14 يونيو 1334 حيث خرج العاهل بنفسه لتوديع الاميرة يصحبه القصر بما يضمه من امراء واميرات .



لقد سافر صحبتها آلاف الجند فيهم الممالك والروم والترك والهنود ومئات من الجواري الروميات وغيرهن ، كما صحبتها أربعمئة عربية وزهاء ألف فرس وثلاثمئة من البقر ومائتان من الجمال .

وتحركت المدينة المتنقلة نحو بلاد الروم ( تركيا اليوم ) ويذكر ابن بطوطة انهم نزلوا مدينة تحمل اسم ( كك OCAC ) التي يعتقد ان القصد بها الى الموقع الذي يحمل اليوم اسم لوكاشي (Locachi) الذي يقع على نهر أزوف .

وبعد هذا يصل الى مدينة سورداق التي تعرف اليوم باسم (Sudak) بجزيرة القرم ، وقد كانت بها مستودعات لتجار فينيسيا ثم جنوة وقد وصفها رحالتنا بأنها تقع فعلا على ساحل البحر وان مرساها من اعظم المراسي .

ولنا وقفة اخرى هنا مع ابن بطوطة ! فان كل الدلائل تشير الى انه سلك طريق البر الى بلاد الروم حيث انه لم يتعرض اطلاقا لمراكب بحرية وبناء على ذلك فانه من غير الواضح ان يقوم ركب الخاتون بتلك الجولة في بلاد القرم ، ولعله قد خلط في خطوط سيره ، وربما كانت زيارته لسورداق اثناء مروره الاول بجزيرة القرم وليس خلال هذه الرحلة .

هذا وقد ذكر ابن بطوطة انه من سورداق قصد الى بلدة بابا سلطوق آخر بلاد الترك وقد كان بينها وبين اول عمالة الروم ثمانية عشر يوما في برية غير معمورة دخلها الركب الاميري في منتصف ذي القعدة من عام 734 = 18 يونيو 1334 .

ومن بابا سلطوق الى حصن مهتولي (Mahtoûly) الذي كان اول بلاد الروم حيث بقيت العربات هنا واعتمدوا على الخيل والبغال لوعورة الجبال ثم حصن مسلمة بن عبد الملك الذي يقع على سفح جبل على نهر زخار يدعى اصطافيلي (Asthafly) ثم الى مدينة كبيرة ذات انهار واشجار على ساحل البحر كانت المدينة التي توجد قبل الوصول الى



القسطنطينية التي نودعه ليتجول في معالمها بعد ان حظى بخلعة ومظلة ملكية وعينت لمراقبة بعثة شرف ... على ان نستقبله من جديد في حصن مهتولي حيث يعود الى العربات التي تركها هناك وبأخذ نفس الطريق التي ورد منها والوقت برد ...

ولما وصل الى مدينة الحاج ترخان ( اصطراخان ) حيث ودع السلطان ، وجد ان الملك اوزبك عاد الى قاعدة ملكه السراي (22) . فاخذ الطريق اذن الى العاصمة في جو قارس ( نونبر 1334 ) اضطر معه ان يلبس ثلاث فروات وسروالين وان يجعل في رجله خفا من صوف فوقه خف مبطن بثوب كتان وفوقه خف ثالث بلغاري ظاهره جلد فرس وباطنه جلد ذيب .

واذا كانت الاقدار قد شاءت ان تصرف ابن بطوطة في المرة الاولى عن الوصول الى مدينة السراي حيث وجد الملك يستحم في مصطافه ويستحم ، فركن اليه الى ان سافر الى ( بلغار ) وعاد ليرافق الاميرة الى والدها ، فان الظروف سمحت له بهذه الزيارة بحضرة الملك في هذه المدينة التي تعتبر (( من احسن المدن مظهرا واوسعها شوارع واكثرها سكانا ، واجملها اسواقا ...

لقد كانت العاصمة تحتوي على ثلاثة عشر مسجدا لاقامة الجمعة اضافة الى طائفة من المساجد الاخرى وتحتضن العاصمة عددا من القوميات ففيهم المغول وبعضهم مسلمون وهم اصحاب البلاد والسلاطين، وفيهم الآس وهم مسلمون (23) ، ومنهم القفجق والجركس ، والروس ، والروم وهم مسيحيون اضافة الى الغرياء من اهل العراقيين ومصر والشام وغيرها ، كل طائفة تسكن على حدة في محطة تحتوي على عدد من الاسواق ، وبالعاصمة هذه يوجد قصر السلطان اوزبك ، وهو اي القصر يحمل اسم الطون طاش (AL THOUN-THACH) يعني حجر الذهب ، وتتوفر المدينة على قاضي من خيرة القضاة ، وعدد من المدرسين في المذهب الشافعي والمذهب المالكي ...

وياخذ ابن بطوطة - بعد هذا المقام في السراى الجديد العاصمة الثانية للملك اوزبك - طريقه جنوبا نحو منطقة خوارزم التي تفصلها عن الحضرة مسيرة اربعين يوما في تقدير ابن بطوطة .

وهكذا غادر المدينة يوم 12 ربيع الثاني 735 = 10 دجنبر 1334 مارا بعد عشرة ايام بمدينة سراجوق (Seräitchik) حيث استعاض ابن بطوطة عن الخيل بالجمال التي تستطيع جر العربات في الصحراء وقد صحبه الى خوارزم ثلاث من الجواري كن يشاركه عربته ...

ويقدم ابن بطوطة مدينة خوارزم على انها اكبر مدن الاتراك واعظمها واجملها واضخمها بأسواقها وشوارعها وعماراتها ومحاسنها وسكانها ، ولا شك ان الرحالة يقصد الى وصف مدينة ( الجرجانية ) عاصمة الناحية الشاسعة التي كانت تحمل بجملتها اسم خوارزم الذي كان يطلق على العاصمة ايضا (24) ، وقد كان الوالي على خوارزم من قبل سلطان قفجق هو الامير قوطلودمور الذي عمر المدرسة ومرافقها بينما عمرت زوجتها الخاتون مسجد المدينة .

وقد تحدث ابن بطوطة كذلك عن المستشفى الذي كانت تحتضنه المدينة والذي كان يشرف عليه طبيب شامي يعرف بالصهيوني نسبة الى صهيون من بلاد الشام ، وقد اصفى على اهل خوارزم من تقديره لحسن اخلاقهم وكرم نفوسهم وحبهم للغريب الامر الذي ما يزال اهل المنطقة يتمتعون به بل ان كرمهم ليصل احيانا حد الازعاج كما قالها صادقا احد الزملاء التتريين !

ويذكر ان المؤننين في خوارزم يطوفون على دور الجيران لتذكيرهم بحضور وقت الصلاة وان كل مسجد يحتوي على درة لجلد التاركيين الذين يجبرون على اداء خمسة دنائير تنفق في مصالح المسجد واكرام الواردين ، واذا كان ابن بطوطة قد تحدث عن ان هذه العادة مستحكمة فيهم من قديم فانا نذكر هنا ان المسلمين هناك الى الان هم الذين يتولون انفسهم تلك النفقة وذلك الاكرام .. وذلك التواصي على الصلاة ...

وبمناسبة الحديث عن معالم المدينة ذكر أنه يوجد بخارجها زاوية بنيت على تربة الشيخ نجم الدين الكبرى الذي قتله المغول في خوارزم عام - 1221 ، وقبة ضريح الامام الزمخشري نسبة الى زمخشر التي لا تبعد عن خوارزم الا بمسافة اربعة اميال .

وكشف ابن بطوطة عن ان مذهب الاعتزال هو الغالب على طائفة مهمة من الناس هنا . . بيد أنهم لا يظهرونه لان السلطان اوزبك واميره قوطلو من اهل السنة .

واضافة الى هذا يعطى الرحالة فكرة عن الثروة والسعة التي يعيش عليها القوم هنا ، فان المجالس مفروشة بالزرابي الحافلة والحيطان مكسوة بالملف ، والطيقان مؤتة باواني الفضة الموهة بالذهب والاواني العراقية . . .

وقد خصص ابن بطوطة حديثا لامير خوارزم قوطلو دومور الذي استقبله بالرغم من انه كان يشكو داء النقرس المتفشي في بلاد الترك ، حيث جرى حديث ودي بين امير خوارزم وبين الرحالة المغربي حول السلطان محمد اوزبك وزوجته الاميرة بيلون التي رافقها ابن بطوطة الى القسطنطينية .

وقد تحدث عن المادبة الفاخرة التي اقيمت على شرفه ولم يففل ذكر الاواني والملاعق الفضية والذهبية واواني الزجاج العراقي . . .

وذكر الاصناف التي قدمت من انواع اللحوم ومختلف الحلويات ومن ضمنها ( الكليجا ) التي ما تزال محتفظة باسمها الى الان عبر هذه البلاد الى بغداد ، وكذلك متنوع الفواكه وخاصة بطيخ خوارزم الذي كان - وما يزال - مضرب المثل في حجمه الكبير وفي نكهته وحلاوته مما كان يغري للادمان عليه ذكرى لرحالتنا المغربي . . !

ويحكى ابن بطوطة عن شريف من اهل كربلاء بالعراق يدعى ( علي بن منصور ) رافقه من عاصمة السراي الى خوارزم . وانه كان من اكرم الناس

خلقا واضبطهم سلوكا ... وانه حفاظا على مروءته ، وابقاء على شرفه انتحر بسبب حادث وقع له ، وان هذا الشريف العراقي سبق له ان حاول مرة اولى الانتحار عندما ربط عمامته بسقف البيت .. !

وهكذا وكان ابن بطوطة يتندر في زميله العراقي تلك الشهامة من غير ان ينتقد عملية انتحاره ! وبعد ان ودع أمير خوارزم قصد الى بخارى وكان قد اخذ استعدادا مرة اخرى لقطع مسيرة لا تقل عن ثمانية عشر يوما

وقد نزل في طريقة الى بخارى بمدينة اخرى كانت عاصمة ايضا لخوارزم ، هي مدينة الكات (ALCAT) حيث اجتمع هناك بالقاضي والطلبة وشيخ المدينة ...

وقد اقترح عليه القاضي ان يزور أمير المدينة ، بيد ان شيخها كان يرى ان واجب الامير ان يتفقد زائره عملا بالقول المأثور « القادم يزار » وتم اللقاء بين الامير وبين الرحالة حيث اقيمت على شرف هذا دعوة كبرى ...

وبعد مسيرة ستة ايام وصلوا الى بلدة وبكنة (WABKENEH) التي تقع على مسيرة يوم من مدينة بخارى ، والتي ما تزال الى الان محتفظة بمادنتها الانيقة التي ترجع لواخر القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي (25) .

ويؤكد ابن بطوطة ان مدينة بخارى كانت قاعدة بلاد ما وراء النهر : نهر جيحون ، ولكنها تعرضت للتخريب من قبل جنكيزخان (26) ، فمساجدها ومدارسها واسواقها خربة الان ، واهلها على حال من الانكسار والهوان ... وليس بها من الناس اليوم من يعلم شيئا من العلم ولا من له عناية به !

وقد اغتتم الرحالة فرصة الحديث عن تخريب مدينة بخارى ليقيم تحقيقا عن تاريخ ظهور جنكيزخان وذريته على نحو ما قدمه ابن خلدون



تقريباً في رسالته الى عاهل بني مرين في اعقاب اجتماع بالشام مع  
تيمورلنك (27) ...

وكان ابن بطوطة يأسف على ما تعرض له التتر من حيف في البداية  
من طرف بعض المسلمين فانقلبوا نقمة على البلاد الى ان هداهم الله  
لاعتناق الاسلام فامسوا من ابطاله المعضودين !

يقول عن جنكير انه اختير من طرف قومه وكان ذا بسطة وقوة -  
فامسى زعيم بلاده ولم يلبث ان تزعم شمال الصين بل وتملكها كلها  
واستولى على عدد من البلاد الاخرى ...

وبالرغم من استفحال امر جنكير فانه لم يجرؤ على افتتاح ما وراء  
النهر نظراً للهيبة والمنعة التي كان يتمتع بها انذاك جلال الدين سينجار  
ملك خوارزم وما وراء النهر وخراسان كذلك ، وحدث ان ارسل جنكين  
بعثة تجارية بامتنعة من الصين الحربية الى عمالة الملك جلال الدين ...  
وحيثما تلقى هذا تقريراً من عامله حول وصول البعثة كتب يطلب اليه  
الضرب على يدها ... !

ومن هنا ابتدأت المأساة التي اجتاحت بلاد المشرق كلها ... وآل  
الامر الى ان تملك جنكير ما وراء النهر وخرب ترمذ وبخارى وسمرقند...  
الى ان انتهى امر التتر باقتحام بغداد والاجهاز على المستعصم بالله ...

ويحكى ابن بطوطة انه نزل من مدينة بخارى في ربيع ففتح اباد  
حيث اقام له شيخ المدينة حفلة كبرى على ما اعتاده ابن بطوطة اينما حل  
وارتحل ، وهنا يذكر انه قام بزيارة لقبر (( الامام العالم ابي عبد الله  
البخاري مصنف الجامع الصحيح وشيخ المسلمين رضي الله عنه ، وقد  
افاد انه قرا منقوشاً على قبره ما يلي :

(( هذا قبر محمد بن اسماعيل البخاري وقد صنف من الكتب  
كذا وكذا ... ))



قال : « وهكذا الامر في سائر علماء بخارى يكتبون اسماءهم واسماء تصانيفهم ... وكنت قيدت - يقول ابن بطوطة - كثيرا من ذلك ولكنه ضاع مني من جملة ما ضاع لما سلّمني كفار الهند في البحر » .

ولنا وقفة ثالثة هنا مع الرحالة المغربي ، فان ضريح الامام البخاري موجود باجماع الذين ترجموا له في قرية خرتنك القريبة من سمرقند وهي تبعد عن بخارى بسبعة ايام على ذلك العهد (28) ، وهكذا فقد حصل لابن بطوطة سهو واضح في تحديد ضريح الامام البخاري ، وليس يصح القول انه يقصد الى منطقة بخارى ، فان سياق حديثه يعطي انطباعا قويا على انه يقصد المدينة ذاتها وانه عندما يذكر بخارى يميزها عن سمرقند ولا شك ان الوقت الطويل الذي مر على الرحالة قبل ان يفكر في تسجيل مذكراته وتحريفات التراجمة كذلك ! له اثر في هذا التساهل ، ومن الملاحظ ان نجد ابن بطوطة هنا وفي اعقاب حديثه عن زيارة ضريح الامام البخاري يحكي في حسرة والهم عن ضياع اوراقه ، وكأنما شعر هنا بالذات بانه يروي اشياء قد لا تكون مطابقة للواقع !

وعلى كل حال فان ما رواه مما قراه منقوشا على ضريح الامام لم يبق له اثره ، وان الذي نقش اليوم بمناسبة احياء ذكره المائتين بعد الالف (29) هو ما يلي :

« كل نفس ذائقة الموت ، هذا ضريح الامام ابي عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزیه البخاري الجعفي الحافظ الحجة في علم الحديث صاحب الجامع الصحيح ناصر الاحاديث المصطفوية وناشر الموارث الحمديّة . ولد رضي الله عنه بعد صلاة الجمعة الثالث عشر خلت من شوال سنة اربع وتسعين ومائة وألهم علم الحديث في صباه وبعد ان اخذ من مشايخ بخارى سافر مع والدته واخيه احمد الى الحج وكان سنه لا يجاوز ستة عشر وبعد ان اقام في مكة اربع سنين رحل الى الامصار وطاف البلاد ولقي الكبار حتى بلغت اشياخه المائة وزيادة واخذ عنه خلاّق كثيرون كالامام مسلم والترمذي والنسائي وبعد ان اتم رحلته رجع الى وطنه بخارى وبقي مدة يحدث والناس



ياخذون عنه الصحيح الى ان قدر له ان يرحل الى ( سمرقند ) ولما بلغ في طريقه قرية خرتك نزل على اقربائه فيها فمرض ولم يلبث كثيرا وتوفي فيها ليلة السبت عند صلاة العشاء ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومائتين وانشد شعرا :

كان البخاري حافظا ومحدثا \* جمع الصحيح ومحكم التحرير  
ميلاده صدق ومدة عمره \* فيها حميد وانقضى في نور

رحمه الله تعالى ورضي عنه وارضاه وجزاه عن جميع المسلمين خيرا . وقد رمم هذا الضريح المبارك وجدد البلاط والجدار وعمر ما حوله من الحجرات والمسجد الادارة الدينية لمسلمين آسيا الوسطى وقازاقستان سنة سبع وسبعين وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية على صاحبها الصلاة والتحية . «

ومن مدينة بخارى مروا ببلدة ( نخشب ) التي ينسب اليها الشيخ ضياء الدين النخشي والتي هي بالذات مدينة قرشي (KARSHI) وهنا شعر ابن بطوطة بان جارية من جواريه الثلاث قد قاربت الولادة فاراد اخذها الى مدينة سمرقند لتلد هناك بيد أن ارتحال الجارية ضمن طليعة القافلة كان سببا في تغيير الفكرة حيث اشتغل الناس بالبحث عنها ، وبعد ان عثروا عليها وضعت الجارية بمحلة الامير تاقبوغا (Takbogha) خليفة سلطان ما وراء النهر علاء الدين طيرمشيرين

ويتخلص ابن بطوطة لتقديم سلطان ما وراء النهر على ان بلاده « ما وراء النهر » تتوسط بين اربعة من ملوك الدنيا الكبار وهم ملك الصين وملك الهند وملك العراق والملك اوزبك ، وان جميعهم يهادونه ويجاملونهم ، وعلى العادة فقد سمحت الفرصة لابن بطوطة - وهو بصلاة الصبح في المسجد - بالسلام على الملك طيرمشيرين الذي رحب به باللغة التركية قائلا في جملة ما قال : « قوطلو ايوسين » (Kotholoû eïoûsen) يعني قدومك مبارك على ما يترجمه ابن بطوطة نفسه وقد تحسنت



معرفته فى اللغة التركية ، ثم خصص له السلطان استقبالا خاصا وكان الملك على عرش داخل القسطنطينية ، وقد اصفى ابن بطوطة وصفا دقيقا للقبلة والكرسى بما يضمه من جواهر وياقوت وتاج ... كما لم يغفل تشرىفات الاستقبال ووضعىة الامراء والوزراء والكتاب .

وقد القى سلطان ما وراء النهر عددا من الاسئلة على ابن بطوطة بواسطة صاحب العلامة الذي كان يقوم ايضا بدور الترجمان - حول الحرمين الشريفين والقدس - ودمشق ومصر والملك الناصر وعن العراقيين وملكهما وبلاد الاعاجم ، ووصلة بقطاع كان ، منه فروة سمور ، وقد تتبع ابن بطوطة اخبار السلطان التتري هذا تتبعها دقيقا ، حيث تحدث عن سابقيه وعن لاحقيه ! وكان مما حكاه عنه ان احد فتيان السلطان جاء بسجادة ووضعها قبالة المحراب لدى صلاة عصر حيث جرت عادة السلطان ان يصلي وقال للامام : « ان مولانا يريد ان تنتظره بالصلاة قليلا ريثما يتوخا ! فقال الامام : « الصلاة لله او لطير مشيرين ؟ ! ثم امر المؤذن باقامة الصلاة ، وجاء السلطان وقد صلى ركعتين وانتهى به القيام فى الموضع الذي يضع فيه الناس انعلتهم ... ولما فرغ من الصلاة تقدم الى الامام يصافحه وهو يضحك وجلس الى جانبه ! وهنا قال الامام لابن بطوطة : « اذا مشيت الى بلادك فحدث ان فقيرا من فقراء الاعاجم بفعل هكذا مع سلطان الترك ! »

لقد ودع ابن بطوطة سلطان ما وراء النهر الى مدينة سمرقند التي كانت كما يقول الرحالة المغربي : « من اكبر المدن واحسنها واتمها جمالا مبنية على شاطئ وادي يعرف بوادي القصارين عليه النواعير تسقي البساتين .. وكانت على شاطئ قصور عظيمة وعمارة تنبئ عن علوهم اهلها فدثر اكثر ذلك وكذلك المدينة خرب كثير منها ولا سور لها ولا ابواب عليها ...

وبالرغم من ان اسم سمرقند ما يزال ساحرا لامعا فى دنيا التاريخ وبالرغم من ان بطيخها الذي اشتهرت به سائر بلاد خوارزم ما يزال

مضرب المثل في حجمه وطعمه (30) . . فان (( النواعير التي ذكر ابن بطوطة انها كانت تقع على ساحل وادي القصارين الذي يحمل اليوم اسم زار افشان (ZAR-afshân) اختفت معالمها كما اختفت آثار تلك القصور العظيمة لتعويضها مباني عادية ومتواضعة ، ويمعن ابن بطوطة في وصف آثار ضواحي مدينة سمرقند فيزور قبر سيدنا قثم بن العباس ابن عبد المطلب الذي استشهد حين فتح المدينة ، وانتشر الاسلام بسببه في آسيا الوسطى وماوراء النهر والذي اعتاد اهل المدينة زيارة ضريحه كل ليلة اثنين وجمعة ، كما داب التتر على التيمن بالترحم عليه وتقديم الفتوحات لخزائنه التي يستفيد منها الواردون والصادرون وخدام الزاوية، ويصف ابن بطوطة قبة سيدنا قثم بأنها تقوم على أربع أرجل ومع كل رجل ساريتان من الرخام ، منها الخضر والسود والبيض والحرمر ، وحيطان الآية بالرخام المجزع المنقوش بالذهب ، وسقفها مصنوع بالرصاص وعلى القبر خشب الابنوس المرصع مكسو الاركان بالفضة وفوقه ثلاثة من قناديل الفضة ، وقد فرشت القبة بالصوف والقطن ، وخارجها نهر كبير يشق الزاوية التي هنالك ، وعلى حافته الاشجار ودوالي العنب والياسمين ، وبالزاوية مساكن يسكنها الوارد والصادر ، ولم يغير التتر ايام كفرهم شيئا من حال هذا الموضع المبارك بل كانوا يتبركون به لما يرون له من الآيات ، وبهذا الضريح نزل ابن بطوطة ضيفا على ناظره الامير غياث الدين سليل الخليفة المستنصر بالله العباسي وكان طومشيرين سلطان ما وراء النهر اولاه هذه الوظيفة . . .

هكذا كان وصف ابن بطوطة لضريح سيدنا قثم الذي يقع في المجموعة المعمارية التي تحمل اسم شاه زندي (Shâh Zendé) وهي من اهم المجموعات الاثرية في آسيا الوسطى ولكن الوصف اليوم يختلف كثيرا عما كان ايام ابن بطوطة ، ولعل التغيرات التي حصلت في الضريح ترجع الى سنة 736 = 1336 - 1337 ايام حفيد جنكيزخان تيموزلنك الذي يقترن اسمه بانشاء تلك المجموعة ، والذي اتخذ من سمرقند عاصمة له وجاء اليها بالعمال والفنانين والعلماء فازدهرت على ايامه . ان الضريح اليوم يقع في بيت مربع حيث طليت صفائح الفخار المنقوشة بالميناء الفيروزي ، لقد نقشت على القبر هذه الكلمات :



برسج سنانکس و ایلر لی عورقد



« ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون » .

هذا مرقد امير المومنين قثم بن العباس رضي الله عنه ابن عم سيد المرسلين وخاتم النبيين ورسول رب العالمين عليه السلام .

ونردد هنا انه كان على ابن بطوطة لو لم تخطئه ذاكرته ان يذكر - وهو بسمرقند - زيارته لصريح الامام البخاري الذي يوجد على ما اسلفنا بقرية خارتانك (31) ..

ومن سمرقند تحرك الرحالة المغربي ليمر ببلدة نسف التي ينتسب اليها الفقهاء والقضاة والمفسرون ، ذكر منهم ابن بطوطة ابا حفص مؤلف كتاب المنظومة في المسائل الخلافية بين الفقهاء الاربعة ... ومن نسف الى ترمذ التي ينتسب اليه الامام الترمذي مؤلف الجامع الكبير في السنن والتي نالت منها ايضا معاول جنكيزخان ، خلال 617 = 1220 - 1276 .

وبالاضافة الى الاوصاف التي خلعتها ابن بطوطة على مدينة ترمذ التاريخية من حسناتها وعمارتها وتخللها بالبساتين والانهار وتوفرها على مختلف الفواكه والخيرات ، بالاضافة الى ذلك ذكر عن اهلها خاصية تعتبر اليوم من اهم مقومات النظافة ، تلك ان اهلها يغسلون رؤوسهم في الحمام باللبن عوضا عن الفاسول بحيث يكون عند كل صاحب حمام اوعية كبارا مملوءة لبنا فاذا دخل الرجل الحمام اخذ منها في اناء صغير فغسل رأسه ، وهو يرطب الشعر ويصقله ، مما نعرفه اليوم باسم (( الشامبوان )) (Shampooings)

وقد لاحظ ابن بطوطة ايضا ان مدينة ترمذ كانت مبنية على شاطئ نهر جيحون ، فلما خربت عام 1220 بنيت ترمذ جديدة على بعد ميلين من النهر المذكور ، ولم يفت ابن بطوطة ان يجتمع بوالي المدينة على عاداتهم في الاتصال دائما باصحاب الكلمة في البلاد مجاملة ومصلحة كذلك ...

وبعد كل هذه المراحل نودع ابن بطوطة وهو يجتاز نهر جيحون او (OXUS) الى بلاد خراسان متجها نحو مدينة بلخ التي تعد اليوم من جمهورية افغانستان ...



وهكذا استمتعنا برحلة شيقة مع ابن بطوطة فيما نسميه اليوم بجمهورية اوكرانيا ، والجمهورية الاشتراكية الفيدرالية السوفياتية الروسية بما فيها جمهورية تاتارستان ، وجمهورية جورجيا ، وجمهورية قازاخستان ... وجمهورية اوزبكستان ، وجمهورية تركمنستان ...

وتظل المعلومات التي قدمها الرحالة المغربي عن هذه المناطق حية شاخصة يجد فيها علماء الاتحاد السوفياتي مادة خامة للحديث عن رقعتهم

فاذا أضفنا الى هذا ، المعلومات القيمة التي قدمها ابن بطوطة عن الجزائر وتونس وطرابلس ومصر وفلسطين وسوريا ولبنان والحجاز والعراق واليمن ومقدشو وعمان وبلاد الخليج والبحرين وايران وتركيا والهند وبنغلاديش وباكستان والصين ، وجزر مالديف وشرى لانكا والبنغال وماليزيا واندونيسيا واسبانيا وايطاليا والسودان ومالي والصومال والحبشة وغينيا والكامبودج والفلبين ... اذا أضفنا هذا الى ذلك ، عرفنا اذن القيمة الدولية لرحالتنا المغربي مما يحملنا اليوم على ان نتقدم باقتراحنا الى الجهات المعنية المسؤولة في المملكة المغربية ان تقوم بتنظيم اسبوع عالمي في المغرب ، وفي طنجة بالذات لابن بطوطة تستدعى للمشاركة فيه سائر تلك الدول التي تكون اليوم اكثر من ثلثي الامم المتحدة ! اننا بذلك سنقدم للعالم دليلا آخر على مدى برورنا برجالنا ممن خلدوا اسم بلادهم عبر مراحل التاريخ .

د. عبد الهادي التازي

الرباط

## المصادر والمراجع

- (1) يقول ابن بطوطة وهو منفرد في رحلته بالسودان : « ولما عدت الى تكدا (Tacadda) وصل غلام الحاج محمد بن سعيد السجلماسي بأمر مولانا أمير المؤمنين وناصر الدين المتوكل على رب العالمين أمرا بالوصول الى حضرته العلية فقبلته وامتلته على الفؤاد».
- (2) De Slane : Voyages dans le Soudan par IBN BATOUTA (jour asiatique 1843).
- (3) H.M.Z. FAROUQUE : The Ceylan Muslim Community ; P. 49 SRILANKA
- (4) خليل الله خليلي سفير أفغانستان في العراق والكويت : ابن بطوطة في أفغانستان ، تقديم عبد الهادي التازي ، مطبعة بغداد 1970 .
- (5) Voyages d'IBN BATTUTA, par DANthropos, Paris, Notes Vincent chronology of IBN Battûta, Camnology of IBN Battûta's Travels, IBN BATTUTA in Asia and Afrifrmery et Sanguinetti, Editions Monteil, 1968. H. GIBB : Thebridge 1962. Herberk : The chro- Prague 1962. The Travels ofofca, Londres 1921.  
هذا وقد ترجمت الى الإيطالية ايضا عام 1961 وتعد في الوقت الحاضر ترجمتها للبولونية والبرتغالية ...
- (6) التازي : العلاقات المغربية الإيرانية عبر التاريخ ، نشر وزارة الانباء بمناسبة زيارة جلالة الشاه للمغرب . مجلة وزارة الشؤون الخارجية بالمغرب ، مجلة الاخاء الإيرانية ( ايار ) 1967 - أمير مغربي في ليبيا ، الملك محمد الثالث 1143 - 1144 - 1731 - 1732 تحت الطبع . الروابط التاريخية القديمة التي جمعت بين المحيط والخليج - دعوة مارس 1971 - مجلة الاتحاد ( أبو ظبي ) أبريل 1971 - مجلة البيان ( الكويت مايو 1971 - العلم غشت 1972 - الانباء غشت 1974 .
- (7) اشتهرت هذه الجزيرة بالحرب التي شنتها روسيا على تركيا وحلفائها عام 1854 - 1856 والتي انتهت بتغلب روسيا واجلاء تركيا عن الجزيرة ، ومما يذكر في هذا الصدد ان الدبلوماسية الأمريكية التي كانت تساند روسيا آنذاك قامت بمجهود لحمل المغرب على ملازمة الحياد واستدراجه للدخول في الحلف الروسي الأمريكي في مقابلة ارجاع مدينتي مليلية وسبتة ... لكن السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام كان حذرا من هذه العروض سيما والامر يتعلق بالحلف ضد دولة اسلامية .  
التازي : العلاقات المغربية الروسية ، مجلة البحث العلمي عدد ماي - دجنبر 1967 ص 148 .
- (8) عرف الاسلام طريقه الى آسيا الوسطى منذ ايامه الاولى ، ولما ظهرت الدولة السامانية أصبحت بخارى عاصمة ، وفي القرن الثالث عشر تعرضت لتخريب جنكيزخان لكنها لم تلبث ان استعادت معالمها في القرن الموالي ...



- (9) كلمة عربية ما تزال محفوظة في اللغة الروسية الى الان وهناك منطقة كبيرة بموسكو تحمل اسم ( اربا ) تحريف عربية ، وليس الاسم من كلمة عريد كما سمعت ...
- (10) ذكر ابن خلدون ان التتر يحكمون الرشته على ابلغ ما يمكن . التعريف بابن خلدون نشر ابن تاويت الطنجي - القاهرة 1951 ص 370 .
- (11) كان هذا القصور من الترجمان نافعا لابن بطوطة من جهة اخرى فقد اعطى فكرة هلى انه متضلع من لسان العرب الاوائل الذين نزل القرآن بلغتهم ، وهكذا نال احترام الناس على ما يرويه الرحالة ذاته !
- (12) كانت حركة منتشرة بجميع البلاد التركمانية الرومية ، في كل بلد ومدينة وقرية ، ويقول عنهم انه لا يوجد في الدنيا مثلهم اشد احتفالا بالقرباء من الناس واسرع الى اطعام الطعام وقضاء الحوائج والاخذ على ايدي الظلمة وقتل اهل الشر ، يجتمعون عند رئيس لهم من اهل صناعتهم ، وهم من الشبان الاعزاب والمتجردين يتخذون زاوية يفرشونها ويسرجونها ويؤدونها بالمرافق ، انها حركة الاخوية الفتيان التي تتطلب وحدها بحثا على حدة . راجع مقام ابن بطوطة في آسيا الصغرى وبخاصة عندما يصل الى مدينة انطاكية .
- (13) سمعت هناك عن آثار عميقة الجذور لهذه التقاليد التي كانت تصل احيانا لدرجة عبادة المرأة باعتبارها اداة للنسل والخصب ، ومن غريب ما رواه ابن فضلان عن باشقردستان ان كل واحد من اهلها كان ينحت خشبة على شكل الاحليل ويعلقها عليه فاذا اراد سفرا او لقاء عدو قبلها وسجد لها ، ولما سال ابن فضلان احدهم عن حاجته في ذلك اجابه بهذه القولة : « لاني خرجت من مثله فلست اعرف لنفسي خالقا غيره ! » ابن فضلان ص 108 .
- (14) تركستان اسم لمنطقة في آسيا الوسطى منقسمة اليوم بين الاتحاد السوفياتي وبين الصين ، دخلها الاسلام منذ سنة 133 = 751 ، القسم الصيني اوسين كيانغ وفيه طائفة مهمة من المسلمين ، والقسم السوفياتي يحتوي على جمهوريات خمس من الاتحاد ، وهي تركستان ( عاصمتها اشغباد ) واوزبكستان ( عاصمتها طشقند ) ومن مدنها سمرقند وبخارى وتاجيكستان ( عاصمتها دوشانبي ) وكيرغيزستان ( عاصمتها فرونزة ) ، وقازاخستان ( عاصمتها الما اتا ) وهذا الاسم تركستان بقيت تحمله اليوم فقط مدينة تقع جنوب جمهورية قازاخستان قريبا من وادي سيرداريا .
- (15) التاريخ البيزنطي وتاريخ تتر الفرس وملوك الترك مليء بهذه الامثال العديدة حيث تتم عقود زواج من هذا الشكل قصد احكام صلات التقارب والتحالف بين الامم - ابن بطوطة ج 2 ص x .
- (16) رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة الى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة والباشقرد سنة 309 = 921 تحقيق سامي الدهان ، طبع المجمع العلمي العربي دمشق 1379 = 1959 - سعيد الديوه جي ، الصلات بين العباسيين والبلفار ، مجلة الاقلام البغدادية ، 1971 - دائرة المعارف الاسلامية -
- (17) VERA Mutaftchieva, Nicolai Todorov : Le passé de la Bulgarie, Sofia presse ?????? P. 17 - 18.



- (18) دكتور شاكر خصبالك ابن بطوطة ورحلته ص 217 - 218 .
- (19) صدر أخيرا في موسكو 1971 عن الاستاذين بولشاكوف ومونكلت ترجمة باللغة الروسية للرحالة ابي حامد القرناطي ، وقد تفضل الاستاذ بولشاكوف فاهداني هذه الترجمة بمعهد الاستشراف في لينينغراد .
- (20) حسب جد اول كاطنوز يكون العيد الاحد بيد ان من معروف العادات ان تسبق بلاد المشرق بلاد المغرب في التاريخ القمري - التازي دعوة الحق - دجنبر 1966 - يناير 1967 .
- (21) الخدمة يعني بهامس الارض بالركبة اليمنى ومد الرجل تحتها بينما الاخرى قائمة ، على نحو ما يفعله اليوم الجند عند تقديم اليمين امام القائد الاعلى ، وعلى نحو كذلك ما نشاهده عند اداء التحية لكبار المجلس من طرف الصغار .
- (22) كانت هناك مدينتان تعرفان باسم السراي في بلاد التتار ، وكانتا بالتعاقب عاصمتين لخانات ( القبيلة الذهبية ) ، وهما السراي القديمة وتقع بالقرب من قرية سيليتيرنو (Sel terenos) الحالية حوالي 47 ميلا فوق اصطراخان ، والسراي الجديدة التي تحيط بمدينة تساريف (Tsarev) الحالية على بعد 225 ميلا فوق استراخان ، قريبا من ( ستالين كراد ) التي اصبحت فولغراد ، وقد نقل السلطان محمد اوزبك عاصمته من السراي القديمة الى السراي الجديدة في حوالي هذا الوقت وربما قبل هذا الوقت بوضع سنين ، وينطبق وصف ابن بطوطة على السراي الجديدة التي تمتد بقاياها الى حوالي اربعين ميلا وتغطي منطقة تزيد على عشرين ميلا مربعا .
- (23) الآس (AS) شعب هندي اوروبي ورد من آسيا ، يسميه المغول (Asut) وفي القرن الخامس عشر ذابوا مع المغوليين باستثناء من بقي منهم في القوقاز حيث يعرفون باسم (OSSETES) ، ويكونون القسم الشمالي ( داخل جمهورية روسيا السوفياتية ) والجنوبي ( داخل جمهورية جورجيا لغتهم ايرانية وبعضهم مسلمون ..
- (24) كانت العاصمة تسمى بالجرجانية التي قد تدعى عند أهلها اوركافج (Urgench) التي تقع على شاطئ نهر جيحون (OXUS) ومنطقة خوارزم اليوم داخله ضمن جمهورية اوزبكستان ، بعد ان كانت جمهورية مؤقتة عابرة ( 1920 - 24 ) حوز مدينة ( خوا = Khiva ) ، وفي القرن الرابع عشر كانت تتناول عاصمة كونيال اوركانج في جمهورية توركمينيستان ، وفي اواخر القرن الرابع عشر خربت خوارزم من طرف تيمورلنك ، وهكذا خربت شبكة السقي واستحالت خوارزم منذ ذلك الوقت الى خراب .
- (25) آثار الاسلام التاريخية في الاتحاد السوفياتي ص 6 .
- (26) تعرضت بخارى - في ظرف زهاء نصف قرن من عام 617 - 675 = 1220 - 1276 ثلاث مرات للتخريب والتدمير من طرف الجيوش المغولية ، وبخاصة جنكيزكان ، ومن المعلوم انها كانت قاعدة الدولة السامانية وانها فتحت فيما بين سنة 53 - 55 .
- التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا تأليف ابن خلدون ، تحقيق ابن تاويت الطنجي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر 1951 ص 381 - وما بعدها .

(27) ورد في رسالة ابن خلدون للعاهل المغربي : ان هؤلاء التتر هم الذين خرجوا من المغازة وراء النهر بينه وبين الصين ، أعوام عشرين وستمائة مع ملكهم جنكركان وملك بلاد المشرق كلهما من ايدي السلاجقة ومواليهم الى عراق العرب ، وقسم الملك بين ثلاثة من بنيهم : جقطا ودوشي خان ، وطولي ، فمما كان للاول تركستان وباشقر والشاش وفرغانة وسائر ما وراء النهر من البلاد ، وكان مما في نصيب دوشي خان بلاد قبجق ومنها صراى وبلاد الترك الى خوارزم الخ ... التعريف .

(28) ابن فضلان ص 76 .

(29) شاهدت سمرقند تجمعا كبيرا لعدد مهم من رجال العلم والدين من افريقيا واوروبا وآسيا ، وذلك احياء لذكرى مرور 1200 على ميلاد الامام البخاري ، ويذكر بهذا الصدد ان عددا من رجال الفكر والدين كانوا اغبوا عن رغبتهم بمناسبة زيارتهم لجمهورية اوزبكستان من الاتحاد السوفياتي ، اغبوا عن رغبتهم في ترميم ضريح الامام البخاري وقد كان في صدر هؤلاء السادة : الاستاذ غلال الفاسي من المغرب جريدة العلم ، ( الملحق الثقافي ) 18 - 10 1974 .

(30) كنا نعيش - كما اشرت قبل - على ذكر رحالتنا ونحن نتذوق بطيخ سمرقند الذي يغزو سائر بلاد خوارزم والذي قد تبلغ الحبة الواحدة عشرين كيلو غراما على ما رايته في سوق الخضار بالجملة ...

(31) تضم سمرقند اليوم جدث تيمورنك ، وهو من اهم القطع الفنية .

ترقب اذا جن الظلام زيارتي  
فاني رايت الليل اكنم للسر  
وبي منك ما لو كان بالشمس لم تلح  
وبالبدر لم يطلع وبالليل لم يسر  
ولادة بنت المستكفي

# جبل الشيخ

## نذير العظمى

هل الضحايا على شم الذرى شعل  
مذ صرجت خذك القامات والمقل  
على الذين الى امجادهم رحلوا  
والليل من حوالها فى عينه حول !!

انطق فدتك عيونى ايها الجبل  
يا ايها الشيخ هل للصخر أغنية  
ياراحلا فى العلى كم رحلة قصرت  
انى رأيت نجوم الأيل ضاحكة

\* \* \*

ان الذين صفا وجدانهم وصلوا  
تurf فى الأفق الأعلى وتتصل

يا صخر صار الفدى فجرا يقول لنا  
الطائرون وحب الأرض أجنحة

يسطرون على اتاريخ مكرمة  
ميراج ميراج ما في الحب معتصم  
بالحب نعلو على الفولاذ في دمننا  
نعانق الموت في الأجواء منهزما  
رحنا اليه زرفات مجنحة  
يقال للعربي اليوم أنت بلا  
إذا أردنا فلا رحام أجنحة  
ياخالد هذه الصحراء نثقبها  
فالراكبون على صهواتها وصلوا  
والروح تفترس الأبعاد وثبتها  
خل السنور سنور الشام تطلقها  
وخل أجهزة الرادار يربكها  
زان التعلم فيه الخلق من كبر  
فلتمرد في آفاقه شفق  
ما نام جفن له الا على حكم  
ياشيخ يا جيل الأمجاد طرت بنا  
لأننا هل يحيى وبأكرة  
لأننا فلك للروح ملتهب  
فقل لصهيون ما في القتل مرحلة

والحرف يختلس المعنى ويختزل  
ونحن نفترس الرؤيا ونعتقل  
نبح من الحب لا ضحل ولا وشل  
والموت في وجهه من كرنا وجل  
لها انقضاخ على الباغين متصل  
جنح ، وفي قلبه الفينيق يشتعل  
تطير في شوقها الاجيال والمثل  
ماهم من تحتنا طير ولا جمل  
لا الطائرات الى الجوزاء والابل  
والروح تبتكر الدنيا وتشتمل  
حتى تزول سدود الوهم والحيل  
مخاطر من أضحينا ومهتبل  
وشده أمل ان خائه أمل  
وللتمرس في اتقائه مهل  
كواكب المجد في رؤياه والعمل  
الى المعالي بجنح ليس يكتهل  
من الحضارات ما في نجمها فلل  
يدور الشمس لا غش ولا زغل  
بآلة الحرب والتدمير يرتجل

من يحتكم للهوى والسيف يحكمه  
ان الرجولة بالأخلاق قيمتها  
ان كان يبذر ابراهيم بذرتنا  
لكن شرعكم النابالم متقد  
ان السلام سلام الحب بغيتنا  
أطفالنا أوجه فى الرحم شائهة  
وأنت يابنت اسرائيل عاقرة  
ولانهاب الوغى لكن مروءتنا  
فدمرى دمرى ماشئت بنيتنا  
ماخاننا رحم للحب متصل  
فيا خيام الدجى ظلى مساكننا  
ويا مواسمنا ضمى بوارهم  
ان الذين طبت نحواتهم عثروا  
فان هم نشبت أظفارهم نشبوا  
ردوا على القدس دنياها وهيبتها

\*\*\*

مغارب العرب فى الجولان ملحمة  
يلذ طعم دماكم فى مرأشفها  
قل للذين جثوا فى خلدتها خلدوا

سيف تصدع من ضراباته الأول  
ان الطبيعة بالانسان تكتمل  
فللصلاة على ابراهيم محتمل  
والله فى قلبنا مذهجه الأزل  
وليس شرعه من غالوا ومن قتلوا  
أوطاننا خيمة فى الأفق أو طلل  
تموت فى رحمك الأطفال والغزل  
تأتى ويخجل من أطماعك الخجل  
فسوف يولد من تدميرك البطل  
ان خان رحمكم النازى والسبل  
ففيك فيك شروق الشمس لا الطفل  
لتورق الأرض بالأبطال لا الجدل  
ان الذين خبا وجدناهم خذلوا  
وان هم مصلت أرحامهم مصلوا  
ما انفك يثغو على ساحاتها حمل

تقول : انكم فى بالهاعل  
وفى مخايلها من رشقه ثمل  
قل للذين حموا أوصالها حصلوا



القدس في روحنا نسر محلقه  
يا أطلس الشوق فوق النجم حظ بنا  
ما بيننا بيننا ارث نصير به  
غاياتنا زبد انساننا عدد  
ارث وحلم هما الانسان في نسق  
قل للحواجز ما لئوهم محتجز  
ان كان سحر لسان الضاد يجمعنا  
مغارب العرب طعم الوعد في شفتي  
انى رضيت من الينبوع حنجرة  
مراتب الكحل في عيني غالية  
تصيدت مهجتي سمراء طالعة  
بها اخترقت شقوق الموت من زمن  
نخل لضوء في دنياى أروقة  
ونخل كأس والأوتار عنداة  
مغارب العرب صار القلب منزلة  
يكفيك منى فؤاد كل قانية  
ونخوة نخوة ان طار طائرهما  
يكفيك منى فؤاد أنت في دمه

\* \* \*

نأبى على الدهر يصادها حجل  
قد رصعت صخر ك القامات والقبل  
حلمنا ومن دونه هاماتنا يصل  
دولاتنا بدد في الارض مهتل  
كالعين تلبسها الرؤيا فتكتل  
فى أرضنا لا ولا للخوف معتقل  
فهل تفرقنا الوديان والقلل ؟!  
جذب ، ولكنه في خاطري بلل  
غريدة وأنا في شربه علل  
والشوق من وهجها في وجهه خصا  
من الكروم وأغنى الحب والحب  
فليس ينفع تثريب ولا عذل  
بها أشمس احلامى وأحتفل  
يطيب في حرسها لى اللؤلؤ الهطل  
لمن تباروا الى سام الردى تكأوا  
لدى جراحة كرم ماله أجس  
فكل عش لدى تغريدها هسل  
صوت الصهيل وفي وجدانه الأسل

ياقاسيون تركت الصخر والهة  
بينى وبينك عهد لا أبوح به  
قد جئت أرسم آهاتى على فمه  
فكل مجدبة من خصبها اختصبت  
والأرض مثل الرجال الخير خطوهم  
ياقمة النسر هل لى عند ذروته  
يسمر فى العين الا أنه لهب  
مكور جبلا مشعثع أملا  
يرصع القلب والاحداق متقدا  
يا شيخ يا جبل الامجاد حط بنا  
هل نترك السفح غير السفح نزرعه  
فالثلج مبتهج أنا ومكتئب  
انا سعدنا الصخور الشم تحملنا  
فخل غارك معقودا بهامتنا  
يا قمة النسر صوت الحق قال لنا  
فخل صدرك يا شيخ العلى اشفقا  
وخل أرضك تطويننا وتحضننا  
لأتنا وردة فى الرحم غالية  
فى مفرق السفح من أبطالنا شجر

على أكباده والأعين النجل  
الا لقلب له من بوحنا علل  
قوافيا نبضت من نبضها الدون  
وكل عاطلة ماعبها عطن  
وان هم أمحلت رؤياهم محنوا  
شهادة ولدى ينبوعه نهل  
من معدن الشمس ما فى ضوءه زل  
لكنه جوهري فى النفس متصل  
حتى يهرول فى أثوابنا زحل  
هل تأمر الجبل الراسى فينتقل ؟ !  
وعدا فتصطبغ الرايات والحلل ؟ !  
والغاب منطفىء أنا ومشتعل  
الى ذراك النفوس الشم يا جبل  
يقوى به قلبنا والعظم والعضل  
ما عاش من مات فى وجدانه شلل  
نموت عند حوافيه فنشتعل  
مثل البذور ولذ بالقلب يمتثل  
يضمنا الدهر ما فى وصله خلل  
وفى ينابيعنا الارواح تغتسل

مشارف الشام والجولان موعدنا  
ما ظل صخرك في حر نفىء به  
انا حلفنا بعهد الضاد في فمنا  
لنا لنا كعبة في القدس جوهرها  
ومعدن الشهداء الصيد معدننا  
وذاك انساننا والعين مبصرة  
وتلك بذرتنا في الارض يطلعها  
تبقى وان شوه الفبا لم صورتها  
لا يقتل الماء في رحم البنور ولا  
يا أرض يا أرضنا ظلى على أمل  
يا شيخ حل لنا موتا يعانقنا  
وخلنا خلنا قتلى تكفنا  
تبقى البذور ويبقى في ضمائرنا

اذا تصدت لها العقبان والغول  
من القنابل الا حصننا الجبل  
الا تفرقنا لات ولا هبل  
وهل تصفى بغير الجوهر الرجل  
يبقى على الدهر ان حزوا وان سحلوا  
عين البصيرة ان غطوا وان سملوا  
نسغ الربيع ويحيى قلبها الجذل  
تبقى وتصمد في الجلى وتحتمل  
يستأصل الحب في التاريخ منتحل  
حتى تبرعم في أحشائك النصل  
دهرا وتتقش في أعمارنا القبل  
هوج العواصف لا غالوا ولا قتلوا  
حب الحياة ويحيا الورد والسبيل

نذير العظمة

الرباط

# نشأة الأدب العربي في المغرب ظروفها ومظاهرها

د. عباس البحراري

ليس يخفى ان الخلفاء الراشدين لم يفكروا في توجيه حملة اسلامية (1) الى المغرب ، وان عمر بن الخطاب كان قد طلب اليه ان يامر بفتح الشمال الافريقي ولكنه رفض . ولعله كان يدرك ما ستتكبده اية حملة تتجه الى هذا البلد من متاعب ومصاعب ، لا سيما وبعد المسافة سيحول دون تتبعه لعملية الفتح ، وسيجعله عاجزا عن امدادها عند الاقتضاء الملح الطارئ . بل ان عمرو بن العاص كتب اليه يقول بعد ان تم له فتح طرابلس : « ان الله قد فتح علينا طرابلس وليس بينها وبين افريقية الا تسعة ايام ، فان راى امير المومنين ان يغزوها ويفتحها الله على يديه فعل » فاجابه : « لا ، انها ليست بافريقية ، ولكنها المفرقة ،

غادرة مغدور بها ، لا يفزوها احد ما بقيت » . وفى رواية أخرى : « لا اوجه اليها احدا ما مقلت عيني الماء » (2) .

وعلى الرغم من أن عثمان بن عفان لم يمانع فى فتح الشمال الافريقي حيث ارسل جيشا دخل تونس بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي سرح قبل سنة 30 هـ ، فان الاهتمام الحق بهذه المنطقة لم يبدأ الا على عهد الامويين الذين لم يقنعوا بفتحها ، بل حاولوا اقامة حكمهم عليها وربطها بمركز الخلافة . والحق انه كان لا بد لدولة الاسلام على عهد الامويين ، وقد ذهبت بعيدا فى الفتوح ، أن توجه اهتمامها لحوض المتوسط وما يحيط به من بلاد وما يزخر به من تجارة ، خاصة وأنهم كانوا - على عكس الخلفاء الراشدين - مهتمين بشؤون البحر . ولكن الامر لم يكن يسيرا على الاطلاق ، ففي الوقت الذي استطاع المسلمون أن يقيموا خلال بضع سنوات دولة واسعة الرقعة فى المشرق ، فانهم ظلوا زهاء قرن من الزمان يحاولون أن يثبتوا دعائم الدين الجديد فى بلاد الشمال الافريقي .

ويمكن القول بأن فتح المغرب تم على مرحلتين : الاولى على يد عقبة بن نافع فى زمن يزيد بن معاوية ، والثانية على يد موسى بن نصير فى عهد الوليد بن عبد الملك . ففي سنة 61 - 62 هـ وصل عقبة الى المغرب مبشرا بالدين الجديد ، وفتح مدينة طنجة ووليلي - وكانتا من أهم المراكز المغربية قبل الاسلام - وانتهى فى محاربة القبائل وبث الدعوة فيها الى منطقة سوس ، ولكنه لم يلبث ، بعد سنتين أو أقل من الجهاد ، أن قتل من طرف البربر فى جنوب بسكرة عند واحة تهودا فى الزاب . ولعل معاملته القاسية للبربر ، وخاصة زعيمهم كسيلة ، كانت السبب الرئيسي فى تدبير امر قتله .

وقد ظلت البلاد منذ هذا التاريخ - او جزء منها على الأقل - تواجه الدعوة الاسلامية بمعارضة شديدة تمثلت فى زعيمين هما كسيلة والكاهنة (3) ، الى أن استطاع موسى بن نصير ابتداء من سنة 79 هـ (4)، وكان واليا على افريقيا والمغرب ، أن يضبط الامور بشيء غير قليل من القوة والحزم ، وأن ينشر بذلك الاسلام فى كثير من المناطق التي كانت لم تعتنقه بعد . وربما ساعد البربر على تقبل الدين الجديد مشاركتهم



للعرب باغلبية ساحقة فى فتح الاندلس ، فلعلهم كانوا يعلنون أنفسهم بما قد يحصلون عليه من الفنائم ، ولعلهم كذلك وجدوا فى هذا الفتح ما يغذى ميلهم الطبيعى الى المحاربة ، خاصة وانهم كانوا يسمعون عن هذه البلاد المجاورة ما جعل فى أنفسهم لا شك رغبة الى اكتشافها ، وان كنا بهذا لا نحكم على جميع البربر ، وانما نريد ان نثبت ان الاسلام لم يكن قد تغفل بقوة فى قلوب المغاربة . ونحن نعرف انه حتى القرن الثانى كانت لا تزال فى منطقة نفيس عند سفح الاطلس الكبير قبائل تدين بالمسيحية ، وكانت قبائل غيرها تدين باليهودية او الوثنية . ولعل الاسلام لم يستقر فى المغرب الا بعد ان استقر فى الاندلس من جهة وفى تونس من جهة اخرى . وغير خاف ان الحملتين اللتين وجهتا لفتح المغرب ، او بالاحرى لمواجهة تفشي المذهب الخارجى فيه (122 - 123 هـ) لقينا فشلا ذريعا . فقد هزمت الاولى فى معركة طنجة ، وقضى على الثانية عند وادي سبو وكانت بقيادة كلثوم .

وقد جعلت مثل هذه الهزائم وغيرها مما لقينته الجيوش العربية فى بقية الشمال الافريقى تؤكد قولة سابقة كان قد كتب بها حسان بن النعمان لعبد الملك بن مروان ، يخبره انه من المستحيل فتح البلاد الافريقية ، وانه متى قضى على قبيلة بربرية الا وتخلفها قبيلة اخرى . ولعل التكوين البنيوي لطبقات المجتمع المغربى ، سواء على الصعيد السلالى او الاقتصادى والثقافى كان عاملا اساسيا فى التأثير على موقف المغاربة من الفتح .

وربما يبالغ بعض الباحثين العرب حين يقولون بانه ما (( انقضت سنة 51 هـ الا وقد انهى عقبة بن نافع الفهري بناء القيروان وفتح شمال افريقيا والسودان )) (5) . ونحن نعرف ان البربر على حد قول ابن ابي زيد القيروانى قد (( ارتدوا اثنتى عشرة مرة من طرابلس الى طنجة ، ولم يستقر اسلامهم حتى اجاز موسى بن نصير الى الاندلس بعد ان دوخ المغرب واجاز معه كثير من رجالات البربر وامرهم برسم الجهاد ، فاستقروا هنالك من لدن الفتح ، فحينئذ استقر الاسلام بالمغرب واذعن البربر لحكمه ورسخت فيهم كلمة الاسلام وتناسوا الردة )) (6) .

ومهما يكن من امر ، فقد استطاع الاسلام — ولو بعد زمن طويل — ان يجد له مكانا في هذا البلد وفي نفس ابنائه ، خاصة وانه كان في تلك الفترة الاولى يبدو لهم بسيطا في مبادئه خاليا من كل خلاف او تعقيد ، وخاصة كذلك ان القائمين على شؤونه من العرب الفاتحين الاول لم يكونوا يقيمون الامور على غير العدل ، ولم يكونوا يظهرون غير المحبة والمساواة .

وكان نتيجة لهذه العوامل ان اطمأن المغاربة للدين ، وزال — ولو مؤقتا — ما كان في نفوسهم ضد العرب ، وزاد الاتصال بالشرق الذي اخذت اصداء احداثه تتردد في المغرب ، وخاصة اصداء النزاع على الخلافة والحكم ، وبنات فئات الخوارج المنهزمة تفد عليه من المشرق ، ولا سيما منها الاباضية والصفورية تحاول الترويج لمذهبها .

ويبدو ان البربر مالوا الى هذا المذهب الذي وافق طبيعتهم الاستقلالية وميلهم الى رفض كل سيادة تفرض عليهم ، سواء كانت عنصرية او دينية . ولعلمهم افهموا من خلاله حقيقة الاسلام وحقيقة أسلوب الحكم فيه . كذلك كان التعاطف قويا مع آل البيت والانتصار لهم فيما يعانون من محن بالشرق . وقد تجلى هذا التعاطف في الترحيب الذي لقيه المولى ادريس في المغرب (7) وتنازل عبد الحميد بن اسحق الاوربي عن امارته له في ويلي ودعوته للقبائل ان يبايعوه سنة 172 هـ (8)

وقد عمل ادريس ( 172 — 177 هـ ) على متابعة عملية نشر الاسلام ، وخاصة في منطقة الشرق وتلمسان وفي الجنوب حيث واجه البرغواطيين (9) ، وكانوا قد انشأوا شبه امارة مستقلة في تامسفا (10) بزعامة صالح بن طريف الاندلسي سنة 127 هـ في خلافة هشام بن عبد الملك على اساس مذهب محرف عن الدين ، حيث اقروا نبوة ابن طريف الذي وضع لهم قرآنا وتشريعات (11) يبدو من شديد تأثيره بالاسلام في وضعها وكأنه يريد مغربة هذا الدين او بربرته وطرحه في صيغة جديدة .

ولم تلبث مثل هذه التحركات الادريسية وما كان يصاحبها من انتصار ان اقلقت بال الرشيد في بغداد ، فبعث له من قتلته في قصة معروفة . ثم استأنف العمل ابنه ادريس الثاني ( 177 — 213 هـ ) بعد

وصاية مولاه راشد ، وسعى الى توسيع رقعة الدولة ، وخاصة في الوسط ومنطقة الحوز وسهول الشمال . وكان من اهم اعماله توسيع مدينة فاس (12) وانشاء حكومة شبه ائتلافية بين العرب والبربر ، قائمة على مبادئ اسلامية كانت بمثابة النموذج الذي احتدته الدول التي تعاقبت على الحكم في المغرب ، لولا ان العنصر العربي كان طاغيا عليها ومستبدا بامرها ، الشيء الذي اثار البربر وازم الوضع . فقد كان في اعتبارهم ان ادريس الاول زعيم عربي لاجيء ، وانه على الرغم من كونه ينتمي لآل البيت المناضلين فانه قنع باللجوء والاحتفاء بالبربر المسلمين المتعاطفين معه ، ورضي - ورضوا مثله - ان يكون - وهو عربي - زعيم امارتهم البربرية . اما ادريس الثاني فيبدو في نظرهم قد تجاوز هذا الاطار حين حاول فرض امامته ، وحين حاول بالتالي تاثير هذه الامامة بتكوين بلاط عربي بما يقتضي من وزارة وحرس وبطانة وما اليها من مظاهر يبدو انها لم ترق البربر ، خاصة وان حظوظهم فيها كانت هزيلة . لذا لا نستغرب حين نرى المغرب يقع فريسة الاضطراب والفوضى والنزاعات بين ابناء ادريس الثاني الذين ارادوا ان يتقاسموا مناطق النفوذ - وكانوا اثني عشر - فلم تبق لهم غير ولايتين : احدهما في فاس والثانية في الريف ، وبالتحديد في مدينة مندرسة الان تسمى البصرة ويطلق عليها بصرة الكتان ، الى ان كان الغزو الفاطمي سنة 305 حيث بدأت نهاية الازمنة واخراجهم من فاس ، وبدأت كذلك محاولات لاقامة مراكز شيعية في شمال المغرب (13) . وقد كان يكتب لهذه المحاولات بعض النجاح ، ولكنه نجاح مؤقت ، وخاصة في فاس حيث كان الفاطميون وبعض اعوانهم يقيمون حكم الائمة ، ولو في فترات متقطعة .

وكانت هذه المحاولات الفاطمية في التقدم نحو غرب الشمال الافريقي تقلق بال الامويين في الاندلس ، ولكنها ، لم تدفعهم الى اتخاذ اية مبادرة غير الاحتياط والاحتراس ، علما بان لهم مراكز في شمال المغرب ، هي سبتة وطنجة واصيلا والبصرة . ولعلمهم وجدوا في القبائل الزناتية خير من يرد عنهم خطر الفاطميين في المغرب . فمن جهة كانت قبائل مكناسة مستقرة في شرق المغرب منذ عهد الادارسة ، وكانت قد بدأت في هذه الفترة - بزعامه موسى بن ابي العافية - توسع لنفسها

وتتقدم نحو سهول الغرب ومنطقة الواحات حيث انشأت تازة ومكناس وسجلماصة (14) . ومن جهة أخرى كان بنو يفرن والمغراويون قد اقاموا في وسط المغرب وبدأوا يزاحمون بني العافية .

وكما جعل الامويون في الاندلس من القبائل الزناتية خط دفاع ، فكذلك اتخذ الفاطميون من الصنهاجيين ليس خط دفاع فقط ، بل خط هجوم كذلك على المغراويين وبني يفرن . غير أن هاتين القبيلتين لم تلبثا بعد انتهاء امر الامويين في قرطبة أن دخلتا في نزاع حول مناطق النفوذ . يضاف الى ذلك عودة الادارسة (15) الى الريف حيث كانوا يقيمون تحت تصرف الجهة المتغلبة ، سواء شيعة افريقيا مرواني الاندلس .

وهكذا ظل المغرب فترة غير قصيرة موزعا بين هذه القوى المشتتة الى ان كان عهد المرابطين الذي يعتبر بحق بداية الحكم المغربي المنظم والقوى والمستقر .



كان طبيعيا - ووضع المغرب على حد ما راينا - أن يستهدف الفتح الاسلامي امرين : نشر الدين أولا ونشر العربية ثانيا باعتبارها اداته ولغة القرآن . وكان طبيعيا كذلك واللغة تساير الفتح وتواكبه أن تستقبل بسهولة ويسر حيث يستقبل بسهولة ويسر ، وأن ترفض بقوة وعنف حيث يرفض بقوة وعنف .

لذلك تعرضت حركة التعريب لمختلف الهزات والانتكاسات التي تعرض لها نشر الدين ، بل أكثر من ذلك نستطيع ان نقول انها سارت ابطا منه ، خلافا لما كان ينبغي أن يكون ، بسبب عوامل كثيرة ، لعل من بينها طبيعة الجيوش التي كانت توجه للفتح . وقد تسنى لهذه الحركة ان تشهد غير قليل من التوسع في هذا العهد حيث اتبحت جملة اسباب يمكن تلخيصها فيما يلي (16) :



- 1 - حالة الاستقرار التي سادت مناطق نفوذ الادارسة .
  - 2 - عروبة الادارسة .
  - 3 - انشاء جامع القرويين .
  - 4 - خروج المغاربة في رحلات علمية الى المشرق والقيروان والاندلس وعودتهم الى المغرب .
  - 5 - كثرة الوفود العربية التي قصدت مدينة فاس قادمة اليها من الاندلس والقيروان .
  - 6 - قرب اللهجة البربرية - وقد تأثرت بالفينيقية - من اللغة العربية .
  - 7 - عدم ملازمة اللهجة البربرية للغة العربية الا في المناطق الداخلية .
- النائية .**
- 8 - تقدير المغاربة المسلمين للقرآن الكريم واعجابهم بلغته واعجازه .
  - 9 - تهجير افواج من المغاربة في شكل سبي الى المشرق وعودة بعضهم الى المغرب وقد تعلموا اللغة العربية .
- وليس من شك في ان المغرب - لهذه العوامل مجتمعة وخاصة قدوم الاندلسيين في هجرة منظمة تضم كثيرا من الفقهاء ورجال العلم - قطع مرحلة في التعريب لا يستهان بها ، كان من المنتظر ان تعقبها مراحل اخرى لولا انه تعرض في اواخر ايام الادارسة وبعدها لاضطراب شديد ظل يعانيه حتى عهد المرابطين ، وكان محتما ان يتأثر سير التعريب بهذا الاضطراب (17) .
- واذا كان الفكر في كل زمان ومكان متأثرا باللغة في حال ازدهارها وركودها ، باعتبارها الوعاء الذي يأخذ به ويصب فيه ، واذا كانت حركة التعريب قد تعثر سيرها - على حد ما راينا - بحكم ظروف الاضطراب التي عانتها البلاد سواء في نشر الدين او استقرار احوال الحكم ، فاننا لا نكون مبالغين اذا نحن اعتبرنا الفكر المغربي قد تأثر بكل عوامل التفتح والانطماش التي عرف المغرب . وتكاد تكون اهم ظاهرة فكرية يمكن



للباحث ان يستنتجها فى هذه الفترة من خلال تلك العوامل هي اخذ  
المقاربة بالمشهد المالكي والتزامهم بأرائه فقها وعقيدة (18) .

اما الادب ، فليست ادري اذا كان جائزا لنا ان نتحدث عن وجوده فى  
فى هذه الفترة ، واللغة ما زالت تتعثر فى طريقها للوصول الى الالسنه بله  
القلوب والعقول . وليست ادري كذلك اذا كان عدم وجود هذا الادب ،  
او وجوده هزىلا يرجع الى تلك العوامل التي أثرت على اللغة وعرقلت  
سيرها الذي كان طبيعيا ان تسير فيه . واكاد اكون متاكدا من ان هذه  
الاسباب التي حالت دون استقرار البلاد وانتشار العربية وازدهار الفكر  
هي نفسها التي وقفت دون انطلاق الادب .

ولا اخفي ان العجب ياخني وانا اقرا فى كتاب (( الادب المغربي ))  
ما يذهب اليه المؤلفان من ان فتح الاندلس كان (( على المغرب من الناحية  
الادبية خسارة تشبه تلك الخسارة التي منيت بها الجزيرة العربية وقد  
فارقها اهلها ، فتوجهت الانظار الى البلاد المفتوحة ونفقت فيها سوق  
الادب ونبع فيها الشعراء وغيرهم من رجال الادب فلم نعد نسمع للجزيرة  
بعد ذلك هذا الصدى القوي الذي كان يتردد فى جنباتها ايام الجاهلية  
واوائل الاسلام (19) )) . فى حين ان القضية معكوسة ، ولا يبدو فيها اي  
وجه للمقارنة . والسبب ان الجزيرة العربية التي اراد هذا القول ان يشبه  
المغرب بها فى انطلاق الفتح منه الى الاندلس ، كما انطلق منها الى  
سائر الاقاليم ، كانت فى فترة الاسلام الاولى وفترة الجاهلية قبلها مهد  
ادب مزدهر لا يخفى على احد . اما المغرب فلم يكن يعرف من هذا  
الازدهار او ما هو شبيه به اي شيء . واذا كانت الجزيرة العربية قد  
ضاعت فى ابنائها الذين استشهدوا فى الفتوح او استقروا فى الامصار  
الاسلامية الجديدة ، وكان فيهم خطباء وشعراء وحفاظ القرآن والحديث ،  
فان المغرب لم يرسل لفتح الاندلس غير جيش من المحاربين ، لم يكن  
الاسلام قد تمكن من قلوبهم ، ولم تكن اللغة العربية قد وصلت الى  
السننهم وافهامهم ؛ بل انا نؤكد ما سبق ان قلنا قبل من ان الاسلام استقر  
فى المغرب بسبب استقراره فى الاندلس ، او على الاقل كان ذلك من  
اهم العوامل . ثم انه لولا وجود الاندلس لما تشجع اولئك المشاركة الذين

وفدوا اليها على الإقامة في المغرب بدلا منها لما كان عليه وضعه - في هذه الفترة - من الفوضى وعدم الاستقرار . وربما زاد في أهمية الاندلس واعتبار المغرب مجرد ممر عبور لها انها أصبحت مركز خلافة الامويين . ولا انكار بعد هذا ان المغرب أفاد من الاندلس سواء في هذه المرحلة أو بعدها ، وأنها أشعت عليه اشعاعات مختلفة وفي جميع الميادين ومختلف الفترات ، وان كنا لا ننكر كذلك ان المغرب في وقت ما انقذ الاندلس من الضياع وتبادل واياها الكثير من العطاء .

وربما اعتمد الذين يقولون بوجود أدب في المغرب لأول عهده بالاسلام على الخطبة (20) المشهورة التي القاها طارق بن زياد في الجيش المتوجه لفتح الاندلس . والحق ان الباحثين وقفوا بشأن هذه الخطبة مختلفين . فعند الاستاذ كتون أنها « فهمها الجيش كله واثرت فيه تأثيرها البليغ المشهود في اندفاعه الى حومة الوغى وتهافته على الموت بايمان وحماس ، فكيف يفسر هذا بغير سرعة انتشار العربية كالسرعة التي انتشر بها الاسلام ؟ (21) » .

ويذهب والدنا حفظه الله الى ان جند طارق « كان في مجموعه يدرك مدلول ما احتواه الخطاب الحماسي العربي ، وهو ما هو علوا في البيان والروعة والسمو يجعلنا نومن بان برابرة المغرب لذلك العهد الاسلامي الفتى كان لهم المام واسع ومعرفة لا تقصر عن فهم امثال هذا الخطاب العربي البليغ الذي حول فزعهم ثباتا وشجاعة واضطرابهم يقينا وصمودا (22) » .

ونجد الامير شكيب ارسلان في العرض الذي قدم به لكتاب (النبوغ) في طبعته الجديدة يبدى بعض الشك في هذه الخطبة ، ولكنه لم يلبث ان يتراجع عن هذا الشك ، مقتنعا برأي صاحب (النبوغ) ؛ فهو يقول : « ... ظهر الطابع العربي على البربر ونبغ فيهم العلماء والخطباء بالعربية الفصحى ، وحسبك شاهدا طارق بن زياد الذي خطب قبل الموقعة التي هزم فيها لنريق ملك الاندلس ، تلك الخطبة الطنانة التي لو حاول مثلها قس بن ساعدة أو سحبان وائل لم يات بافصح ولا بابلغ منها . ولقد كنت

افكر مليا فى امر هذه الخطبة واقول فى نفسي : ... هنا لغز من الغاز التاريخ لا ينحل معناه بالسهولة ، فقد اتفقت الروايات على كون طارق بن زياد بربريا قحاً ، وكذلك اتفقت الروايات ايضا على كونه هو لا غيره صاحب الخطبة الرنانة المعدودة من امودجات الخطب العربية ، فكيف يمكن التلقيق بين هذين الامرين المتناقضين وانى لطارق البربري مثل هذه العربية . وكنت افكر فى ان طارق يكون احسن تعلم العربية كما احسن ذلك كثير من ابناء جيله ، وكما تعلمت العربية رجال فارس حتى برزوا فى العربية اقرانهم من انفس العرب ، ولكني لم اكن مستريح البال من جهة اتقان طارى للعربي الفصيح وبلوغه فيه هذه الدرجة العليا ، وثان يحز فى صدري ان تلك الخطبة كانت بلاغتها فى المعنى وانما وضعها رواة العرب فى هذا القالب الذي سحر الالباب ؛ وما زلت مترددا فى هذا حتى جاءني ثلج اليقين على يد الاستاذ عبد الله كنون الذي جزم بأن هذه الخطبة النادرة انما كانت من جملة ثمرات انطباع البربر بالطابع العربي البحث (23) » .

وعلق الاستاذ كنون على هذا الكلام فى الهامش فقال : (( يستشكل بعض الباحثين صدور خطبة طارق بن زياد منه وهو بربري قح ، يستبعد أن تكون له هذه العارضة القوية فى اللغة العربية ، حتى يأتي بتلك الخطبة البليغة . وهو استشكل فى غير محله ، ( اولا ) لان طارق بن زياد ان كان أصله بربريا فقد نشأ فى حجر العروبة والاسلام بالمشرق ولم يكن هو الذي اسلم اولاد بل والده ، بدليل اسمه زياد فانه ليس من أسماء البربر ، ولا شك انه كان من مسلمة الفتح المغربي الاول وانه انتقل الى المشرق حيث تولاه موسى بن نصير ونشأ ولده فى هذا الوسط العربي الذي كونه وثقفه . ( ثانيا ) لان نبوغ غير العرب فى اللغة العربية منذ اعتناقهم الاسلام امر غير بدع حتى يستغرب من طارق وهو قد نشأ فى بيت اسلامي عربي . فعندنا سلمان الفارسي الذي قضى شطر حياته فى بلاد عجمية فلما اسلم بعد ذلك تفتق لسانه بالعربية الى ان قال فيها الشعر ، وبيته المضروب به المثل فى الاعتزاز بالاسلام واعتباره هو نسبه الذي يفخر به ، اذا افتخروا بقيس او بتميم لا يخفى على احد . ونمثل ببربري آخر غير طارق وهو عكرمة مولى ابن عباس الذي قال فيه الشعبي : ما بقي احد



اعلم بكتاب الله من عكرمة ، ومقامه في العلم والرواية لا يجهل .  
( ثالثا ) لانه ليس في الخطبة من صناعة البيان ما يمنع نسبتها لطارق ،  
وبلاغتها في نظرنا انما ترتكز أولا وبالذات على معانيها . والمعاني ليست  
وففا على عربي ولا عجمي . نعم يمكن أن يكون وقع في هذه الخطبة بعض  
تصرف من الرواة بزيادة أو نقص ، ونحن قد صححنا فيها بالفعل احدى  
العبارات التي لم تكن واضحة الدلالة على معناها ولكن هذا لا ينفي اصل  
الخطبة ولا يصح أن يكون حجة للتشكك في نصها الكامل (24) » .

وفي رأي الاستاذ عبد الله عنان ( انه يسوغ لنا ان نرتاب في نسبة  
هذه الخطبة الى طارق ، فان معظم المؤرخين المسلمين ولا سيما المتقدمين  
منهم لا يشير اليها ، ولم يذكرها ابن عبد الحكم ولا البلاذري ، وهما أقدم  
رواة الفتوحات الاسلامية ، ولم تشر اليها المصادر الاندلسية الاولى ، ولم  
يشر اليها ابن الاثير وابن خلدون ، ونقلها المقرئ عن مؤرخ لم يذكر  
اسمه ، وهي على العموم اكثر ظهورا في كتب المؤرخين والادباء المتأخرين .  
وليس بعيدا ان يكون طارق قد خطب جنده قبل الموقعة ، فنحن نعرف  
أن كثيرا من الغزوات الاسلامية الاولى كانوا يخطبون جندهم في الميدان،  
ولكن في لغة هذه الخطبة وروعة اسلوبها وعبارتها ما يحمل على الشك  
في نسبتها الى طارق ، وهو بربري لم يكن عريقا في الاسلام والعروبة ،  
والظاهر انها من انشاء بعض المتأخرين ، صاغها على لسان طارق مع  
مراعاة ظروف المكان والزمان (25) » .

وقريب من هذا الرأي ما ذهب اليه الدكتور أحمد هيكل ، فعنده ان  
الخطبة يحف بها كثير من الشك لاسباب هي :

1 - « ان طارق بن زياد كان بربريا مولى لموسى بن نصير ومن شأنه ان  
يكون حديث عهد بالعربية والا يستطيع الخطابة والشعر بلغة هو  
حديث عهد بها ... »

2 - ان المصادر الاولى التي سجلت حوادث الفتح قد خلت تماما من اي  
حديث عن هذا الادب مع أنها تناولت تفاصيل يدخل بعضها في باب  
الاساطير . وقد استوت في ذلك الصمت عن هذا الادب المصادر

الاندلسية والمغربية والمشرقية جميعا ، ولم يرد هذا الادب المنسوب الى طارق الا في بعض المصادر المتأخرة كثيرا عن فترة

الفتح مثل نفح الطيب ...

3 - الاسلوب الذي جاءت به لم يكن معروفا في النثر العربي خلال الفترة التي تعزي اليها تلك الخطبة فالسجع الكثير والمحسنات المتكلفة قد شاعت في عصر متأخر كثيرا عن القرن الاول .

4 - قوله لجنده وكانوا كما نعرف من البربر : ( وقد اختاركم امير المؤمنين من الابطال عربانا ) . فطارق كان يعرف ان جنوده من البربر وجنوده كانوا يعرفون انهم ليسوا عربانا . ومن هنا يبعد ان يكون قد خطبهم بهذا الكلام الذي لا يقوله الا غير عالم بحقيقة جيش طارق (26) .

واغلب الظن ان في كل هذه الاقوال (27) مبالغة لا تنكر . اما بالنسبة لماذهب اليه الوالد وصاحب النبوغ فنحن نعرف ان البربر بمجرد ان اسلموا ، او بالاحرى اسلمت طائفة منهم ، خرجوا للفتح من غير ان تتاح لهم اية فرصة - مهما كانت هذه الفرصة قصيرة - ليتعلموا اللغة العربية لدرجة تمكنهم من الخطابة بهذا الاسلوب الذي هي عليه خطبة طارق .

واما بالنسبة لصاحب « الادب الاندلسي » وصاحب « دولة الاسلام » قبله فنحن لا نختلف معهما في ان طارق بن زياد لم يتح له من تعلم اللغة ما يسمح له بالقاء تلك الخطبة ، ولكننا نختلف معهما فيما بعد ذلك . فاهمال المصادر القديمة لهذا الادب - ان كان هناك اهمال حقا - لا ينهض دليلا على رفضه ، لا سيما ونحن نعرف ان ما وصلنا من هذه المصادر قليل جدا ، وان ما وصلنا فيها من اخبار ونصوص ليس غير جزء ضئيل مما كنا ننتظر وما زلنا ننتظر ان يصلنا يوم يكشف النقاب عن تراثنا الدفين . ثم ان القول باهمال المصادر القديمة لهذه الخطبة قول مبالغ فيه ، فقد فات كلا من الاستاذين هيكل وعنان ان يطلعا على كتب كثيرة الفت قبل « نفح الطيب » وردت فيها الخطبة بنصوص متشابهة حيناً ومختلفة حيناً آخر ، نرى ضرورة اثباتها هنا (28) :



1 - ففى تاريخ ابن حبيب (29) المتوفى سنة 239 هـ ورد انه  
« لما بلغ طارفا دنوه منه قام فى اصحابه فحمد الله واتنى عليه ثم حض  
الناس على الجهاد ورجبهم فى الشهادة ثم قال : أيها الناس أين المفر  
والبحر من ورائكم والعدو امامكم ؟ فليس لكم والله الا الصدق والصبر ،  
الا واني صارم الى طاغيتهم بنفسى لا افصر حتى اخالطه او اقتل دونه » .

2 - وفى كتاب ( الامامة والسياسة ) يورد ابن قتيبة (30) المتوفى  
سنة 276 الخطبة بهذا النص : « أيها الناس أين المفر البحر من ورائكم  
والعدو امامكم فليس ثم والله الا الصدق والصبر فانهما لا يغلبان وهما جندان  
منصوران ولا تضرهما قلة ولا تنفع مع الخور والكسل والقتل والاختلاف  
والعجب كثرة . أيها الناس ما فعلت من شيء فافعلوا مثله ان حملت  
فاحملوا وان وقفت فنفوا ثم كونوا كهية رجل واحد فى القتال الا واني  
عامد الى طاغيتهم بحيث لا اتعبه حتى اخالطه او اقتل دونه فان قتلت  
فلا تهتوا ولا تحزنوا ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم وتولوا الدبر  
لعدوكم فتبددوا بين قتيل واسير . واياكم اياكم ان ترضوا بالدنية ولا  
تعطوا بايديكم وارغبوا فيما عجل لكم من الكرامة والراحة من المهنة والذلة  
وما قد حل لكم من ثواب الشهادة فانكم ان تفعلوا والله معكم ومعذكُم  
تبوعون بالخسران المبين وسوء الحديث غدا بين من عرفكم من المسلمين  
وها اننا حامل حتى اغشاه فاحملوا بحملي (31) » .

3 - وفى ( سراج الملوك ) للطرطوشي المتوفى سنة 520 هـ بعد  
الحديث عن القتال الذي دار بين جيش المسلمين وجيش الروم :  
« فاقتلوا ثلاثة ايام اشد قتال فرأى طارق ما الناس فيه من الشدة ،  
فقام فحضرهم على الصدق والصبر ورجبهم فى الشهادة وبسط آمالهم  
ثم قال : ( أين المفر البحر من ورائكم والعدو امامكم فليس الا الصبر منكم  
والنصر من ربكم وانا فاعل شيئا فافعلوا كفعلي فوالله لاقصدن طاغيتهم  
فاما ان اقتله واما ان اقتل دونه ) » (32) .

4 - وفى ( ربحان الالباب وربعان الشباب فى مراتب الاداب ) (33)  
لابي محمد عبد الله بن ابراهيم المواعيني الاشبيلي - وكان معاصرا  
للموحدين - ورد تحت عنوان : ( مقتضية فى ذكر ولاية الاندلس من عهد

فتحها الى وقتنا هذا ) : « ولما اجاز طارق البحر ودمرهم قال : « انكم بين عدوين بين اهل الكفر وبين البحر فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا » واحرق سفن الجواز ... فلما اشرف طارق على جمعهم قال : لاصحابه : « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين واني مصمم بنفسي نحو طاغيتهم حتى يحكم الله بيني وبينه وقد فرض الله الواحد منكم للعشرة فاحملوا كما امر الله ينصركم وان ينصركم الله فلا غالب لكم » ثم اجاز موسى البحر الى الاندلس ... »

5 - وفي ( وفيات الاعيان ) لابن خلكان المتوفى سنة 681 : « فلما بلغ طارقا دنوه قام في اصحابه فحمد الله سبحانه وتعالى واتنى عليه بما هو امله ثم حث المسلمين على الجهاد ورغبهم في الشهادة ثم قال : « ايها الناس اين المفر البحر من ورائكم والعدو امامكم فليس لكم والله الا الصدق والصبر واعلموا انكم في هذه الجزيرة اضيع من الايتام في مآدب اللئام وقد استقبلكم عدوكم بجيشه واسلحته واقواته موفورة وانتم لا وزر لكم غير سيوفكم ولا اقوات لكم الا ما تستخلصونه من ايدي اعدائكم وان امتدت بكم الايام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم امرا ذهبت ريحكم وتعوضت القلوب برعبها منكم الجراءة عليكم فادفعوا عن انفسكم خذلان هذه العاقبة من امركم بمناجزة هذا الطاغية فقد القت به اليكم مدينته المحصنة وان انتهاز الفرصة فيه لمكن لكم ان سمحتم بانفسكم للموت واني لم احذركم امرا انا عنه بنجوة ولا حملتكم على خطة ارض متاع فيها النفوس ابدا فيها بنفسي واعلموا انكم ان صبرتم على الاشق قليلا استمتعتم بالارفة الا لذ طويلا فلا ترغبوا بانفسكم عن نفسي فيما حظكم فيه اوفر من حظي وقد بلغكم ما انشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان من بنات اليونان الرافلات في الدر والمرجان والحلل المنسوجة بالعقيقان المقصورات في قصور الملوك ذوي التيجان وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك من الابطال عربانا ورضيكم لملوك هذه الجزيرة اصهارا واختانا ثقة منه بارتياحكم للطعام واستماحكم لمجالدة الابطال والفرسان ليكون حظهم منكم ثواب الله على اعلاء كلمته واظهار دينه بهذه الجزيرة ويكون مفعمها خالصا لكم من دونه ومن دون المسلمين سواكم والله تعالى ولي انجادكم على ما يكون لكم ذكرا في الدارين واعلموا اني اول مجيب الى ما دعوتكم اليه

واني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية القوم لنويق فقاتله ان شا ءالله فاحملوا معي فان هلكت بعده فقد كفيتم امره ولن يعوزكم بطل عاقل تسندون امركم اليه وان هلكت قبل وصولي اليه فاخلفوني في عزيمتي هذه واحملوا بانفسكم عليه واكتفوا المهم من فتح هذه الجزيرة بقتله فانهم بعده يخلون (34) » .

6 - وفي ( تحفة الانفس وشعار اهل الاندلس ) لعلي بن عبد الرحمن بن هذيل - وهو من كتاب القرن الثامن الهجري - ورد هذا النص : « ايها الناس اين المفر . البحر من ورائكم والعدو امامكم وليس لكم والله الا الصديق والصبر ، واعلموا انكم في هذه للجزيرة اضيع من الايتام في مادية اللثام ، وقد استقبلكم عدوكم بجيوشه واسلحته واقواته موفورة ، وانتم لا وزر لكم الا سيوفكم ولا اقوات لكم الا ما تستخلصونه من ايدي عدوكم . وان امتدت بكم الايام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم امرا ذهبت ريحكم وتعوضت القلوب عن رعبها منكم الجراة عليكم فادفعوا عن انفسكم خذلان هذه العاقبة من امركم بمناجزة هذا الطاغية فاذ القت به اليكم مدينته الحصينة وان انتهاز الفرصة فيه لممكن ان سمحتم لانفسكم بالموت . واني لم احذركم امرا انا عنه بنجوة ولا حملتكم على خطة ارحص متاعا فيها النفوس ابدا بنفسي واعلموا انكم ان صبرتم على الاشق قليلا فما حظكم فيه باوى من حظي . وقد بلغكم ما انشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان من بنات اليونان الرافلات في الدر والمرجان والحلل المنسوجة بالعقيان المقصورات في قصور الملوك ذوي التيجان . وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك امير المؤمنين من الابطال عربانا ورضيكم لملوك هذه الجزيرة اصهارا واختانا ثقة منه بارتياحكم للطعان واستماحكم لمجالدة الابطال والفرسان ليكون حظهم منكم ثواب الله على اعلاء كلمته واظهار دينه بهذه الجزيرة وليكون مضمها خالصا لكم من دونه ومن دون المومنين سواكم . والله تعالى ولي انجادكم على ما يكون لكم ذكرا في الدارين . ايها الناس ما فعلت من شيء فافعلوا مثله ان حملت فاحملوا وان وقفت فقفوا ثم كونوا كهيئة رجل واحد في القتال واني عامد الى طاغيتهم بحيث لا انهيه حتى اخالطه وامثل دونه فان قتلت فلا تهنوا ولا تحزنوا ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم وتولوا البر لعدوكم فتبدوا بين قتيل واسير



واياكم اياكم ان ترضوا بالدنية ولا تعطوا بايديكم وارغبوا فيما عجل لكم من الكرامة والراحة من المهنة والذلة وما قد احل لكم من ثواب الشهادة فانكم ان تفعلوا والله معكم ومعيزكم تبوءوا بالخسران المبين وسوء الحديث غدا بين من عرفكم من المسلمين وما انذا حامل حتى اغشاه فاحملوا بحملتي (35) » .

ومن عجيب الامر ان ينقل عنان هذه الخطبة من نص ابن هذيل ثم يترك القارئ يفهم من تعليقه عليها ان النسخ اقدم مصدر اوردها ، ونحن نعرف ان صاحب النسخ توفي سنة 1041 هـ .

واظنني في موضوع الاسلوب لا ارى ما يباعد بين خطبة طارق وخطب الامويين ، من حيث التأثير على المشاعر ، واثارة العواطف ، واللجوء في ذلك الى الاستفهام والتساؤل والتمني والترغيب واستعمال اللفاظ القوية في الجرس والمفهوم . واذا كان السجع قد اختفى من خطبة هذا العصر في مفهومها العام ، فانه لم يختف من المحاورات وبعض الخطب السياسية .

اما قول طارق « وقد اختاركم امير المؤمنين من الابطال عربانا » فلعل المقصود به القواد العرب الذين كانوا على راس فرق الجيش . بل انا نجد في بعض الروايات كلمة العريان هذه قد اضيفت اليها لظة فاصبحت عزيانا (36) جمعا لعزب وهو الذي لم يتزوج . وليس مستبعدا ان تكون هذه الرواية صحيحة بدليل قول الخطبة بعد ذلك : « ورضيكم لملوك هذه الجزيرة اصهارا واختانا » (37) .

والراي عندي بعد هذا ان الخطبة ثابتة وان كان اختلاف النصوص يدعو الى الشك في هذا الثبوت ، ثم اني ارجح انها ليست من انشاء طارق وانما كتبت له ليلقيها في الجيش ، وانها في هذه الحالة من انشاء عربي من الفاتحين يتقن الكتابة بل لعل مهمته كانت تقضي ان يكتب للجيش ولقائده . وليس هذا بغريب فقد كان مالوفا ان تكتب للامراء والوزراء خطبهم ورسائلهم ، بل ما زلنا اليوم نرى المسؤولين على مختلف طبقاتهم يكتب لهم حين يريدون ان يخطبوا او يرسلوا ، سواء منهم من يعرف اللغة او يجهلها .

ونفي انشاء الخطبة عن طارق لا يمس اسلامه ولا يطعن في عملية  
الفتح او يشكك في حقائق التاريخ كما قد يظن (38) . ولعلنا في غنى عن  
القول بانه ليس في اثباتها جملة او عدمه ما يزيد شيئا في الاسلام او ينقص  
منه ، بل ان تعثر الفتح نفسه في المغرب - وهو حقيقة تاريخية - لا  
يؤثر على الدين ولا يחדش عقيدة المغاربة حتى من تاخر اعتناقهم له .

وهبنا تقبل جدلا ان الخطبة لطارق ، وانها دليل على انتشار اللغة  
العربية واتقان البربر لها في هذا العهد المبكر ، فإين هي اذن آثار هذا  
الانتشار والاتقان ؟ ايعقل ان يكون لسان البربر قد تعرب لدرجة انشاء  
الخطب البليغة ، وليس غير طارق متعربا خطيبا ؟ ايعقل ذلك في هذا  
الوقت - في اواخر القرن الاول - ونحن لن نعثر بين المغاربة بعد ذلك  
على من ينشئ ادبا الا في القرن الرابع .

على اننا ونحن نناقش صحة نسبة هذه الخطبة لطارق ، لا نرى  
مناصا من ادخال اصل صاحبها في الموضوع ، وهو عنصر يحدد اتجاه  
تناولنا للخطبة ، حيث اننا نبحثها ونهتم بها على اعتبار انها صادرة عن  
طارق ، مفترضين او مسلمين انه مولى لموسى بن نصير وانه من البربر  
الزناتيين او النفاويين ، وان كنا نرتاب فيما يقال من ان والد طارق وجده  
كانا مسلمين كما يتضح من اسمه « طارق بن زياد ابن عبد الله (39) »  
لان ذلك لا يساير حوادث التاريخ التي تجعل الفاتح الاول للمغرب وهو  
عقبة يصل عام 61 - 62 هـ ، الا اذا كنا نتفق على ان طارقا واباه وجده  
كانوا جميعا على قيد الحياة في هذا الوقت واسلموا في فترة واحدة .

وقد يتخذ البحث اتجاها آخر ، وربما يصبح غير ذي جدوى اذا نحن  
افتراضنا او سلمنا بانه ليس مولى ولا بربريا وانما هو من صدف ، او اذا  
نحن افتراضنا او سلمنا بانه مولى لموسى ولكن ليس بربريا وانما مولى له  
فارسيا من همدان (40) .

وما قلناه عن الخطبة نقوله عن الابيات الشعرية التي اوردها لم  
المقري (41) نقلا عن الحجاري في المسهب وابن اليسع في المغرب ،  
وهي :



ركبنا سفينا بالمجاز مقيرا      عسى ان يكون الله منا قد اشترى  
نفوسا وأموالا وأهلا بجنة      اذا ما اشتهينا الشيء فيها تيسرا  
ولسنا نبالي كيف سالت نفوسنا      اذا نحن ادركنا الذي كان أجدرنا

وقد علق والدنا على الابيات بقوله : (( ... )) وقد اشتد شوق الاخوان  
البرابرة وقوى شغفهم باللسان العربي الجديد ساعة ما اخذ القائد طارق  
يخاطب اخوانه بلون جديد من ألوان الكلام منشدا اخوانه قصيدته في  
الفتح ... بل حسبنا ان نرى هذا اللون من الكلام المقفى والأسلوب  
المتزن الجديد الذي لا تفتأ تقاطيعه الشعرية ونبراته الفنائية ذات التوبات  
التفصيلية القارة تجتذب نفسية الاخ البربري وتحرك شوقه الحار لهذا  
النوع الطريف من القول الحافز بهدوئه الموسيقي الى الاصفاء بقلب واع  
ونفس تواقة للنسج على منواله الهندسي الدقيق رافعا مكانته فى مقام  
الكلام الى اسمى ذروة فى الوزن والتقفية (42) .

\* \* \*

ولعلنا الى جانب هذه الخطبة والابيات ، نستطيع ان نقسم الانتاج  
الادبي - ان صح ان نسميه كذلك - الى فرعين :

الاول : انتاج غير مغربي ولكنه قيل فى المغرب . ويجب الانتباه  
فى هذا المضمار الى اننا قد نجد فى المصادر التي تحدثت عن هذه الفترة  
بعض الشعر ينسب لولاة او غيرهم ، وفدوا الى المغرب ، ولكن قد لا  
تعني (( المغرب الاقصى )) بقدر ما تعني كل الشمال الافريقي ، على حد ما  
نقرا ليزيد بن حاتم (43) فى هذين البيتين :

ما يالف الدرهم المضروب خرقتنا      الا لماما يسيرا ثم ينطلق  
يمر مرا عليها وهي تلفظه      اني امرؤ لم يحالف خرقتي الورق (44)

ويعتبر الشاعر التاهرتي بكر بن حماد (45) أشهر من وفد على  
المغرب ومدح حكامه . وله فى احمد بن القاسم بن ادريس هذه الابيات :

أن السماحة والمروءة والنسدى  
واذا تفاخرت القبائل وانتمت  
وبجعفر الطيار فى درج الملا  
انى لمشتاق اليك وانما  
فابعث الي بمركب اسمو به  
واعلم بانك لن تنال محبة  
جمعوا لاحمد من بني القاسم  
فافخر بفضل محمد وبفاطم  
وعلى الغضب الحسام الصارم  
يسمو العقاب اذا سما بقوادم  
على اكون عليك اول قادم  
الا ببعض ملابس ودراهم (46)

وله فى ابي العيش عيسى بن ادريس صاحب جراوة وتلمسان قصيدة  
منها هذه الابيات :

سائل زواغة عن فعال سيوفه  
وديار نفرة كيف داس حريمها  
وغشى مفيلة بالسيوف مذلة  
ورماحه فى العارض المتهلل  
والخيل تمرغ بالوشيج الذبل  
وسقى جراوة من نقيع الخنظل (47)

كذلك نقرا هذه الابيات من أرجوزة للشاعر احمد بن جعفر المروزي،  
وكان قد مال لعبيد الله حين دخل مدينة نكور منتصرا على سعيد :

لما طفى الارذل وابن الارذل  
قال نكور دون ربي معقلي  
من الاله كالحريق المشعل  
حطم اهل كفرها بالكلكل  
على القنا من الرماح الذبل  
فى عصابة من الطغام الجهل  
اتاه محتوم القضاء الفيصل  
فحل ارضا طائما لم تحلل  
وجاء رأس راسها المبئل  
ذو لمة شاعثة لم تفسل

ولحية غبراء لم ترجل (48)

وربما جاز لنا ان نعتبر من الادب الوافد ذلكم الادب الذي صدر عن

الادارسة . حقا انهم اقاموا في المغرب ونشأوا فيه ، ولكنهم ظلوا يعيشون في بيئة عربية خالصة ، ولم يتح لهم من ظروف الزمن وعوامل الاندماج ما يعتبرون به مفارقة ، الا ما كان من حقدتهم فانهم قد يسحبون من هذا الحكم . فباستثناء الرابط الديني لم تكن توجد - في الفترة الاولى - للادارسة - عناصر مشتركة من شأنها أن تحلق التكايف والتجانس والامتزاج ، وان تحلق بالتالي نمطا ثقافيا وحضاريا واحدا يجمعهم مع المفارقة داخل اطاره ونطاقه ، بل كانوا يعيشون خارج النمط المحلي . وكذلك كان المفارقة الذين لم تكن قد أتاحت لهم ظروف التعرف على ما في النمط العربي المشرقي الذي حمله الادارسة ، فضلا عن أن يندمجوا فيه وينسجموا معه ، علما بأننا لا نعرف الا أشياء قليلة عن بنيات كل من النمطين . وقد ظل الادارسة مشاركة بالروح والعقلية ونمط الحياة وبطبيعة العلاقات ومستوى التعبير ، لا يفارقه الشعور بارومتهم ، ذلكم الشعور الذي كان ثابتا فيهم متصلا يتمثل في الحنين الذي لم يخب قط في نفوسهم ، بل ان هذا الحنين ظل يراودهم بقوة في بعض الاحيان ، وخاصة حين تتأزم الاحداث والظروف ، على حد ما نقرا لادريس الثاني يشكو الهموم وبعد الاحباب (49) :

لو مال صبري بصبر الناس كلهم	نضل في روعتي او ضل في جزعي
وما اربع الى ياس ليسليني	الا . . . ياس الى طمع
وكيف يصبر مطوي هضائمه	على وساوس هم غير منقطع
اذا الهموم توافت بعد هجعتيه	كرت عليه بكاس مرة الجرع
بان الاحبة واستبدلت بعدهم	هما مقيما وشملا غير مجتمع
كأنني حين يجرى الفكر ذكرهم	على ضميري مخبول من الفرع
تاوى همومي اذا حركت ذكرهم	الى جوانح جسم دائم الولع

وبأقوى من هذا النفس ، وفي شيء غير قليل من اليأس والانسلاخ عن كل ما قد يربطه بالمغرب ، يتحدث ابنه القاسم في معرض اعتذاره عن معاربة عيسى بن ادريس حين خرج على أخيه محمد فيقول :

سأترك للراغب الغرب نهبا  
واسمو الى الشرق في هممة  
وأترك عيسى على رايه  
ولو كان قلبي عن قلبه  
وان احدث الدهر من ربه  
فاني اري البعد سترا لنا  
ولم نجن قطعا لارحامنا  
وتبقى العداوة في عقبننا  
واوفق من ذاك جوب الفلاة

وان كنت في الغرب قبيلا ونديا  
يعز بها رتيبا من احبنا  
يعالج في الغرب هما وكربنا  
لكنت له في القرابة قلبنا  
شقاقا علينا واحداث حربنا  
يجدد شوقا لدينا وحبنا  
تلاقي به آخر الدهر عتبنا  
واكرم به حين نعقب عقبننا  
وقطع المخارم نقبا فنقبنا (50)

ويكاد كل الشعر الذي صدر عن الادارسة يكشف عن اضطراب نفسي ناتج عن الظروف المتازمة التي كانوا يعيشون ، سواء فيما بينهم او مع خصومهم . وهذه ابيات كتب بها ادريس الثاني لبهلول بن عبد الواحد المضفري - وهو مغربي كما سنرى بعد - وكان قد مال الى ابراهيم بن الاغلب عامل الرشيد على افريقية ، يقول فيها :

ابهلول قد حملت نفسك خطية  
اضلك ابراهيم مع بعد داره  
كانك لم تسمع بمكر ابن اغلب  
ومن دون ما منتك نفسك خاليا

تبذلت منها ضلة برشاد  
فاصبحت منقادا بغير قياد  
وقدما رمى بالكيد كل بلاد  
ومناك ابراهيم شوك قتاد (51)

ومثلها ابيات لابراهيم بن ادريس بعد ان اخرج المنصور ابن ابي عامر من قرطبة ، قالها يخاطب المروانيين لما راي غلبة المنصور على هشام المؤيد ، وهي :

فيما اري عجب لمن يتعجب  
جلت مصيبتنا وضاق المذهب



حتى أقول غلظت فيما أحسب  
ويسوس هذا الملك هذا الاحدب  
أعواده فيهن قرد أشهب  
منكم وما لوجوها تنقيب (52)

اني لأكذب مقلتي فيما أرى  
ايكون حيا من أمية واحد  
تمشي عساكرهم حوالي هودج  
ابني أمية أين أقمار الدجى

وابراهيم هذا هو صاحب قصيدة طويلة فى مدح مؤيد الدولة هذيل  
بن خلف بن رزين ، وقد أورد منها ابن الأبار هذه الأبيات : (53)

ولنائبات الدهر عندي مطلب  
تأتي لوقت صادق لا تكذب  
طبعاً تطيع والطبيعة أغلب  
ودمى لوافدة المكاره مشرب  
وجوانح تكوى وعقل يذهب

للبين فى تعذيب نفسي منهـب  
أما ديون احداثات فانها  
والبين مفرى كيده بأولي النهى  
أيقنت أنى للرزايـا مطعمـم  
فأنا من الآفات عرض سـالمـم

وفى هذا الاطار يقول عبيد الله بن يحيى يخاطب الناصر بعد أن فتح  
سبته سنة 319 :

بصائر كانت برهة قد تولت  
ولا حيلت بالزى لما تحلست  
عزائم لو ترمي بها العصم زلت  
تدال بحمد الله من شر دولة  
بشائره تروي الانام بسبته (54)

بسيفك دانت غنوة واقـرت  
وما قرئت أهواؤها اذ تقربت  
ولكن أزالـت راسيات عقودها  
ودولة منصور اللواء مؤيد  
فهذا أوان النصر منها وهذه

أما ما ينسب لأدريس الثاني من خطب ، وخاصة خطبته بعد مبايعته  
والخطبة التي ألقى فى أول جمعة أقيمت بعد بناء مدينته ، فأمره يختلف .

أما الأولى - ومن العبث محاولة اثبات صحة نسبتها له - فقالها وهو طفل عمره أقل من إحدى عشرة سنة ، لا مجال للحديث عن « فصاحته وبيانه ورصانة عقله وبلاغته » (55) . وفيها جاء : « الحمد لله أحمدته واستغفره وأستعين به واتوكل عليه وأعوذ بالله من شر نفسي وشر ذي شر ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، أرسله إلى الثقلين بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بأذنه وسراجا منيرا ، صلى الله عليه وعلى آله الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، أيها الناس أنا قد ولينا هذا الأمر الذي يضاعف للمحسن فيه الأجر وللمسيء الوزر ، ونحن والحمد لله على طريق قصد فلا تمدوا الأعناق إلى غيرنا فإن الذي تطلبونه من إقامة الحق إنما تجدونه عندنا » (56) .

وأما الخطبة الثانية ، وقالها بعد الأولى بنحو ست سنوات ، فلعل حدة الشك حولها تخف ، وقد ختمها بهذا الدعاء : « اللهم انك تعلم أنني ما أردت ببناء هذه المدينة مباهاة ولا مفاخرة ولا رياء ولا سمعة ولا مكابرة ، وإنما أردت أن تعبد بها ويتلى بها كتابك وتقام بها حدودك وشرائع دينك وستة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ما بقيت الدنيا ، اللهم وفق سكانها وقطانها للخير وأعنهم عليهم واكفهم مؤنة أعدائهم وادر عليهم الأرزاق واغمد عنهم سيف الفتنة والشقاق انك على كل شيء قدير » (57) .

ولعلنا ، ونحن نبحث في هذا الجانب من شعر المشاركة الذي قيل في المغرب ، أن نتساءل عما قال شعراء الفتح الإسلامي - أن كان هناك شعراء - سواء ما كان منه متعلقا بالوقائع أو ما كان معبرا عن مشاعرهم في هذه الوقائع من رثاء للشهداء وحنين إلى الأوطان والأحباب ، على حد ما نقرأ في شعر الفتوح الشرقية في بغداد وفارس ، وهو ذلك الشعر الذي يزخر به كتاب فتوح البلدان للبلاذري وتاريخ الطبري ومعجم البلدان لياقوت الحموي . والأسف أنا لا نجد مثل ذلك شعرا يصور الفتح الإسلامي للمغرب ، وأغلب الظن أن السبب راجع إلى طبيعة هذا الفتح وإلى أن الجيوش التي شاركت فيه كانت في جلها مكونة من عرب الجنوب ومن أهل اليمن خاصة ، ومعروف أن حظهم من الشعر قليل وربما لا يذكر .

والاسف ان هذه الظاهرة لم تؤثر على حال شعر الفتح فقط ، بل تعدته الى تاخر النهضة الادبية عموما وتخلفها في المغرب .

الثاني : انتاج مغربي ولكن قليل . ويكاد ما وصلنا منه يتصل كله بالصراع السياسي والمذهبي الدائر حول ازمة الخلافة في المشرق وحول قضية النفوذ والحكم في المغرب ؛ يعبر - شأنه شأن ادب الادارسة - عن ظلامية المرحلة وما كانت تعكس في نفوس المغاربة من ملامح الاضطراب وعدم الاستقرار . ويبرز لنا في طليعة الاسماء بهلول بن عبد الواحد المضغري الذي كان « رئيسا في قومه (58) » و « من خاصة ادريس ... » واركبان دولته (59) ، وكانت له مكاتبات مع ابراهيم بن الاغلب السلي « ارهف عزمه للتصريب بين البربر واستفسادهم على ادريس (60) » افضت في النهاية الى مساندة البهلول لابن الاغلب الذي كان قد جند نفسه لخدمة بني العباس في الشمال الافريقي . ويهمنا في هذا الصدد ان نورد ابياتا لبهلول يخاطب فيها ابن الاغلب ، وهي :

لئن كنت تدعوني الى الحق ناصحا	لتكشف عن قلبي ضمير خلاف
لقد ما اتانا عنك انك ناصح	لمن قال بالصلح الخلافة كاف
وانك محمود النقائب عندهم	تزين ما تاتي لهم بعفاف
فمجل على ردي فانتني	ارد الهوى للحق حين يوافي (61)

وفي اتجاه مضاد يقول شاعر سعيد بن صالح صاحب امارة النكور مخاطبا عبيد الله الشيعي الذي كان تغلب ودعا اهل المغرب الى الدخول في طاعته :

كذبت وبيت الله لا تعرف العدلا	ولا عرف الرحمن من قولك الففلا
وما انت الا كافر ومنافق	تميل مع الجاهل في السنة المثلى
وهمتنا العليـا لدين محمد	وقد جعل الرحمن همتك السفلى (62)

وهي رد على آيات كان بعث بها عبيد الله ، منها قوله : (63)

فان تستقيموا استقم لصلاحكم      وان تعدلوا عني ارى قتلکم عدلا  
واعلو بسيفي قاهرا لسيوفكم      وادخلها عفوا واملاها قتلا

ومن اسماء الشعراء التي وصلتنا : سعيد بن هشام المصمودي وعبد  
الله الكفيف ومحمد بن اسحاق البجلي وابراهيم بن محمد الاصيلي  
وابراهيم بن ايوب النكوري .

فمن شعر سعيد قوله يهجو البرغواطيين واميرهم ابا عفير محمد بن  
معاذ بن اليسع بن صالح بن طريف ويذكرهم بوقعة بهت التي هزموا فيها ،  
وفي (( البيان المغرب )) (64) انها قصيدة طويلة ، منها هذه الايات (65) :

قفي قبل التفرق فاخبرينا      وقولي واخبري خيرا مينا  
هموم برابر خسروا وضلوا      وخابوا لاسقوا ماء معيننا  
الايم امة هلكت وضلت      وزاغت عن سبيل المسلمينا  
يقولون النبي ابو عفير      فاخزي الله ام الكاذبيننا  
الم تسمع ولم تر يوم بهت      على آثار خيلهم رنيننا  
رنين الباقيات بهم تكالفي      وعاوية ومستطاة جنينا  
سيعلم اهل تامسنا اذامنا      اتوا يوم القيامة مقطعيننا  
هناك يونس وبنو ابيه      يقودون البرابر حائرنا  
اذا ورياورى زمت عليهم      جهنم قائد المستكبرينا  
فليس اليوم ردتكم ولكن      ليالي كنتم متميسرينا (66)

ومن شعر عبد الله الكفيف في حاميهم القماري المفترى المسمى بابن  
من الله وكان قد تنبا في غمارة (67) :



وقالو افتراء ان حاميم مرسل  
فقلت كذبتكم بدد الله شملكم  
فان كان حاميم رسولا فانني  
رووا عن عجوز ذات افك كهينة  
احاديث افك حاك ابليس نسجها  
اليهم بدين واضح الحق باهر  
فما هو الا عاهر وابن عاهر  
بمرسل حاميم لأول كافر  
تجاوز في اسعارها كل ساحر  
يسرونها والله مبدي السرائر(68)

اما عند غير هؤلاء فيميل القول الى التعبير الذاتي على حد ما نقرأ  
لمحمد بن اسحق البجلي في عدوة القرويين بفاس :

يا عدوة القرويين التي كرمت  
ولاسرى الله عنك ثوب نعمته  
لا زال جانبك المحبور مطورا  
أرض تجنبت الآثام والزورا (69)

وعلى حد ما نقرأ كذلك لابراهيم بن محمد الاصيلي (70) معرضا  
بمدينة فاس :

دخلت فاسا ولي شوق الى فاس  
فلست ادخل فاسا ما حييت ولو  
والحين ياخذ بالعينين والراس  
أعطيت فاسا بما فيها من الناس(71)

وهو القائل في أرض هواره وكان بها قوم يعرفون ببني زياد (72) :

سقى غربى أرض بني زياد  
ولا زال النعيم يعم قوما  
سحائب ما يجف لها غروب  
ازاءهم من الشرق الكثيب

اما ابراهيم بن ايوب النكوري فيقول :

ايا املئ الذي ابغى وسولى  
ودنياى الذي ارجو ودينى

الحرم من يمينك رى نفسى  
ويحجب عن جبينك لحظ طرفي  
ورزق الخلق فى تلك اليمين  
ونور الارض من ذاك الجبين  
وقد جبت المهامة من تـكـوـر  
اليك بكل ناحية امون (73)

ولعله واضح من هذه القطع والايات - وهي تمثل جل الشعر الذي قيل او بالاحرى الذي وصلنا عن هذه الفترة - أنها فى غالبها تصوير لبعض جوانب الاضطراب الذي كان يعاينه المغرب ، وانها بلغت من اليسر فى الاسلوب ومن البساطة فى العواطف ومن الوضوح فى المعاني درجة تكاد ان تصل الى الفتور والضعف ، مما يجعلنا لا نبالغ حين نحكم عليها بالهزال ، وكذلك نحكم على حال الادب المغربي عموما فى هذه المرحلة .

الرباط عباس الجراري

### المصادر والمراجع

- 1 - د. آمنة اللوه  
حول الثقافة العربية المعاصرة فى شمال المملكة المغربية  
( دعوة الحق سـ 16 عـ 6 مايو 1974 )
- 2 - ابو العباس احمد بن خالد الناصري  
الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى  
( مطبعة دار الكتاب - الدار البيضاء 1954 )
- 3 - ابو العباس احمد بن خلكان  
وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان  
( ط بولاق - مصر 1299 )
- 4 - احمد بن القاضي المكناسي  
جذوة الاقتباس فى ذكر من حل من الاعلام مدينة فاس  
( ط حجرية )
- 5 - ابو العباس احمد المقرري  
نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها  
لسان الدين بن الخطيب تـ محمد محي الدين عبد الحميد  
( المكتبة التجارية الكبرى - مصر 1367 - 1949 )

- 6 - د. أحمد هيكل  
الادب الاندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة  
( مكتبة الشباب - المنيرة - القاهرة )
- 7 - بروكلمان ( كارل ) Brockelmann  
تاريخ الادب العربي ( ج 2 )  
ترجمة د. عبد الحليم النجار  
( دار المعارف - مصر 1961 )
- 8 - د. عباس الجراري  
القصيدة ( الزجل في المغرب )  
( الرباط 1970 )
- 9 - د. عباس الجراري  
المغرب وتيار المذاهب الاسلامية  
(مجلة الايمان - المغرب - س 3 ع 4 - 5 - 6 1966)
- 10 - عبد الرحمن بن خلدون  
التاريخ ( ديوان العبر )  
( ط بولاق )
- 11 - أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله ( ابن عبد الحكم )  
فتوح مصر وأخبارها  
( ت شارل توري - ط ليدن 1920 )
- 12 - د. عبد السلام الهراس  
خطبة طارق من جديد  
( دعوة الحق س 11 ع 5 مارس - ابريل 1968 )
- 13 - د. عبد الكريم كريم  
فتح الاندلس : الخطبة واحراق السفن  
( مجلة الباحث س 3 ع 1974 - المغرب )

- 14 - أبو محمد عبد الله بن إبراهيم المواعيني الاشبيلي  
ريحان الالباب وريحان الشباب في مراتب الآداب  
( مخطوط الخزانة الملكية بالرباط رقم 2647 )
- 15 - عبد الله الجراري  
تاريخ الادب النائر والشاعر بالمغرب قديما وحديثا  
( مخطوط المؤلف )
- 16 - أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز البكري  
المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب (جزء من المسالك  
والممالك )  
نشر دو سـلان  
( الجزائر 1857 )
- 17 - عبد الله عنان  
دولة الاسلام في الاندلس من الفتح الى بداية عهد الناصر  
العصر الاول - القسم الاول  
( الطبعة الثالثة )
- 18 - عبد الله كنون  
النـبـوغ المـغـربي في الادب العربي  
( دار الكتاب اللبناني - بيروت 1961 )
- 19 - عبد الله كنون  
حول خطبة طبارق  
( دعوة الحق س 11 ع 6 - 7 ماي 1968 )
- 20 - عبد الله كنون  
سابق البربري  
( دعوة الحق س 2 ع 1 س 6 ع 8 - 9 س 8 ع 4 )
- 21 - أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة  
الامامة والسياسة  
( مطبعة القاهرة )



22 - عثمان الكعاك  
مراكز الثقافة في المغرب  
(منشورات معهد الدراسات العربية - القاهرة 1958)

23 - ابن عذاري المراكشي  
البيان المغرب في أخبار المغرب  
ج 1 تحقيق ومراجعة ج. س. كولان وليفي بروفنسال  
( دار الثقافة - بيروت )

24 - عز الدين ابو الحسين علي ( ابن الاثير )  
الكامل في التاريخ  
( ط لندن 1869 - 1874 )

25 - ابو الحسن علي بن اسماعيل الاشعري  
مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين - ج 1  
تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد  
( القاهرة 1369 - 1950 )

26 - علي الجزنائي  
جنى زهرة الاس في بناء مدينة فاس  
( المطبعة الملكية - الرباط 1387 - 1967 )

27 - ابو القاسم الزياني  
الترجمة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا  
نشر الاستاذ عبد الكريم الفيلالي  
( وزارة الانباء - المغرب 1967 )

28 - ليفي بروفنسال :  
E. LEVI Provençal : La Fondation de Fès, Annales de l'Institut  
d'Etudes Orientales T4 1938 pp 23-53. Faculté des Lettres de  
l'Université d'Alger.

29 - ليفي بروفنسال  
L'Islam d'Occident. Paris 1948.

30 - محمد بن أبي بكر القضااعي ( ابن الأبار )  
الحلة السيرة  
تحقيق د. حسين مؤنس  
( الشركة العربية للطباعة والنشر - القاهرة 1963 )

31 - أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحميري  
جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس  
( الدار المصرية للتأليف والترجمة 1966 )

32 - محمد رمضان شاوش  
الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد  
( الطبعة الأولى - مستغانم - الجزائر 1385 - 1966 )

33 - محمد الصادق عفيفي - محمد بن تاويست  
الأدب المغربي  
( دار الكتاب اللبناني - بيروت 1960 )

34 - أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي  
سراج الملوك  
( ط الأزهريّة )

35 - د. محمود مكي :

Egipto y la historiografía arabico-española :

مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمadrid م 5 سنة 1957  
(عدد خاص بمرور خمس سنوات على إنشاء الصحيفة)

---

(1) يقال ان بعض المغاربة أسلموا قبل الفتح « أول من أدخل دين الإسلام للمغرب ...  
رجال رقباء السبعة من الصامدة وقيل كانوا اثني عشر رجلا اجتمعوا مع النبي صلى  
الله عليه وسلم وكلمهم باللسان البربري ، والصحيح أنهم لم يجتمعوا به ، وإنما  
أسلموا على يد عمر وعلمهم دينهم وتوجهوا لمغربهم . ولما بلغوا قومهم منهم من أسلم

ومنهم من أبى ، وذلك عام ثمانية عشر من الهجرة . وفي أيام عثمان أسلم مغراوة ، قيل وفدوا على عثمان مع أميرهم ( صولات ) وقيل أسر في الحرب مع جماعة من أعيانهم . ولما بلغوا المدينة أسلموا على يد عثمان ، وله عليهم الولاء عام أربعة وثلاثين؛ ثم تنابعت الفتوحات » ( الترجمة ص 80 - 81 ) . ويلاحظ على هذا الكلام من دخول الإسلام في هذه الفترة أنه خال من أي إثبات .

(2) فتوح مصر وأخبارها لابن عبد الحكم ص 173 .

(3) من المعروف أن الكاهنة خربت البلاد التي تركتها للفاتحين ظنا منها أنها بذلك ستثنيهم عن الاستمرار في الفتح . وهو موقف يحث على طرح قضية ملكية الأرض في المغرب . وقد حاول العلماء تناوله حين تحدثوا عن هذه الأرض وهل فتحت عنوة أو صلحا . فعند ابن القاضي : « قال أبو الحسن بن القاسبي في شرح الموطأ من كتاب الجهاد : اختلف الناس في أرض المغرب هل فتحت عنوة أو صلحا أو مختلطة على ثلاثة أقوال . الأول وهو الظاهر من رواية ابن القاسم عن مالك أنها عنوة افتتحت بالسيف لانه جعل النظر في المعادن للإمام . الثاني قيل صلحا صالح أهلها عليها . الثالث قيل أنها مختلطة حرب بعضهم من بعض فتركوها فمن بقي بيده شيء كان له وهو الصحيح والله أعلم . وقال التادلي أسلم عليها أهلها وحكي عن بعض عمال المنصور بن أبي عامر حين تغلب على أرض فاس قال لهم : أخبروني عن أرضكم أصلح هي أم عنوة ، فقالوا له : لا جواب عندنا حتى يأتي الفقيه يعنون أبا جيدة بن أحمد . فجاء أبو جيدة فسأله فقال : ليست بصلح ولا عنوة وإنما أسلم عليها أهلها فبقيت لهم » . ( الجذوة ص 4 - 5 )

(4) انظر جذوة المقتبس ص 338 .

(5) مراكز الثقافة ص 12 .

(6) تاريخ ابن خلدون ج 6 ص 110 .

(7) في قدوم المولى إدريس إلى المغرب قولان : أحدهما وهو الشائع يذهب إلى أنه فر من وقعة فخ سنة 169 هـ على عهد الهادي العباسي ، والثاني يذهب إلى أن أخاه محمد بن عبد الله الذي كانت له مواجهات مع المنصور أوفده إلى المغرب قبل تاريخ وقعة فخ بنحو عشر سنوات . ( انظر مقالات الإسلاميين للأشعري ج 1 ص 145 )

(8) انظر بحث الكاتب عن « المغرب وتيار المذاهب الإسلامية » .

(9) أو البلغواطيين ( بفتح الباء واللام ) .

(10) هي بالتقريب منطقة الشاوية وما حولها ، يكونها السهل الممتد من وادي أبي رقراق إلى أم الربيع . وتجدر الإشارة إلى أن هذا الاسم لم يعد معروفا .

(11) انظر البيان المغرب ج 1 ص 226 - 227 .

(12) لا بناءها كما كان يظن . انظر بحثا لبروفنسال عن بناء مدينة فاس وإن مؤسسها هو إدريس الأول في : p.p. 3-41

Annales de l'Institut d'Etudes Orientales T 4 1938 pp 23-53

وقد أعاد نشره في أول كتابه : L'Islam d'Occident

وفيه يذهب الى أن ادريس الاول بنى فاس سنة 172 في المنطقة التي تعرف بعدوة الاندلس وأن ابنه أسس عدوة القرويين ( أو المدينة العالية ) سنة 192 . وقد اعتمد في هذا الرأي على بعض النصوص التاريخية وعلى قطع من العملة سكنت في مدينة فاس قبل سنة 192 وعلى قطع أخرى تحمل اسم ادريس الثاني ضربت في مدينة العالية التي أصبحت مركز سك العملة .

- (13) بدأت دولة أبي عبيد الله سنة 296 حين قضى على دولة الاغالبة .
- (14) دام أمر بني العافية مائة وأربعين عاما حيث انتهى سنة 363 هـ .
- (15) قامت دولة الادارسة الثانية على يد القاسم كنون وكان مقرها في قلعة بجبل سماعة تعرف بحجر النسر أو حجر الشرفاء وبتدار القراد .
- (16) انظر تفصيل الكلام على هذا الموضوع في كتابنا « القصيدة » ( فصل : مراحل التعريب ) ابتداء من ص 85 .
- (17) انظر المصدر السابق .
- (18) انظر تفصيل ذلك في « المغرب وتيار المذاهب الاسلامية »
- (19) ص 121 .
- (20) قد يثار الكلام في هذا المجال عن سابق البربري الذي جاء ذكره في مصادر غير قليلة ، وخاصة الكامل للمبرد والاغاني للأصفهاني وحماسة البحتري والميزان للذهبي وحماسة الجراوي وفهرسة ابن خير الاشبيلي وتاريخ ابن خلدون والبداية والنهاية لابن كثير وشرح المقامات للشريشي حيث وردت له أشعار كثيرة يقلب عليها طابع الحكمة والموعظة . غير أن مغربيته مشكوك فيها . وقد كتب عنه الاستاذ عبد الله كنون ثلاث مقالات ( دعوة الحق ص 2 ع 1 ، ص 6 ع 8 - 9 ، ص 8 ع 4 ) وكان ذهب في المقال الاول الى القول بأنه « ربما كان هو أول من نبغ من هذا المغرب العربي يقول الشعر في لغة الضاد والاجادة فيه » غير أنه علق في المقال الثاني بقوله : « لم يحقق بعد ما اذا كان سابق ينتمي الى مغربنا الصغير » .

- (21) ج 1 ص 42
- (22) تاريخ الادب النثر والشاعر بالمغرب قديما وحديثا ص 4 .
- (23) النبوغ ج 1 ص 22 - 23 .
- (24) المصدر السابق ص 23
- (25) دولة الاسلام في الاندلس - العصر الاول ، القسم الاول - ص 47 .
- (26) الادب الاندلسي ص 71 - 72 . وعليه اعتمد مؤلفا كتاب « الادب المغربي » حيث نقلنا كلامه بتصريف .
- (27) وقد سلم الدكتور عبد الكريم كريم بعض هذه الاقوال ونقلها معتمدا عليها في مقال له عن « الخطبة واخلراق السفن » ( مجلة الباحث ص 3 م 3 1974 ) .

(28) نشير هنا الى ان للدكتور عبد السلام الهراسي مقالا حول هذه الخطبة اورد فيه نصها كما جاء في معظم المصادر مع استعراض بعض الآراء حولها ( خطبة طارق من جديد دعوة الحق س 11 ع 5 مارس - ابريل 1968 ) . وقد علق الاستاذ عبد الله كنون على هذا المقال بمقال صغير يحمل عنوان : ( حول خطبة طارق ) أضاف فيه نص الخطبة الوارد في « سراج الملوك » للطروشني ( دعوة الحق س 11 ع 6 - 7 ماي 1968 ) .

(29) نشر قطعة منه في ضميمه في بحث د. محمود مكي المنشور في مجلة معهد الدراسات الاسلامية بمديرية تحت عنوان :

Egypto y la historiografia arabico-espanola

سنة 1957 عدد 5 ص 222 .

(30) عند بروكلمان في الجزء الثاني من الترجمة العربية ( ص 230 ) : « يذكر دي خويه R SOI, 41521 أن هذا الكتاب صنف في مصر أو في بلاد المغرب في أثناء حياة ابن قتيبة . وبعض اقسام الكتاب المذكور مأخوذ من كتاب في التاريخ ينسب الى ابن حبيب ( ت 239 - 853 ) . انظر :

Dozy. Recherches, 2 ed. Bd I p 23 ed. Bd I, 9

Noeldeke, ZDMG 1886, S. 316 De Slane

وقد تحدث د. محمود مكي عن « الجزء الخاص بالاندلس من كتاب (الامامة والسياسة) المنسوب الى ابن قتيبة وعرض آراء الباحثين المحدثين فيه مثل ميكيلي أماري وبسكوال دي جاينجوس ودوزي ودي خويه وهنري بيرس ٦ وخلص من بحثه لهذه القطعة الى أن مؤلفها ينبغي أن يكون مصرياً وأن يكون قد عاش في القرن الثالث الهجري . ثم أشار الى أن المؤرخين الاندلسيين والمصريين يتحدثون عن كتاب يسمونه ( اخبار الناس ) ألفه رجل من ولد موسى بن نصير فاتح الاندلس عن قصة الفتح وأشاد فيه بطبيعة الحال بالدور الذي قام به جده موسى في كل ذلك . أما اسم هذا المؤلف فهو معارك بن مروان بن عبد الملك بن مروان بن موسى بن بن نصير . وقد استقصى الكاتب اخبار نسل موسى بن نصير بعد عودته الى المشرق وبين أن معارك هذا ينبغي أن يكون مصري النشأة وأن حياته إنما كانت في طغسون القرن الثالث . فإذا فحصنا بامعان تلك الاخبار التي اشتملت عليها القطعة الخاصة بفتح موسى بن نصير للمغرب والاندلس وجدنا أنها تتفق مع ما ذكره المؤرخون عن كتاب معارك بن مروان الذي اشرنا اليه بشكل يمكن أن يكون هذا الجزء وكتاب معارك شيئاً واحداً » ( مصر والمصادر الاولى للتاريخ الاندلسي - ملخصات ص 331-332 مجلة معهد الدراسات - المجلد الخامس 1957 .

(31) ج 2 ص 53 .

(32) ص 154 .

(33) مخطوط بالخزانة الملكية رقم 2647 .

(34) ج 2 ص 177 - 178 لدى ترجمة موسى بن نصير .

(35) دولة الاسلام في الاندلس ج 1 ص 46 - 47 نقلا من تحفة الانفس ( لوحة 48 مخطوط



رقم 1652 الاسكوريال) وكان قد نشره المستشرق مرسبييه . ويلاحظ ان النص الوارد فيه يجمع بين نصي ابن قتيبة والمقري .

- (36) انظر النفج ج 1 ص 226 .
- (37) ج ختن وهو الصهر او كل من كان من قبل المرأة .
- (38) انظر مقال « حول الثقافة العربية المعاصرة في شمال المملكة المغربية » للدكتورة أمينة اللوه ( دعوة الحق س 16 ع 6 ماي 74 ) .
- (39) البيان المغرب ج 1 ص 43 .
- (40) انظر النفج ج 1 ص 238 .
- (41) ج 1 ص 248 حيث قال : « وانشد في المسهب وابن اليسع في المغرب لطارق من قصيدة قالها في الفتج » .
- (42) تاريخ الادب الناصر والشاعر ص 5 .
- (43) المتوفى سنة 171 6 وكان قد ولاه ابو جعفر المنصور على اثريقية والمغرب بعد ان كان تولى ارمينية والسند ومصر والدييجان وغيرها .
- (44) البيان المغرب ج 1 ص 81 .
- (45) حوالي 200 - 296 هـ . انظر فيه « الدر الوقاد » لمحمد رمضان شاوش .
- (46) الدر الوقاد ص 72 - 73 والبيان المغرب ج 1 ص 236 .
- (47) الدر الوقاد ص 74 والمسالك والممالك ص 143 والبيان المغرب ج 1 ص 200 .
- (48) المسالك ص 96 وانظر البيان ج 1 ص 179 - 180 مع بعض التعديل .
- (49) الحلة السيرة ج 1 ص 55 - 56 .
- (50) المصدر السابق ص 132 - 133 .
- (51) الاستقصا ج 1 ص 164 .
- (52) الحلة السيرة ج 1 ص 227 .
- (53) نفس المصدر .
- (54) البيان ج 1 ص 201 .
- (55) جنى زهرة الاس ص 16 .
- (56) نفس المصدر .
- (57) الاستقصا ج 1 ص 167 .
- (58) الحلة السيرة ج 1 ص 111 .

- (59) الاستقصا ج 1 ص 164 .
- (60) المصدر السابق .
- (61) الحلة السيرة ج 1 ص 112 .
- (62) البيان المغرب ج 1 ص 178 والمسالك ص 95 .
- (63) المصدر السابق .
- (64) ج 1 ص 226 .
- (65) وردت في مصادر مختلفة وبنصوص غير موحدة ( انظر البيان ج 1 ص 226 والمسالك ص 183 وتاريخ ابن خلدون ج 6 ص 208 ) ولعله واضح أن التأثير كبير في هذه القصيدة بمعلقة عمرو بن كلثوم ، وأولها :
- ألا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقى خمور الانلرينا
- (66) نسبة الى ميسرة المصفرى صاحب ثورة طنجة .
- (67) ادعى النبوة فى غمارة سنة 310 ووضع على نسق البورغواطين تشريعات محرفة عن الاسلام ولم يدم امره طويلا حيث قتل سنة 315 .
- (68) البيان المغرب ج 1 ص 192 والمسالك والممالك ص 100 - 101 ( مع بعض الاختلاف فى النص ) .
- (69) انظر المسالك ص 117 .
- (70) والد المحدث الفقيه عبد الله بن ابراهيم الاصيلي المتوفى سنة 372 . وعند البكري أنه المذحجي ( ص 117 ) .
- (71) البيان ج 1 ص 183 والمسالك ص 117 .
- (72) البيان ج 1 ص 235 .
- (73) المسالك ص 91 .

قصة

## دنياي يا دنيا

عن القصصى الروسى بوشكين  
بقلم: عبد المجيد ابن جلون

كان همى الاول حينما وصلت الى مركز النزالة بعد السفر  
تحت وابل من المطر يتمثل فى شيئين : ان استبدل ثيابى وان  
أتناول شايًا ساخنًا ، فصاح مدير المركز « دنيا » وامرها  
باعداد الشاي .

وظهرت على اثر ذلك من خلف الحاجز فتاة فى نحو الرابعة  
عشرة من عمرها صدمنى جمالها فسألت مدير المركز :

— هل هذه ابنتك ؟

فأجابنى فى انشراح : نعم وهى جد ذكية وجد سريعة  
بالضبط مثل أمها العزيزة من قبل .

وشرحت له ما أريد منه ثم انصرفت أتأمل الصور التى  
يزين بها منزله المتواضع ، ولكنه مرتب ونظيف ، وأقبلت  
دنيا بعد ذلك ، ولم تكن الحسناء الصغيرة بالبطيئة فى ادراك الاثر  
الذى تركته فى نفسى ، فاسبلت عينيها الواسعتين الزرقاوين نى  
خفر ، ودخلت معها فى حوار فكانت تجيبنى دون أن يبدو عليها  
اى اثر للتضايق كما لو كانت فتاة لعبت دورا فى الحياة ، وقدمت  
الى أبيها كأسا من الشراب وناولت دنيا فنجانا من الشاي ،  
وانهمكنا ثلاثتنا فى الحديث كما لو كان التعارف قائما بيننا منذ  
أجيال .

وعندما كان كل شىء معدا لاستئناف السفر كرهت مفارقة  
الرجل وابنته ولكننى ودعتهما أخيرا فتمنى لى هو سفرا طيبا  
واوصلتنى هى الى العربية ، فوقفت عند المدخل وطلبت منها ان  
تسمح لى بتقبيلها ، فرضيت دنيا ... ومنحتنى عدة قبلات لها  
ذكريات لا تنسى .

ومرت عدة سنوات ، وشاءت الظروف ان تسوقنى فى نفس الطريق والى نفس الامكنة ، فتذكرت ابنة مدير النزالة وراقبتى فكرة ان اراها مرة أخرى ، ثم ساورنى ان من الممكن أن يكون الرجل قد أعفى من عمله ، وان من المحتمل ان تكون دنيا قد تزوجت ، ومرقت فى ذهنى فكرة امكان ان يكون احدهما قد مات ، ولذلك فاننى دنوت من المركز وأنا اتوجس خيفة .

ودخلت المنزل فعرفت فى الحال الصور التى كانت تزين حيطان الغرفة . وكانت المائدة والفراش فى مكانهما القديم ، ولكن لم تعد هناك زهور على حافة النافذة ، وكان كل شىء فى الغرفة ينم عن البلى والاهمال ، وكان مدير المركز نائما ولكن حضورى ايقظه فجلس ... انه سامس فيرين بعينه بيد ان من الغريب كيف طعن فى السن ، وقد لاحظت وهو يدون طلباتى كيف تقشى الشيب فى رأسه ، وعمق غضون وجهه غير الحليق ، وانحاء كتفيه ، وعجزت عن أن اكنم دهشتى من أن تستطيع ثلاث أو أربع سنوات أن تحول رجلا عتيذا الى شيخ فى الغابرين .

سألته : ألا تعرفنى ؟ اننا — أنت وأنا — صديقان قديمان .



فأجاب في نكد : ممكن جدا ، فان عددا كبيرا من المسافرين  
يمرون بهذه الطريق .

قلت : وكيف « دنياك » ؟

أجاب الشيخ في عبوس : الله يعلم .

سألته : هل تزوجت اذن ؟

وتظاهر الشيخ بأنه لم يسمع سؤالى ومضى يقرأ مطالبى  
همسا ، فتوقفت عن الاستمرار فى طرح الاسئلة وطلبت منه أن  
يوضع الابريق على النار وبدأت أشعر بوخز الفضول ، ورجوت  
أن أحل عقدة لسانه بكأس من الشراب .

ولم يخب رجائى اذ لم يرفض الشيخ كأس الشراب الذى  
قدمته اليه ، ولاحظت ان كآبته بدأت تتبدد ، واخذ يثرثر على  
اثر الكأس الثانية ، بعد ان تذكر او زعم انه تذكر ، من أكون  
وسمعت من فمه قصة حازت اهتمامى وتأثرت لها تأثرا غريبا  
فى ذلك الحين .

بدأ يقول : أنت تعرف اذن « دنياى » . آه ومن ذا الذى  
لا يعرفها ، آه ، دنيا . يالها من فتاة ، لقد اعتاد كل من يروى  
هذا المكان ان يطريها ولم يكن احد يستطيع أن يجرحها بكلمة

واعتادت السيدات ان يقدمن لها الهدايا من مناديل واقراط ، وكان السادة يتوقفون عند المركز عمدا ، على زعم أنهم يريدون تناول الغداء او العشاء ، ولكنهم كانوا يريدون في الواقع أن يطيلوا النظر اليها ، ومهما يكن غضب الرجل منهم فان غضبه كان يزول عند رؤيتها فيتحدث الى في رقة ، انك لن تكاد تصدقني ، لقد كان رجال البريد يأتون ليتحدث المرء منهم اليها نصف ساعة لقد كان منزلي مدينا لها ، فقد كانت تجد من الوقت ما يكفى لتنظيفه ، والطبخ والقيام بكل شيء ، ولكنني أنا الشيخ المأفون لم أكن استطيع ان ارفع طرفي عنها ، ألم أكن أحب «دنياي» ؟ ألم أكن اعز ابنتي ؟ ولكنك لا تستطيع دفع الكوارث بالدماء ، ولا مهرب من القضاء والقدر .

وهنا بدأ يحدثني عن تفاصيل ما حاق به :

منذ ثلاث سنوات خلت ذات مساء في فصل الشتاء بينما كان مدير مركز المسافرين يعد دفترا جديدا للحسابات ، وكانت ابنته تجلس خلف الحاجز تصنع ثوبا — وقفت عربة ودخل الغرفة مسافر يلبس قبعة شركسية ويرتدي معطفا عسكريا وشالا كثيفا ، وطلب جيادا .

وكانت الجياد كلها على سفر ، وعندما علم المسافر بذلك

رفع صوته وسوطه ، ولما كانت « دنيا » قد ألفت مثل هذه المناظر فانها خرجت تجرى من خلف الحاجز وتحدثت الى المسافر في رقة ، وسألته عما اذا كان يريد ان يصيب شيئاً من الطعام ، وانتج ظهور « دنيا » مفعوله العادى ، فزال غضب المسافر ، ورضى بأن ينتظر الجياد وطلب وجبة عشاء .

خلع قبعة الفرو الشعثاء وفك الشال والقى بمعطفه العسكرى ، غاذا به شاب ضامر من فرسان الجيش ، له شارب اسود ، وقد اخذ يتصرف فى المركز كما لو كان فى منزله تماماً وسرعان ما انخرط فى الثرثرة مع مدير المركز وابنته ، ثم قدم له طعام العشاء ، ووصلت الجياد خلال ذلك ، فامر مدير المركز بشدها الى زلاقة المسافر دون أن يقدم لها حتى علفها ، ولكنه حينما عاد الى الغرفة وجد الشاب راقدًا على الدكة فاقد الشعور وكان يشعر بالضعف والصداع ، وليس على استعداد لمواصلة السفر . . . ولا حيلة فى ذلك فتنازل له رئيس المكتب عن فراشه ، وتقرر استقدام الطبيب اذا لم تتحسن حالة المريض فى اليوم التالى .

وأصبحت حالة الفارس اسوأ فى اليوم التالى ، فانطلق خادمه راكبا الى القرية المجاورة للبحث عن الطبيب ، وعصبت دنيا

مندبلا مبلولا بالخل حول رأسه ، وجلست الى جانب فراشه  
تواصل خياطتها ، وكان المريض يئن ولا يكاد يتكلم عند حضور  
مدير المركز ، بالرغم من انه شرب فنجانين من القهوة وغمغم  
بطلب الغداء ، ولم تفارق دنيا جانب فراشه أبدا ، وطلب ان  
يشرب ، فأنت له دنيا بابرئق من عصير الليمون أعدته بنفسها  
فبيل شففيه كلما أعاد اليها الابريق ، وكان المريض يضغط على  
يد دنيا كلما أعاد اليها الابريق بقبضته الواهنة معبرا لها بذلك  
عن امتنانه ، ووصل الطبيب في ساعة الغداء فقام نبض المريض  
وتحدث اليه بالالمانية وأعلن بالروسية أن كل ما يحتاج اليه  
هو الخلود الى الراحة ، وانه سيكون في مقدوره بعد يومين أن  
يوصل السفر ، فنقده الفارس خمسة وعشرين روبل أجرا لعيادته  
ودعاه الى الغداء فقبل الدعوة فأكل الرجلان في شهية وشربا  
محتويات زجاجة من النبيذ وقد غمرهما سرور متبادل .

ومر يوم آخر فعوفى الفارس تماما ، وأصبح في غاية  
الخبور وهو يمازح دنيا تارة ومدير المركز تارة أخرى ، ويصفر  
بالالحن ، ويثرثر مع المسافرين ويساعدهم ، فأصبح المدير  
الطيب جد مولع به الى درجة انه لم يكذب يطيق فراق الرجل الانيس  
في صباح اليوم الثالث ، وكان اليوم يوم أحد  
ودنيا تستعد للذهاب الى الكنيسة فجاء

بزلاقة الفارس الذى ودع مدير المركز وجازاه على اقامته لديه بسخاء ، وودع دنيا أيضا وهو يعرض عليها أن يوصلها الى الكنيسة التى كانت تقع فى الجانب الاخر من القرية ، وبدا على دنيا الارتباك فقال لها ابوها : « مم أنت خائفة ، ان سعادته ليس ذئبا ، فلن يعضك ، دعيه يوصلك الى الكنيسة » فدخلت دنيا الى الزلاقة وجلست الى جانب الفارس ، وصعد الخادم الى المقعد الامامى ، فصفر السائق وانطلقت الجياد تركض .

لم يستطع المدير المنكود ان يعرف أبدا كيف سمح « لدنياه » ان تذهب مع الفارس ، وكيف كان أعمى الى هذا الحد ، وماذا حدث له فما كادت تمر نصف ساعة حتى شعر بالامتعاض وتملكه الانفعال الى درجة انه لم يعد يستطيع أن يتحكم فى نفسه فذهب الى الكنيسة بحثا عنها ، فلما اقترب منها رأى الناس يغادرونها ولكن دنيا لم تكن من بينهم ، فسارع الى داخل الكنيسة ليجد القسيس قد غادر الهيكل والخادم الكنيسى يطفىء الشموع ، وكانت امرأتان ما تزالان تترتلان الصلاة فى زاوية ، ولكن لم يكن بصره ليقع على دنيا ، وسأل الاب الشقى الخادم هل حضرت الصلاة فأجابه بأنها لم تفعل ، فعاد المدير الى منزله اقرب الى الموت منه الى الحياة ، ولم يبق له سوى امل واحد ، هو ان طيش الشباب قد يكون دفع دنيا



للذهاب الى مركز النزالة التالى حيث تعيش امها فى العماد ،  
وانتظر عودة الجياد التى ساقطت الزلاقة بصبر نافذ ولكن  
اليوم انتهى دون ان يعود السائق ، وأخيرا عاد وحده بعد حلول  
المساء وهو ثمل ، يحمل النبأ المخيف : لقد غادرت دنيا مركز  
النزالة التالى مع الفارس .

لم يستطع أن يتغلب على سوء حظه بعد ذلك ابدا ، وذهب  
فى تلك الليلة الى فراشه ، نفس الفراش الذى كان الدجال الشاب  
مستلقيا فيه منذ يوم ، واستعرض المدير كل الظروف وأصبح  
يميل الان الى القول بأن مرض الشاب كان مفتلا ، واصيب  
الشيخ بحمى عنيفة فنقل الى القرية المجاورة ليحل محله مؤقتا  
شخص آخر ، وعالجه نفس الطبيب الذى زار الفارس فأكد  
له أن الشاب كان فى تمام العافية ، وانه تصور نوباه السيئة فى  
ذلك الحين ولكنه لم يقل شيئا خوفا من سوط الفارس ، ولم  
يعرف المدير ما اذا كان الالمانى صادقا فى قوله ، أو أنه كان مجرد  
تظاهر منه بالحصافة ، ولم يجد المريض فيما قاله الطبيب اى  
عزاء وما كاد المدير يتمثل للشفاء حتى طلب من السلطات ان  
تمنحه اجازة شهرين ، وانطلق راجلا للبحث عن ابنته دون ان  
يطلع احدا على نوباه ، واكتشف ان الكابتن منسكى قد سافر  
الى بيترسبورج ، وعلم من السائق الذى اخذه الى هناك ان

دنيا كانت تبكى طول الطريق وان كان يبدو في الظاهر انها تسافر معه بمحض ارادتها ، ففكر المدير : « سأعود بحملى الى المنزل ان شاء الله » فذهب الى بيتسبرج وقد تملكته الفكرة ، فوصل الى منزل ضابط متقاعد كان زميلا له في السلاح أيام خدمته العسكرية ، وهناك علم ان كابتن منسكى موجود في المدينة واين يقيم ، وصمم مدير المركز على مقابلته .

وصل الى منزل الفارس في الصباح المبكر وطلب من الخادم ان ينهى الى سعادته ان جنديا قديما يود مقابلته ، فاجابه الخادم وهو يقوم بتلميع حذاء للفروسية ان سيده نائم وهو لا يستقبل احدا قبل الحادية عشرة فانصرف الرجل ليعود في الساعة المذكورة ، فخرج اليه منسكى نفسه في ردائه المنزلى وعنق رأسه طربوش قرمزي وسأله : ماذا استطيع ان اقوم لك به ، ايها الاخ ؟

اضطرب قلب الشيخ انفعالا واغرورقت عيناه بالدموع ولم يستطع ان يقول أكثر من : « يا صاحب السعادة ، أتوسل اليه بالله . . »

حدجه منسكى بنظرة سريعة واحمر وجهه واخذه من يده وقاده الى المكتب الذى اغلق بابه من الداخل ، فاستمر الشيخ

يقول : يا صاحب السعادة ، ما ضاع قد يضيع الى الابد ، ولكن اعد لى دنيائى المسكينة ، لقد استمعت بها ، ولكن لا تحطمها فى سبيل لا شىء .

قال الشاب وقد غلبه الانفعال : ما حدث لا يمكن ابطاله ، لقد اسأت اليك وأريد ان اطلب منك ان تغفر لى ، ولكن لا تحسب اننى قادر على فراق دنيا ، واننى لاعطيك كلمة الشرف على انها ستكون سعيدة ، وماذا تريد منها ؟ انها تحبنى ، ولم تعد تألف حياتها السابقة ، ولن تستطيع انت ولا هى نسيان ما حدث ، ثم دس شيئاً فى كم الرجل وفتح الباب : ولا يكاد مدير المركز يعرف كيف وجد نفسه فى الشارع .

وقف مدة طويلة لا حراك به ثم لاحظ اخيرا ان فى كفه رزمة من الورق واستخرجها وعندما فتحها وجد انها مجموعة من أوراق النقد المكونة ، فترقرقت عيناه بالدموع مرة أخرى ، وكانت دموع الشعور بالمهانة ، فكوم الأوراق مرة أخرى وضرب بها الأرض وداسها بكعبه ثم انصرف ... ثم توقف بعد بضعة ياردات مشاها وتراجع ولكن الأوراق النقدية كانت قد اختفت ، ذلك أن شاباً رأى ما فعل فالتقط الأوراق النقدية وعدا على عجل الى عربة عامة وصاح بقائدها : « الى الامام » ولم يبذل مدير المركز

اي مجهود لاقتفاء اثره ، وقرر ان يعود الى مركزه ولكنه كان يريد ان يرى اولاً « دنياه » المسكينة ، ان يراها مرة واحدة فقط اذا امكن ، وعلى ذلك ذهب بعد يومين الى مقر منسكى مرة أخرى ، ولكن الخادم العسكرى انهى اليه فى خشونة أن سيده لا يستقبل احداً ، واخرجه من القاعة ثم صفق الباب فى وجهه ، فوقف مدير المركز فى الخارج برهة ثم انصرف .

وفى مساء نفس اليوم ، بينما كان مدير المركز يتجول فى الشارع مرقت به عربة فاخرة فاستطاع ان يتعرض داخل العربة الى وجه منسكى « وعندما توقفت العربة بباب عمارة قفز منها الفارس ودخل باب العمارة ، فخطرت ببال المدير فكرة طرب لها ، وتراجع ليسأل السائق : لمن هذا الجواد يا أخى ؟ أليس جواد منسكى . » ؟

— اجل ، لماذا تسأل ؟

— سأقول لك لماذا ، لقد اوصانى سيدك بأن أوصل بطاقة الى « دنياه » ولكننى نسيت أين تقيم هذه « الدنيا » .

— انها تقيم هنا فى الطابق الثانى ولكنك تأخرت ببطاقتك أيها السيد فانه هو نفسه يوجد معها الآن .

قال المدير وقلبه يخفق خفقانا غريبا : شكرا على هدايتك لى ،  
ولكن لابد من ان ابر بوعدى ، قال ذلك وهو يصعد السلالم .

كان الباب مغلقا فدق الجرس ومرت عدة دقائق تعلقت فيها  
انفاسه ، ثم سمع دورة المفتاح فى الباب ، فسأل الخادمة الشابة  
التي فتحت الباب : هل تقيم آفدوتيا سمسونفنا هنا ؟  
فأجابته : نعم ، ماذا تريد منها ؟

دخل المدير قاعة المنزل دون ان يجيبها ، فقالت وهى تسير  
خلفه : لا تستطيع الدخول ، آفدوتيا ليست وحدها .

ولم يعبأ بها مدير المركز ، وكانت الغرفتان اللتان عبر بهما  
مظلمتين ولكن الثالثة كانت مضاءة ، فقصد الباب المفتوح ثم  
توقف ، كان منسكى جالسا فى الغرفة ، بديعة الاثاث ، غارقا فى  
التفكير ، وكانت « دنيا » فى أبهى هندام جالسة على مسند  
مقعده كما تقتعد الانجليزيات ظهور الجياد من جانب واحد ،  
وكانت تحملق برقة فى منسكى واصابعها البارقة بالجواهر تعبت  
بخصلاته السوداء ، يا للمسكين انه لم ير ابنته اجمل من ذلك ،  
فراقبها فى اعجاب لا ارادى .

وصاحت « دنيا » دون ان ترفع رأسها : « من هناك » ؟



ولما لم تتلق منه جوابا وهو واقف فى صمت رفعت رأسها لتصرخ وهى تسقط على الزربية ، وذعر منسكى واسرع لاغاثتها . ولكنه حينما رمق مدير المركز الشيخ واقفا بالباب ترك دنيا ، واقترب منه وهو ينتفض غضبا .

قال بين أسنانه : ماذا تريد ؟ لماذا تقتقى أثرى كالمص ؟ هل تريد ان تسلبنى حياتى ؟ أخرج

ثم شده منسكى بيده القوية من ياقة معطفه وقذف به الى الخارج فوق السلالم .

عاد الشيخ الى مثواه ، ونصحه صديقه بأن يلتجئ الى العدالة ولكن المدير تدبر الأمر ورفض الفكرة بحركة من يده وقرر ان يدع الأمور تجري مجراها وغادر بيتسبورج بعد يومين عائدا الى مركز نزالته حيث استأنف عمله السابق ، وختم الرجل قصته وهو يكفكف دموعه : وقد مرت على ذلك ثلاث سنوات دون أن يعلم من أمرها شيئا .

وعاد بى الحنين الى القرية مرة اخرى بعد ذلك ، فلم أجده الشيخ فى مركز النزالة فخرجت الى المدخل حيث قبلتني دنيا . امرأة بدينة انبأتني بأن الشيخ قد توفى منذ سنة .

- ماذا كان سبب وفاته ؟
- عكف على الشراب الى ان مات
- واين دفن ؟
- خلف القرية الى جانب زوجته
- هل استطيع ان أزور قبره ؟
- بكل تأكيد ، هاى ! فانكا . خذ السيد الى المقبرة وأره  
قبر مدير المركز ، وهنا اقبل طفل اعور مهلهل محمر الشعر  
وقادنى الى مؤخرة القرية ، وسألته فى الطريق : هل كنت تعرف  
الرجل ؟
- نعم كان يلعب معنا دائما وكنا ندعوه بالعم ، ولم يعد  
هناك مسافرون كثيرون من معارفه ، فيما عدا سيدة اقبلت هذا  
الصيف تسأل عن قبره .
- ماذا كان شكل السيدة
- سيدة جميلة اقبلت فى عربة تجرها ستة جياد ومعها  
ثلاثة أطفال ومربية ، ولما علمت بموت الشيخ بكت ، وعرضت  
عليها ان اصحبها الى قبره فقالت انها تعرف مكانه ثم منحتنى  
قطعة فضية من فئة خمس كوبيك .

وعندما وصلنا دلنى على القبر فسألته : وهل جاءت السيدة  
هنا ؟

أجاب فأنك : نعم جاءت ، وراقبتها من بعيد وهى تقف فترة  
طويلة الى جانب القبر ولما عادت الى القرية طلبت القسيس  
واعطته بعض المال ثم انصرفت : لقد اعطتنى قطعة فضية من  
مئة خمس كوبيك

واعطيت الطفل انا أيضا قطعة فضية مماثلة ، دون ان أندم  
على ما أضعت من وقت ومال ، فى سبيل الوقوف على قبر الشيخ  
الذاهب المسكين .

عبد المجيد ابن جلون

الرباط

معركة صاخبة في الأدب العربي

## بين أنصار الورد وخصومه

مصطفى القصري

توصلت الى الاقتناع وانا أقوم بجمع بعض ما قيل عن الورد في الآداب الانسانية — أن الادب العربي في هذا الباب سيد كل هذه الآداب على الاطلاق ، وأن الوردة احتلت في قلب الرجل العربي الآتى من الصحراء التي لم تثبت سوى الشوك والشيخ والطلح مكانة لم تبلغها في قلب من كانوا يسكنون بين رياض الدنيا وبساتينها ومنتزهاتها ومغانيها المزهرة . تغنى اليونان بالوردة وتغنى الفرس بها ، وجاء الغرب بعد الحرب ليتغنى بها بدوره ،

ولكنك لو جمعت ماقاله كلهم لما كان سوى مقدار حبة من خرذل أو قطرة من جدول ، بالنسبة للجدول العارم الذى تدفق بذكر الورد على ألسنة العرب ومن قرائحهم ، وانصب فى انتاجهم الادبى شعرا كان أو نثرا .

فلو أننا طرحنا فى كفة ميزان انتاج الحضارات السالفة ، مختلطا بانتاج الحضارة الغربية الحالية ، وطرحنا فى كفة اخرى انتاج الادب العربى منذ عمر بن أبى ربيعة ، الى بداية عصر الانحطاط العربى ، لرجحت كفة العرب ، لما قيل عن الورد ، وما أوحته الوردة الى العربى من معانى الجمال ، والسمو ، والخير ، ومن حكم ، وعبر ، وأمثال .

فهذا أبو نواس ، وعلى بن الجهم ، وعبد الله بن المعتز ، وغيرهم فى بغداد وهم كثير ، وابن خفاجة ، وابن حمدين ، وابن زيدون ، وغيرهم فى الاندلس ، لا يخلو شعر من أشعارهم من ذكر الوردة وجمالها فى ندواتهم وسمرهم ، ومنادياتهم ومساجلاتهم وبدائع بدائعهم . وهذا الوزير ابو حفص بن برد الشاعر الاندلسى ، له رسالة طويلة رائعة الى الوزير أبى الوايد ابن جهور يصف فيها الزهور ويفضل الورد عليها . وهناك رسائل كثيرة شبيهة بها فى نفس الموضوع . وأينما ذهبت فى بلاد الاسلام



— حيث ازدهر الادب العربى — وجدت شعراء من الطبقة الاولى يصفون الورد ، وجمال أوراقه ، ورقة بشرته وبهاء أكمامه ، ورونق لونه ، وما يوحى به اليهم من الحكم والعبر ، ومن المغانى الرقيقة ، والصور الرائعة ، ووجدت الكاتب ، والشاعر ، والعاشق ، والصديق ، والملك ، والحائك ، على السواء يقتتونه ويشربون عليه ، يتهادونه ، ويتقاعلون به ، ويفرحون لمقدمه ، وييكون لانصراف أيامه ، مترقبين عودته . وهذا الموضوع يمكن ان يفرد له باب شيق من دراسة قيمة تتوفر عناصرها فى كتب الادب العربى أيما توفر . (1)

كما أننى لا حظت وأنا أكتب عن الورد أن هذه الزهرة الرقيقة الحاشية ، ذات البشرة المرهفة ، تولد مع ميلاد الحضارات برعوما رقيقا نديا ، ثم تترعرع وتنمو وتتفتح مع تفتح الحضارات وازدهارها ، فتقدم للبشرية أزكى عطرها ، وأروع لونها ، وأسمى معانيها ، مواكبة تلك الحضارة فى سيرها ، الى أن تموت وتذبل معها ، وتذبل وتسقط أوراقها يابسة على الارض ، وتقنى وتندثر لتخلفها فى بداية انحطاط تلك الحضارة وردة اصطناعية أقرب الى الكليشى منها الى الوردة الطبيعية ، ولكن الوردة خالدة لا تغنى مع الحضارة الفانية ، الا لتقدم برعوما جديدا مع حضارة أخرى قامت فى ربوع أخرى ماسكة المشعل من يد الحضارة الفانية ،

لتحتفظ به ردحا من الزمن ، حتى تسلمه بدورها لحضارة جديدة أخرى ، تنتهياً في مكان آخر من الدنيا . وهذا مثال واضح نلمسه بأيدينا فيما يخص الحضارة العربية بالنسبة للحضارة الغربية التي جاءت اثرها .

فالعرب أخذ من العرب — الذين اغترفوا من المنابع اليونانية والفرسية والهندية — حوطة علومهم من فلسفة ، وطب ، وهندسة ، وحساب ، وهياة ، وقامت حضارته فيما يسمى بعصر النهضة

Renaissance على علوم العرب الذين تخلفوا عن الركب ، نقول هذا بالنسبة لنهضة الادب كذلك ، اذ لما كانت الحضارة العربية في أوجها ، كانت الوردية في أوج أيامها ، ولما أصبح الادب العربي في أوجه ، احتلت الوردية التي فقدت مكانتها من الادب العربي في عصر انحطاطه ، نقول احتلت في الادب العربي ماكانت لها من مكانة في الحضارة السالفة .

وليس هذا هو المقصود بالذات في هذا المقال ، فقد شرحنا هذه الاستنتاجات واستنتاجات أخرى مفصلة في كتابنا الذي يوجد الآن تحت الطبع في تونس .

أما قصدنا اليوم ، فهو أن نقدم للقارئ العربي حادثا غريبا

في أدبه الرائع الحافل بالاحداث ، ويتلخص في تلك المعركة التي  
ثمنها الشاعر العبقري ابن الرومي ، حيث تصدى في شعره ،  
يكيل السباب للوردة مفضلا عليها النرجس ، وواصفا اياها بأقبح  
الاصناف ، وأشنع النعوت ، فانتصب له جيش من الشعراء  
الفظاحل في الشرق والغرب الغربيين وبرزوا فضل الوردة على  
غيرها من الزهور ، ونصبوها ملكة عليها في قصائدهم ورسائلهم  
الخالدة ، وقاموا في وجه ابن الرومي يدحضون حجته ، ويسفهون  
منطقه ، ويقيمون الدلائل على خوره ، حتى ان كثيرا من  
الشعراء والكتاب ، أصبحوا يعارضون هذه القصائد والرسائل ،  
وينهجون نهجها ، ويطلقون على لسان الازهار ما جاء في طائفة  
ابن الرومي وداليته ، محاولة من هذه الازهار الاعتلاء على عرش  
الجمال ، وانتزاع هذا العرش من الوردة .

فمن المشرق انبرى له ابن المعتز على الخصوص ، وهو من  
هو في الرقة والتشبيه والمكانة الادبية والشعرية ، ومن المغرب  
انبرى له العديد من الشعراء والكتاب الاندلسيين .

وعلى هامش هذه المساجلة والدفاع عن الورد ، نلاحظ تلك  
السرعة التي كانت تنتشر بها الكلمة في مشرق العالم العربي  
ومغربيه ، وتلك المشاركة والاختذ والرد الذي كان يجري حولها .

في عصر لم تكن فيه الصحف أو المجلات أو الاذاعات والطائرات والمطبوعة ، كما هو الشأن اليوم ، ومع ذلك فاننا قلما نشهد مثل تلك المشاهد المنعشة ، والتي طورت الادب والشعر ، مع أننا في زمن يدعو فيه الداعون الى الوحدة ، ولن تكون هناك وحدة بدون وحدة فكرية ، وبدون ذلك الاتصال التلقائي ، لقد كانوا فيما سبق وعلى بعد المسافة ، وتباين الانظمة ، والصراع القوى فيما بينها متصلين متناقشين ، متجادبين ، وكانت الكلمة والكتاب والاديب والعالم ، يتنقل بين الاقطار العربية مشرقا ومغربا ، دون أن يقف أمامه أى حاجز ، اللهم الا فيما ندر ، والدليل على ذلك ، خزائن الكتب والمؤلفات التي كانت تروج تجارتها ونسخها بين المشرق والمغرب وبالعكس ، والعلماء الذين انتقلوا الى المشرق ، أو جاءوا اليه من المغرب ، في عهود كان فيها الصراع السياسى والحزبى بين الانظمة المختلفة على أشده ، وهذا عبد الرحمن الداخل ، يشتري النسخة الاولى من « الاغانى » لابى الفرج الاصفهاني قبل أن تصدر في بغداد .

ولنعد الى ابن الرومى والى تلك المساجلة ، وهى مفصلة فى كتب الادب العربى (2) .

يقول على بن العباس ابن الرومى يهجو الورد فى بيتيه  
الطائيين الشهيرين :

يامادح الورد لا تتفك عن غلط  
كأنه سرم بغل حين يخرجـه  
ألست تتظـره في كف ملتقطـه  
عند البراز وبقى الروث في وسطـه  
ويقول في داليته التي أحرزت نفس الشهرة :

خجلت خدود الورد من تقضيله  
لم يخجل الورد المورد لونه  
للرجس الفضل المبين اذا بدا  
هذي النجوم هي التي ربينها  
فانظر الى الولدين من أدناهما  
أين الخدود من العيون نفاسة  
خجلا توردها عليه شاهد  
الا وناحله الفضيلة عاند  
بين الرياض طريفه والتالد  
بحيا السحاب كما يربى الوالد  
شبهها بوالده ، فذاك الماجد  
ورياسة ، لولا القياس الفاسد

وقام عبد الله بن المعتز يرد عليه في أبيات شعرية يكسوها  
شيء من المجون ، رغم نبل محتده ليلا يخرج عن المعنى السافل  
الذي طرقه ابن الرومي ، وهذه الابيات هي :

ياهاجي الورد لا حييت من رجل  
هل تثبت الارض شيئا من أزاهرها  
أحلى وأشهر من ورد له أرج  
كأنه خد حبي حين ملكني  
غلطت والمرء قد يؤتى على غلطه  
اذا تحلت يحاكي الوشى في نمطه  
كأنما المسك مفرور على وسطه  
حل السراويل بعد الطول من سخطه



كما انبرى لابن الرومي الوزير الكوفي ابن القاسم بن صبيح  
المعروف بالكاتب (3) الذي ولي ديوان الرسائل للمامون العباسي  
وهو صاحب البيت المشهور :

اذا ضاق صدر المرء عن سرنفسه      فصدر الذي يستودع السر أضيق  
يقول ابن صبيح الكاتب مناقضا ابن الرومي في مذهبه :

يامن يشبه نرجسا بنواظر	دعج ، تنبه ان فهمك راقد
ان القياس لمن يصح قياسه	بين العيون وبينه متباعدا
والورد أصدق للخدود حكاية	فعلام تجدد فضله ياجاحدا
ملك قصير غمره مستأهل	تخليده ، لو أن حيا خالدا
ان قلت أن الورد فرد في اسمه	مافي الملاح له سمى واحدا
فالشمس تفرد باسمها والمشتري	والبدر يشرك في اسمه وعطارد
أو قلت أن كواكبا ربينها	بحيا السحاب كما يربى الوالد
قلنا أحقهما بطبع أبيه في الجـ	دوى هو الزاكي النجيب الراشد
زهر النجوم تروقنا بضياؤها	ولها منافع جمّة وفوائدا
وكذلك الورد الانيق يروقنا	وله فضائل جمّة وفوائدا

وخليفه ان غاب ناب بنفعه      وبنفحه أبدا مقيم راكد  
ان كنت تتكر ما ذكرنا بعدما      وضحت عليه دلائل وشواهـد  
فانظر الى المصفر لونا منهما      وافطن فما يصفر الا الحاسـد

وانبرى الاندلسيون بدورهم للرد على ابن الرومى ، فقال  
بعضهم وقد اخترنا هذين البيتين على الخصوص ، لذكاء  
الشاعر الذى فطن للرد على فحش ابن الرومى بمعنى جميل  
نزّهه عن الفحش ليقابل بذلك المعنى نبله ورقته وعفته وقذارة  
وهجر قول ابن الرومى :

لعائب الورد قل : ما أنت من نمطه      قد قلت هجرا فتب فى القوا. من غلظه  
الورد خد حبيب حين تلثمه      فيغتدى أثر الاسنان فى وسطه

وللشاعر أبى بكر بن القوطية من الاندلس رد مطول على  
دالية ابن الرومى ، وهذا الرد موصول بمدح المعتضد بن  
عباد ، ونحن نقتصر هنا على الموضوع الذى يهمنى وهو الرد :

كسفت خدود النرجس المصفر من      حسد وقد يذوى العدو الحاسـد  
واصفر حتى كاد أن تقضى أسى      لما رأى الورد الذى هو وارد  
هيهات للورد الفضائل كلها      وان ادعى التكذيب فيه معاند

فصل القضية ان هذا ممتع  
يأتى ونوار الربى مترحزح  
هذا مقر للسماء بفضلها  
وترى تباين ذلك فى وجهيهما  
كم بين مصطنعين هذا كافر  
هذا له خلق العجوز وهذه  
وكفى افتخارا أن هذا نافق  
لو لم يكن للورد الا أنه  
وله منافع لا تجميل كثرة  
والنرجس المصفر ليس بنافع  
هذا عقيم لا يشاد بذكره  
أخوان مغزوان لم يتنازعا  
هذا ييشر بالحياة وذاك ينذ  
أين الحياة من الممات نفاسة

فصل الربيع وكل نور بائد  
وكذا الرئيس من المشابه واحد  
فى ما غذته به وهذا جاحد  
باللون والنشر الذى هو شاهد  
افضال سيده وهذا حامد  
عذراء فى حمر المجاسد ناهد  
غضا ومبتذلا وهذا كاسد  
يفنى ويبقى مأؤه المتعاهد  
ومرافق مشكورة وفوائد  
ميتا ولا فى الروض اذ هو وافد  
أبدا وقبب الورد بلاق خالد  
شبهها وبينهما اخاء تالد  
ر بالممات اذا أتاه العائد  
ورياسة لولا القياس الفاسد

وقام الشاعر الاندلسى أبو عثمان سعد بن فرج  
الجياني ، فتقنن أيما تقنن في قصيدة مطولة يسفه منطق ابن الرومي  
بمنطق في مستوى عبقرية الشاعر العراقي ، فرد على قول ابن  
الرومي : ( شتان بين اثنين هذا موعد الخ ) بقوله :

ولن يكون الفضل في حكم العلا الموعود عنه أو النديم الواعد  
فجعل الورد لتأخره موعدا بانقضاء الربيع والبهار لتبكيره  
واعدا به .

ومن خلال سرد القصيدة يتبين للقارئ كيف قارع  
الشاعر الاندلسى الحجة بحجة أقوى ، والمنطق بمنطق اسلم قال :

عنى اليك فما القياس الفاسد	الا الذى أدى العيان الشاهد
أزعمت أن الورد من تفضيله	خجل وناحله الفضيلة عاند
ان كان يستحيى لفضل جماله	فحيأؤه فيه جمال زائد
والنرجس المصفر أعظم ربيعة	من أن يحول عليه لون واحد
لبس البياض لصفرة فى وجهه	صفة كما وصف الحزين الفاقد
والآن فاسمع للبراهين التى	قطعت فليس يحيد عنها حائد
الورد تيجان الربيع فأيمما	اختار الفخار متوج أو ساجد
ولمن يكون الفضل في حكم العلا	الموعود عنه أو النديم الواعد

مهلا فما هو بالتقدم قائم  
وانظر اذا اعتدل الزمان وغنت  
موف على الغصن النضير كأنه  
والفرجس المنحط اما راكم  
وجعلت للاسماء حظا زائدا  
اسم الذى فضلت ان فتشته  
والورد كيف خرمته وخبنته  
ودع البقاء فما ترى من جملة  
يفنى خيار الخلق فى الدنيا  
والضد كل الضد قولك انه  
فأعرتة عين الرقيب فللعمرى  
واذا فخرت على الخدود بمقلة  
ولو أن فعلا للكواكب فى الثرى  
وتتازع النوار شبه صفاتها  
الورد وقاد التوقد ناضر

كلا ولا ذا بالتأخر طارد  
الاطيار فهو لشجوهن مساعد  
فى منبر بين الحدائق قاعد  
ذلا الى عقر الثرى أو ساجد  
مهلا فما هذا سبيل قاصد  
وخرمت أوله فرجس راكم  
ود تود به ورد عائد  
الا وأفضلها يكون البائد  
وما شئ سوى ابليس فيها خالد  
ينهى النديم بلحظه ويساعد  
والسمل طرف للاجبة راصد  
يرقائها باد فأصلك فاسد  
ربى الرياض كما يربى الوالد  
ما كان غير الورد فيها الماجد  
والنجم نارى مضى واقد



ولخص الشاعر الصنوبرى هذه المساجلات وهذا الجدل ،  
بأبيات لطيفة تشير الى هذه المعركة الشعرية ، وهذه الحرب  
بين الورد والفرجس ، فقال فى حوار بين هذين الزهرتين التى  
تنتمى احدهما الى الخدود والاخرى الى العيون :

زعم الورد أنه هو أبهى	من جميع الانوار والريحان
فأجابته أعين الفرجس الغض	بذل من قولها وهوان
أيما أحسن : التورد أم مقلّة	ريم مريضنة الاجفان
أم فماذا يرجو بجمرتيه الورد	إذا لم تكن له عينان ؟
فزها الورد ثم قال مجيبا	بقياس مستحسن وبيان
ان ورد الخدود أحسن من	عين بها صفرة من اليرقان

وقال العسكرى مشيرا الى نفس المعنى فى بيتين لطيفين

فيهما تلاعب لفظى بين المثل والقعود :

أفضل الورد على الفرجس	لا أجعل الانجم كالأشمس
ليس الذى يقعد فى مجلس	مثل الذى يمثل فى المجلس

وقد أكثر الشعراء شرقا وغربا فى الخوض فى هذا

الجدال ، وهذه المعركة الكلامية حتى أصبح هذا النوع من

الادب في درجة الابتذال لا يتجاوز ان يكون تلاعبا بالالفاظ  
واظهارا للمهارة البيانية فقط ، ومن الغريب أن يدخل في هذا  
اللعب اللفظي ، أبو جعفر ابن البار نفسه ، فقال في تصحيفه  
للفظتي : ورد ، ونرجس .

الورد أحسن ورد      يروى به لحظ عيـن  
ونرجس الـروض مهـما      صحفته بهـرح بيـن  
وقال نفس الشاعر في تصحيف آخر لكلمة نرجس :

طلع النرجس في أكثانه      قائل للورد قد برحت بي  
لم تزل تورث جسمي سقما      مبكيا عيني بدمع الحبيب  
كيف خلطت وغلبت على      سيد الانوار ياللعجب  
انما اسمي تحت شكواي فلا      توقعوني تحت ريب الريب  
أنا لولا طمعي أن نلتقي      ما أقلتني حيناً قضبي

وانبرى لابن الرومي الشيخ أبو عبد الله بن مسعود في  
القصيدة التالية يفضل فيها الورد على البهار ، فيها تصحيف  
آخر لكلمة نرجس ( برحبيب ، بيت خرب )

ولا بس ثوب الضنى  
كأنما أحداقه  
من الحيا مترعة  
يسعى بها محتسبا  
ساق على ساق له  
زبرجد مبهج  
إذا الصبا عنت له  
صببا لبعض بعضه  
يقول للورد أنا  
قال له الورد لقد  
أنت إذا ما صحفوا  
أنا الذى لم أختلق  
أشبهه شئ بالخردو  
وأنت عين دهرها  
فانشعبت أسرابه

من حسد قد اكتأب  
أقداح تبر منتخب  
أجل مشروب شرب  
بلا أذى ولا نصب  
ترهى بمخضر قصب  
يكاد لنا ينقض  
وماس عن ثقل الحبيب  
فيلتقى ويصطحب  
بر حبيب يقترب  
أخطأت يامن لم يصيب  
وأنصفوا بيت خرب  
ما قلت له ولم أحسب  
د الزهر ريعت من كثب  
فى مثل دهر قد كلب  
خوفا بدمع منسرب

وأصفر من هم كما      يفعل مخضوم غلب  
الفضل للورد وان      أبى على وحرب  
طيب وطيب وثذا      ومنظر ينفي الكرب  
سلطان الانوار على      رغم الغبي المضرب

ووجد لابن الرومي أنصار من بينهم أبو الفرج الببغا عبد  
الرحمن بن نصر بن محمد المخزومي ، وهو شاعر مشهور وكاتب  
مترسل اتصل بسيف الدولة ، وله ديوان شعر ، مشهور في كتب  
الادب بلقب الببغا للثغة فيه ، كان يكتب النثر الى جانب الشعر  
( مات سنة 398 هـ - 1008 م ) ، قال في تقضيل النرجس  
على الورد :

كأنما تهدي التحايا به      لطفنا الى الارواح ارواحا  
يلهى عن الورد اذا مارنا      ويخلف المسك اذا فاحا

وقد استعمل الادباء والبلغاء تقضيل الورد على الآس  
والنرجس أو تقضيل هاتين الزهرتين على الورد في أدبهم  
وقصائدهم لاغراض خاصة بهم للبرهان مثلا على أن الآس يدوم  
عهده والورد لا يدوم له عهد .

فاشتكى عبد الرحمن بن زيدون وهو في سجنه في سينيته  
الشهيرة صائحا :

لا يكن عهدك وردا      ان عهدي لك آس  
وكتب أبو دلف العجلي وهو أحد الامراء الشعراء (1) الى عبد  
الله بن طاهر

أرد ودكم كالورد ليس بدائم      ولا خير فيمن لا يدوم له عهد  
وحبي لكم كالآس حسناء ونضرة      له زهرة تبقى اذا فنى الورد  
فأجابه ابن طاهر :

وشبهت ودي الورد وهو شبيهه      وهل زهرة الا وسيدها الورد  
وودك كالآس المير مذاقه      وليس له في الطيب قبل ولا بعد

وتبع الجمهور هذه المساجلات ، وهذا الجدل اللفظي  
والمعنوي ، فكان أنصار الورد يستعملونه في رسائلهم لأحبائهم  
ليبرهنوا لهم على محبتهم ، وأنصار الآس والنرجس يخبرون  
أحبائهم بأن حبهم له دائم كالآس ، وكثير استعمال التصحيف  
لدرجة الابتذال ، حتى في صفوف شعراء من الطبقة الاولى ،  
كالعباس بن الاحنف الذي أشاد به الباحثون ، والذي رغم شاعريته  
لم يمدح ولم يهج ولم ينتج قط بشعره . قال :



أبغض الآس والخلاف جميعا      لمكان الخلاف واليأس منها  
وأحب التقاح والورد بحتى      لو وزنتيه بالجبال وزنها  
أشبهها ريقها ونكهة فيها      فهما ينبئان بالطيب عنها  
وفى هذا المعنى أيضا قال أحدهم :

أهدت اليه بنفسجا تسليه      تنبيهه أن بنفسها تقديسه  
وقال آخر :

ولخص هذا التطاحن بين الزهور الشاعر الفذ أبو نواس  
فى معنى مبتكر لم يجوز مثله لاحد بعده

يا عاذلى بملام مر بالياس  
فلسلت أقاع عن ريحانة الكاس  
تباعد العذل عن قأبى على ثقة  
كما تباعد بين الورد والآس

ونحن لا نستطيع ، ولن نستطيع ، أن نأتى على هذا  
الموضوع فى كتاب ، وبالأحرى فى مقال واحد ، لو فرته وسعة  
مجاله فى الادب العربى فى عصر ازدهاره ، وقد ذكرنا جملة أخرى  
من هذه الحصىلة فى الباب الذى أفردناه له كتابنا الذى تفضلت  
« الدار التونسية للنشر » فعزمت على طبعه كما أن المقام

ضيق لسرد نماذج من الادب المنشور الذى ازدهر بدوره وتناول موضوع هذه المعركة بالذات فى رسائل من اشهرها رسالة ابن برد الاصغر وابى الوليد اسماعيل بن محمد بن عامر الاندلسى وتاج الدين اليمانى وغيرهم ، تتناول كلها موضوع هذه المعركة فى حوار بين زهرتين ، أو ثلاث ، أو أربع ، أو خمس زهرات ، يكون النصر فيها حليف الورد ، ملكة الزهور ، وتكتب فيها الازهار لملكاتها هذه بيعة بذلك ، فى أسلوب فنى ، ينبغى على مدرسينا وأساتذتنا ، أن يقدموه لتلامذتهم كنماذج مختلفة للنثر الفنى العربى .

ونختم مقالنا هذا ، ببعض الفقرات من مقالة ابن برد الاصغر ، صاحب رسالة السيف والقلم الشهيرة ، ومقالته هذه ، وصف فيها خمس زهرات فضل فيها الورد عليها فى كتاب الى أبى الوليد بن جهور .

أما بعد ياسيدى ومن أفديه بنفسى ، فانه ذكر بعض أهل الادب المتقدمين فيه وذوى الظرف المعتنين بملح معانيه أن صنوفا من الرياحين وأجناسا من أنوار البساتين جمعها فى بعض الأزمنة خاطر خطر بنفوسها وهاجس هجس فى ضمائرهم لم يكن لها بد من التفاوض فيه ، والتحاور والتحاكم من أجله والتناصف ،

وأجمعت على أن ما ثبت في ذلك من العهد ونفذ من الحلف ماض  
على من غاب شخصه ولم يأن منها وقته .  
فتخيرت من البلاد أطيبها بقعة وأخصبها نجمة ، وأظلمها  
شجرا ، واغضرها زهرا ، وأعطرها نفس ريح وأرقها دمع ندا .  
ثم أخذت مجالسها وانبرت على مراتبها وقام قائمها فقال :  
يامعشر الشجر وعامة الزهر ، ان اللطيف الخبير الذى خلق  
المخلوقات وذرا البريات باين بين أشكالها وصفاتها وباعد بين  
منحها وأعطياتها ، فجعل عبدا وملكا وخلق قبيحا وحسنا ،  
فضل على بعض بعضا حتى اعتدل بعد له الكل واتسق على  
لطف قدرته الجميع ، وأن لكل واحد منا جمالا فى صورته ورقة  
فى محاسنه واعتدالا فى قده وعبقا فى نسيمه ومائية فى دياجيته ،  
وقد عطفت علينا الاعين وثنت الينا الانفس وأصبت بنا الاكف  
وأزهت بمحضرنا المجالس حتى سفرنا بين الاحبة ووصلنا  
أسباب القلوب وتحملنا لطائف الرسائل وحبينا اللهو واحتضنا  
السرور وأخذنا جعالة البشرى وأكرمنا بنزل الرقادة وأسئلت لنا  
صلة الزيادة وصيغ فينا القريض وركبت على محاسننا الاعاريض  
فطمع بنا العجب وازدهانا الكبر وحملنا تفضيل من فضلنا وايتار  
من آثرنا على أن نسينا الفكرة فى أمرنا والتمهيد لعواقبنا  
والتطبيب لآخبارنا وادعينا الفضل بأسره والكمال بأجمعه ولم

نعلم أن فينا من له المزية علينا ومن هو أولى بالرياسة منا ومن  
يجب له علينا التخرج ومد اليد بالمبايعة واعطاء مجهود المحبة  
وبذل ذات النفس وهو الورد الذي أن بذلنا الانصاف من أنفسنا  
ولم نرتكض في بحر عملنا ولم نملمع نزع هو انا دنا له ودعونا له  
واعترفنا بفضله وقلنا برياسته واعتقدنا امرته وأصفينا محبته ،  
فمن لقيه منا حياه بالملك ووفاه حق الامامة ومن لم يدرك زمن  
سلطانه ولم يأت على عدان دولته اعتقد ما عقد عليه ولبي الى  
ما دعى اليه ، فهو الاكرم حسبا والاشرف زمنا والاتم خصالا  
والذى ان فقدت عينه لم يفقد أثره أو غاب شخصه لم يغب عرفه  
والطيب اليه كله محتاج وهو عن جميعه مستغن وهو أحمر والحمرة  
لون الدم والدم صديق الروح وصيغة الحياة وهو كالياقوت المنضد  
فى أطباق الزبرجد عليها فرائد العسجد .

وأما الاشعار فبحاسنه حسنت وباعتدال جماله وزنت ، واننا  
ما نعتقد الهامنا الى هذه المحمدة واستتظافنا من دنس تلك  
المذمة الا من أجل النعم المقسومة لنا والايادى المتصلة بنا .

وكان ممن حضر هذا المجلس وشهد هذا المشهد من  
مشاهير الازهار ورؤساء الانوار النرجس الاصفر والبنفسج  
والبهار والخيرى النمام .

فقال النرجس الاصفر : والذي مهد لى حجر الثرى وأرضعنى  
ثدى الحياة لقد جئت بها أوضح من لبه الصباح وأستطع من لسان  
المصباح ، ولقد كنت أسر من التعب له والشغف به والاسف  
على تعاقب الموت والرجعة دون لقاءه ما أنحل جسمى ومكن سقمتى  
واذ قد أمكن البوح بالشكوى فقد حق ثقل البلوى .

ثم قام البنفسج فقال : على الخير سقطت أنا والله المتعبد  
له الداعى اليه المسغوف به كلفا ، المغضوض بيد النأى عنه  
أسفا ، وكفى ما بوجهى من ندب وبجسمى من عدم نهوض ولكن  
فى التأسى بك أنس وفى الاستواء معك وجدان ملو .

ثم قام البهار فقال : ( خفيف )

ثم قالوا تحبها ، قلت بهرا عدد النجم والحصى والتراب  
— عمر بن أبى ربيعة —

لا تنتظرن الى غضارة منبتى ونضارة ورقى وانظر الى وقد  
صرت حدقة باهتة تشير اليه وعينا شاخصة تندى بكاء  
عليه : ( وافر )

ولولا كثرة الباكين حولى على اخوانهم لقتلت نفسى  
— الخنساء —



تم قام الخيري النمام فقال : والذي أعطاه الفضل دوني، ومد له بالبيعة يمني ، ما اجتروات قط اجلالا له واستحياء منه ، على أن أتتفس نهاوا أو أساعد في لذة صديقا أو جارا ، فذلك جعلت الليل سترا واتخذت جوانحه كئا .

فلما رأت استواء آرائها على التقضيل له واعتدال مذاهبها في الدعاء اليه قلت : ان لنا أصحابا وأشكالا وأترابا لا نلتقي بها في زمن ، ولا نجاورها في وطن ، فلهم فلنكتب بذلك كتابا ولنعقد به حلفا ولنضع من شهادتنا ما يحتمل الاقاصى والادانى عليه .

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا منا تحالفت عليه أصناف الشجر وضروب الزهر وسيمها وشتويها وربيعيها وقيظيها حيث ما نجمت من تلة أو ربوة ، وتفتحت من قرارة أو حديقة عندما راجعت من بصائرنا ، وألهمت من رشادها ، واعترفت بما سلف من هفواتها ، وأعطت للورد قيادها وملكته أمرها وأخلصت له محبتها وعرفنا أنه أميرها المقدم بخصاله والمؤمر بسوابقه عليها واعتقدت له السمع والطاعة والتزمت له الرق والعبودية وبرئت من كل نور نازعته نفسه المباهاة والانتزاع عليه في كل وطن ومع كل زمن فأية زهرة قص عليها لسان الايام هذا الحلف فلتعرف أن رشادها فيه وقوام أمرها به

ولتحمد الله كثيرا على ما هداها اليه واستنقذها من الضلال  
بتبصرته لو تشهده على اعتقادها والله على الجميع .

شهادة النرجس : ( رمل )

شهد النرجس والله يرى صحة النيات منها والمرض  
ان للورد عليه بيعة أكدت عقدا فما ان تنتقض

شهادة البنفسج : ( كامل )

شهد البنفسج أنه للورد عبد تملك  
يسعى بقلب ناصح في حبه مستهلك

شهادة البهار : ( كامل )

شهد البهار وذو الجلالة عالم بصحيح ما يبدى وما يخفيه  
أن الامارة في الأزاهر كلها للورد لا يؤتى له بشبيه

شهادة الخيري النمام : ( رمل )

شهد الخيري برا صادقا قولة أبعد عنها الدرك  
أن أزهار الثرى أجمعها أعبد والورد فيها ملك

هذا يا سيدى ما انتهى فى المعنى الى ، ففضلك فى تصفحه  
والتجاوز عما وقع من زلل فى نقله فأنت السابق الذى نجرى فى  
غباره ونهتدى بمناره ولولا علمى بموقع هذه الملح منك لم  
أجشمك مؤنة النظر فى ما كتبت منها لك ان شاء الله .

الرباط

مصطفى القصرى

- 
- (1) انظر محاضرات الادب ، قصة الحائك والمأمون العباسي وكتاب الديارات للشابستي ،  
ونشوار المحاضرة للقاضي التنوخي ، والبديع فى وصف الربيع للحميدي ، وكتاب  
الآغانى ، ونفع الطيب ، وزهر الآداب ، والموشى ، ونهاية الادب وغير ذلك من كتب  
الادب الصغراء .
  - (2) راجع على الخصوص كتاب البديع فى وصف الربيع .
  - (3) مات سنة 213 هـ .
  - (4) قلده الرشيد العباسي اعمال الجبل ، ثم اصبح من قادة جيش المأمون والخبارة  
متواترة فى كتب الادب وكان من العلماء بصناعة الغناء ، يقول الشعر ويلحنه  
وتوفي ببغداد سنة 226 .
  - (5) أمير خراسان من اشهر الولاة فى العصر العباسي كان عالما وكريما شهما ، اعتمد عليه  
المأمون .

# وامعتصماه !

علي الصقلي

علمنا ان الشاعر الاستاذ علي الصقلي يعد للنشر قريبا مجموعة شعرية من طراز الشعر التعليمي ، ابتداء من القسم التحضيري الى الاقسام الثانوية العليا. ولعل من نافلة القول الاشارة الى ان هذا اللون من الشعر تفتقده المكتبة العربية افتقادا يشمر بحدة بالفراغ الملحوظ في ميدانه ، مع ما يحققه من فوائد تربوية وادبية شتى بالتسبب للتلميذ ، وما فيه من اثر اذ له فكريا ولغويا. ومن بين ما اعدده الاستاذ الصقلي في هذا الصدد قصص متنوعة ، بعضها من ابتداعه ، والبعض الآخر مما ترجمه بتصريف ، او مما اختاره من قصصنا التاريخية المليء بالمواقف البطولية الخالدة ، علما بانه قدم هذه القصص في اطار جديد ، وامطأها ابعادا غير ما تعارف لها من قبل .

و « المناهل » ستوالي احيانا نشر مختارات من مجموعة الاستاذ الصقلي كنماذج لمختلف الصفوف الدراسية .

وفيما يلي قصيدة بعنوان « وامعتصماه ! » احيى فيها الشاعر قصة الملح الذي انتهك حرمة امرأة مسلمة فلقطعها على خدها ، فلما صرخت مستنجدة : وامعتصماه ! - وكانت بعمورية - بعيدة عن بغداد موطن المعتصم - سخر منها لاطمها ، وعدا الامر ضربا من الخيال ، الا انه خيال عرف طريقه الى الواقع فيما بعد ، فقد فتح المعتصم عمورية رغم تشييط المنجمين له ، وانتقم لكرامة من استغاثت به الى آخر القصة المعروفة . ونشير الى ان جميع الحقوق محفوظة للشاعر .

أى جرم ذلك العليج أتاه !  
 فرقى قلب العلى فيما رماه  
 وانثنى يصعر زهوا خده  
 ويعاف الارض ممشى لخطاه  
 آمننا مكر السماوات العلى  
 لو تراه خلعت فرعون أبناه !  
 وإذا مال لتحت طرفه  
 جاذبته للثريا كبرياه ! !  
 كاسر كالوحش ! لولا أنه  
 ظالم ، بل سادر فى غلواه  
 مله ماذا بحصان عفة  
 صنعته يده ، شلت يده !  
 فاذا الطهر على معوله  
 تنهاوى فى لحيطات ذراه



واذا العفة حيرى فى طريق  
تأثله الخطوة قد ضاعت صواه  
آه منه حرما منتهكا  
عز أن يغدو كذا لولا الشفاه  
يا العمورية الشهباء كلمى  
جرحها تنزف كالمزن دما  
قيل : اغضت عن قذاها ، أو يغضى  
مثلها ، ان سيم خساء عن قذاه ؟  
أو ما ثار على أرباضها  
ثائر يجار : وامعتصماه !  
فاستشاطت اختها بغداد من  
غضب مضطرم شبت لظاه  
وانتضت غضبا تعالى أن ترى  
اعين العلياء فى الروع اخاه !

يا دعاء جائعاً من حرة  
لم يرم يلتقم الظلم مداه  
مذ مشى الحق على آثاره  
قدرا لا ينثنى دون مداه  
هادرا كالرعد في اعواله  
ثائرا كالموج يمضى في رغاء  
نحو دار العليج لا يردعه  
ما رواه النجم افكا وادعاه  
يا صباح العز آذن بالسنى  
تتساقى خمرة تلك الجباه  
كن لها طهرا ، فكم دنسها  
وحل الذل ، وغاصت في شراره  
وسل العليج عن المظلوم ، عن  
صرخة ما فتئت تملأ فاه

صرخة زحزحت الظلم فأمسى  
في يد المظلوم مملوكا فتاه  
والذي يصنع قييدا ظالما  
تحتذي القيد جحيما قدماء  
على الصقلي

## المحلزون

دب المحلزون  
فوق حجارة  
من أين أتى  
يحمل داره ؟  
في قببتهما  
لذ قراره  
الرباط على الصقلي

---

\* انشودة للأطفال .

أبو الوليد ابن زيدون  
وذكره الألفية  
394 - 1394 هـ

جريدة البورقارية

قليل هم الصفوة الادباء الذين كتب لهم الخلود ، وظل ادبهم شامخا  
على مر العصور متخطيا عصره ومكانه ، آخذا باعجاب الاصدقاء والاعداء .

وابن زيدون الشاعر القرطبي من القلة الذين ظلوا اعلاما بارزين على  
كر الاجيال . فقد سجل فيما وصل الينا من انتاجه الشعري والنثري  
مواقف خالدة ، واحاسيس انسانية تنبض بالحياة .

فجر الحب في نفسه ينابيع من الشعور الفياض ، انسابت في  
غرامياته ، فجاءت من اروع ما صاغه المحبون من فرحة واكتئاب ووفاء  
وحنين ولوعة وحرقة .

ودفعه حبه لوطنه ، وتعلقه بمرابعه الفيحاء ، وحنينه الى قرطبة  
بالذات الى تسجيل ذكريات لاعبة ، وحنين ممض ، وشوق فياض ، فى  
تصوير صادق وتعلق مخلص صبه فى التشطير التالى :

اقرطبة الفراء هل فيك مطمع وهل كبد حرى لبيئك تنقع

وهل للياليلك الحميدة مرجع

اليس عجيبا أن تشط النوى بك كأنى لم انش نفع جنابك

ولم يلتئم شعبي خلال شعابك

ولم يك خلقي بدؤه من ترابك

ولم يكتنفي من نواحيك منشأ

امتزج بدم ابن زيدون الم ممض ، وعاطفة متقدة فتها له اكبر  
عنصر من عناصر الشعر وظهر اثر ذلك فى كل خاطرة من خواطره وجعله  
فى حبه ، وسجنه انسانا يتحدث عن آلام الانسانية ، ويصورها حتى  
يراهها كل محب أو سجين أو معذب صورة صادقة لما فى نفسه وكأنى به  
ليثا يزأر من ذل القيد وتنبعث من شعره نبرات الاسى الممزوج بالانفة  
والعزة .

إذا ما كساب الوجد اشكل سطره

فمن زفرتي شكل ، ومن عبرتي نقط

الا هل أتى الفتيان ، أن فتاهم

فريسة من يعدو ، ونزهة من يسطو ،

وإن الجواد الفأنت الشاو صافن ،

لخونه شكل ، وازرى به ربط



هذه المعاناة التي سكبها في شعره ، معبرا عما كان يعيشه  
من أحداث لا يمارسها الا من ساهموا في بناء الحياة ولعبوا ادوارا مهمة  
في مسرحها اخذوا واعطوا ، فلم يكونوا قط سلبيين ، ولم يعيشوا على  
الهامش منذ زهرة الشباب .

فمن خلال انتاج ابن زيدون تتجلى صورة الشاب الطموح ، العالم ،  
الشاعر المرهف الاحساس ، الرقيق الشعور ، الذي عرف المعاناة ،  
وصارع الحياة .

من يسأل الناس عن حالي فشاهدهما ،  
محض العيان ، الذي يغني عن الخبر  
لم تطو برد شبابي كبرة ، وأرى  
برق المشيب اعتلى في عارض الشعر  
قبل الثلاثين ، اذ عهد الصبا كئيب ،  
وللشبيبة غصن غير مهتصر  
يا للرزايا لقد شافهت منهلها  
غمرا ، فما أشرب المكروه بالغم  
ها انها لوعة في الصدر ، قاذوة  
نار الاسى ، ومشبي طائر الشرر

ان صدق العاطفة لدى ابن زيدون وتعبيره عن أحاسيس الناس  
المشتركة ، والتفاتة الى الطبيعة وتجاوبه معها مضافا عليها من روحه  
حركة وحياة ، رفعه تارة الى مستوى الحكماء والفلاسفة متجاوزا  
الزمان والمكان ، وتارة الى مستوى المحبين الذين توقد الذكرى في  
حشاشاتهم الحارقة واللوعة :

اذكرتني مالف العيش الذي طابا  
يا ليت غائب ذاك العهد قد آبا  
اذ نحن فى روضة للوصل ، نعمها  
من السرور غمام فوقه صابا  
انى لاعجب من شوق يطاوتنى  
فكلما قيل فيه : قد قضى ، ثابا  
ما توبتى بنصوح من محبتكم ،  
لا عذب الله الا عاشقا تابا

كثيرهم الشعراء الذين طرخوا من الغزل ابوابا ، وخلا شعرهم من  
الاحساس والشعور . هذا العنصر الهام الذي طبع شعر ابن زيدون  
بطابع الصدق والعمق ، فالمتصفح لتراث ابن زيدون تتمثل له من خلاله  
شخصيته المتميزة ، ويلمس استقلالها ، فلامحه اكثر وضوحا ،  
وسماته اكثر بروزا ، وتفننه الفريد فى استعمال الالفاظ والاساليب  
والمعاني ، وما يتخلل ذلك من علامات نفسية اكثر شفافية .

اذ الشاعر الحق هو الذي يطالعك فى كل كلمة من كلماته ، وبيت  
من أبياته وقصيدة من قصائده ، فنا ، وروحا ، ونفسا ، وكأنك جالس  
اليه تحفظ ملامح وجهه ، وتسبر خلجات نفسه المعترزة الابية التي تتأبى  
الهوان ، وتتسامى الى منادمة النجوم ، فى ثقة وكبرياء ، واعتزاز صارخ  
فى وجه الخطوب .

انا السيف لا ينبو مع الهز غربه  
اذا ما نبا السيف الذي تطبع الهند

\* \* \*

أما الهوان فصنت عنه صفحة  
أغشى بها حد الزمان الشوارع  
فليرغم الحظ المولى ، أنه  
ولي فلم أتبعه خطوة تابع  
ان الغنى لهو القناعة ، لا الذي  
يشتف نطفة ماء وجه القانع

\* \* \*

خصني بالآدب الله فاعلى فيه شائبي  
خاطري أنفذ ، مهما قيس ، من حد السنان

وناهيك بأديب وشاعر يقول عنه ابن بسام فى الدخيرة :

« كان أبو الوليد غاية منشور ومنظوم ، وخاتمة شعراء بني مخزوم ،  
أحد من خبر الأيام خبرا ، وفاق الأنام طرا ، وصرف السلطان نفعا وضرا ،  
ووسع البيان نظما ونثرا ، الى أدب ليس للبحر تدفقه ، ولا للبدر تألقه ،  
وشعر ليس للسحر بيانه ، ولا للنجوم الزهر اقترانه ، وحظ من النثر  
غريب المباني ، شعري الالفاظ والمعاني » .

ان شخصية تقتعد أعلى المراتب أدبا وعلماء . وتوافرت لها امكانيات  
تضاهي ما توافر لابن زيدون لجديرة بأن تعطي حقها من البحث والدراسة  
ويلتف حولها الادباء والشعراء من الشرق والغرب يقيمون الذكرى  
الالفية لميلادها ، ويخلدون هذه الذكرى بأحرف من نور ، مضيفين الى سجل  
الأدب الانساني سجلا حافلا يعزز دولة الشعر والأدب ، وواضعين لبنات  
متألقة فى صرح الأدب العربي الشامخ .

وان اقامة مثل هذه المظاهرات الادبية يحضرها خيرة الادباء  
والشعراء من الشرق والغرب لبادرة طيبة ، تضع مفربنا كرائد من رواد

الثقافة العربية فى موضعه الحقيقي . وناهيك بشعب حفظ من تراث  
الاندلس الشيء الكثير وأضفى عليه من ذهنيته وجهاده العلمي والادبي  
وأضاف اليه صفحات غرا ما زالت حتى يوم الناس هذا موئل الدارسين  
وقبله الباحثين .

ولم يكن التواصل فى هذه الحقبة من تاريخ الاندلس بين المغاربة  
والاندلسيين ثقافيا فقط بل سياسيا ايضا ، فأبو بكر ابن زيدون والوزير  
من بعد ابيه - الذي انتقم له من ابن عمار منافسه فى دولة بني عباد -  
تولى السفارة عن ابن عباد الى يوسف بن تاشفين المرابطي طلبا للنجدة  
من ملك الاسبان ، وسقط شهيد الدفاع عن حوزة الاسلام بقرطبة الفيحاء  
مرتع الآباء والاجداد ومهد الحضارة التي ما زالت تتحدى التاريخ الى الان .

ان عبقرى كابن زيدون ووزيرا ذي الثمانية والعشرين ربيعا اكتنفت  
حياته أنواع شتى من الاحداث ، وأحاطت بها كثير من التساؤلات ، بغية  
استجلاء الخفى واستكناه الغامض ، لجدير بأن تتناول الاقلام من جديد  
حياته وتاريخها بالتحقيق والتمحيص والتعليل والتحليل خدمة لحقبة من  
تاريخنا الحافل ما زال يكتنفها القموض ، ولم ينل تراثها الادبي الحظ  
الاوفر من الدراسة والبحث .

## الرباط

## حيبة البورقادية

## علم بالصِّحراء

أبو بكر اللمثموني

الحب و السحر  
والحجل و الخدر  
والصمغ و العطر  
والطلع و السدر  
حلم يوافينا  
مناغيا فينا



الشوق والذكرى  
لأمننا الصحرا

\*\*\*

الشمس كالجمـر  
في ساعة الجزر  
تنضب كالخمر  
قطرا على قطر  
في رائق بحـر  
من عاتق الصمت  
تعود بالذكرى  
لأمننا الصحرا

\*\*\*

والرقى والفال  
والوشم والخال  
والغول والجن  
والسعد واليمن  
مشارب تسرى  
في القلب والصدر  
من يوم أن كنا

أغرة لدننا  
نلهو عن الفطم  
بسمامر الأم  
فنتشق العطرا  
من قصة الصحرا

\*\*\*

من يوم أن كنت  
طفلا وأيفعت  
لم ينتقل عنى  
أو ينقصل منى  
أو يجل عن وهمى  
أو ينأ عن حلمى  
النوق والخيـل  
والظبى والوعـل  
والآل والرمـل  
والطيب والكحل  
وكل ما يغبرى  
بالموطن البكر

برحمتنا الحسرى  
بأمننا الصحرا

\*\*\*

والعيد ما ألقى  
صباحه الطلا  
نمشى مع القوم  
فى موكب فخم  
نستغفر الذنبنا  
نمجد الربنا  
نمضى الى البيد  
لسبحه العيد  
نحنو على الترب  
الطاهر العذب  
فننتشى العطرا  
ونذكر الصحرا  
منازل الفضل  
وموطىء الرسل  
ومهبط الوحى  
الوابل الرى

وموكب النصر  
فى البر والبحر  
كأنه فجر  
طفأ به الدهر  
فى شاطئ غم  
بالرق والظلم  
فكسر القيود  
وحرر العبد  
ولاح فى الأفق  
قوافل الرق  
تخر للحق  
تتيه بالعتق

\* \* \*

أنعم به فجرا  
فاضت به الصحرا  
لم تشهد الدنيا  
كمثله فجرا

**طنجة : أبو بكر اللمتوني**

# الكتّاباتُ المغربيّة

## ودورها في الكشف عن الدّفائن التاريخيّة

محمد المنوني

تأتي النصوص المكتوبة في طبيعة المصادر التاريخية ، وقد تداول الباحثون منها المؤلفات ، والوثائق ، والكتابات ، والنقوش الاثرية ، وما الى ذلك .

وتحاول هذه الدراسة ان تبرز اهمية نوع خاص من المخطوطات ، وهي المجموعات التي يسجل فيها المعنون مختارات ما يقرءون او يسمعون ، وحيانا يضيفون لذلك انتاجاتهم ومشاهداتهم وما جرى مجرى ذلك .

وهذا اللون من التقييد لم تختص به ناحية دون اخرى ، وانما كان شائعا بالمغرب ، كما هو منتشر لدى المشاركة (1) ، غير ان هؤلاء



يخصون - في الغالب - هذه المقيدات باسم ( التذكرة ) ، وهو واقع ( تذكرة ابن حمدون ) ، و ( تذكرة ابن مكتوم ) ، و ( تذكرة الصفدي ) ، و ( تذكرة ابن مبارك شاه ) ، وسواها وسواها (2) ، الى ( التذكرة التيمورية ) المنشورة حديثا .

وبالنسبة الى المغرب تتميز هذه المقيدات باسم « الكناشة (3) » ، ومن الجدير بالذكر ان هذه التسمية صارت مفربية صميمة ، يشير لهذه الحقيقة ما ورد عند شارح القاموس (4) حيث يقول أثناء كلام : « .. ومنه الكناشة : لاوراق تجعل كالدفتر ، تقيد فيها الفوائد والشوارد للضبط ، هكذا استعمله المغاربة ، واستعمله شيخنا : ( محمد بن الطيب الشركي ) » ، وبعد مرتضى الزبيدي المصري ، يؤكد نفس الواقع . مستشرق من الغرب في فقرة قصيرة هكذا : « والكناشة عند المغاربة مجموعة تدرج فيها قواعد وفوائد (5) » .

والظاهر ان الكناشة - بهذا العنوان - لم تستعمل بالاندلس ، حيث لا يوجد - لحد الان - نص معروف في هذا الصدد ، وانما يذكر لسان الدين ابن الخطيب اسم الكناش بالتذكير ، للدلالة على موضوعين من مؤلفاته ، واولهما أرجوزته الالفية في اصول الفقه ، وهي « الطلل المرقومة » ، في اللمع المنظومة » ، اما الثاني الذي يعطيه نفس الاسم : فهو رسالة « مثلى الطريقة » ، في ذم الوثيقة (6) .



ولا يعرف - بالضبط - تاريخ ظهور هذه التسجيلات بالمغرب ، واقدام كناشة مذكورة كانت للجادري الفاسي : عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان المديوني ، المتوفى عام 818 هـ / 1415 - 16 م ، وقد استمرت هذه بقيد الوجود حتى النصف الاول من المائة الحادية عشرة هـ ، حيث وقف عليها ابو حامد محمد العربي الفاسي وافاد منها في بعض مؤلفاته (7) ، وكانت وفاته عام 1052 هـ / 1642 م .

وقد يكون الونشريسي وقف - قبل أبي حامد الفاسي - على نفس الكناشة ، حيث ينقل في كتابه المعيار من خط الجادري (8) .

وبعد هذا : فمن المتوقع ان هذا النوع من المقيدات اخذ يشيع حوالي عصر الجادري ، على انه من المؤكد ان هذه التسمية بدأت تنتشر من الفترة الوطاسية ، وهكذا : سيسعمل اسم الكناش عنوانا للترجمة الذاتية التي يكتبها لنفسه ابو العباس احمد زروق البرنسي ثم الفاسي ، المتوفى عام 899 هـ (9) / 1493 - 94 م .

وبعده يأتي عبد الواحد بن احمد الونشريسي ثم الفاسي ، المتوفى عام 955 هـ / 1549 م ، وقد ورد التصريح بأنه خلف عدة من الكنائيش (10) .

ونذكر - الان - سقين : عبد الرحمان بن علي العاصمي ثم الفاسي . المتوفى عام 956 هـ / 1549 م . والغالب انه خلف كناشة او كناشات ، وهو ما قد تشير له فقرة تلميذه المنجور (11) عند ذكر استاذة : « وقيد بخطه من الفوائد الحديثية وغيرها - ادبية وغيرها - ما لم يقيده احد من معاصريه ، رايت كثيرا من ذلك بعد موته ، وعلى خطه رونق ، ويشكل ويضبط ما يحتاج اليه ، ويقرب من شيخه ابن غازي في الضبط والاتقان : لمقيداته » .

وسنستفيد من آخر هذه الفقرة ان ابن غازي - بدوره - كان ولوع بالتقيد للمسائل العلمية (12) ، واسمه - كاملا - محمد بن احمد ابن غازي العثماني المكناسي نزيل فاس ، وبها كانت وفاته عام 919 هـ / 1513 م .



ويعتبر العصر السعدي فترة انتظام - اكثر - لهذه المقيدات . وهكذا : فان المنجور يشير في طالعة فهرسيه (13) الى مجموعة

كنائشه ، كما أن أحمد بابا التنبكتي يصنف الكناشات من بين مصادر مؤلفة : نيل الابتهاج (14) ، مع العلم بأن أكثر مواد هذا الكتاب كانت مغربية (15) .

ومن جهة أخرى : فإن محمد بن أحمد ميارة الفاسي يسجل في شرحه للمنظومة الزقاقية (16) هذه الفقرة :

« يؤخذ من الناظم وغيره أنه ينبغي للشاهد أن يكون له زمام يسهل فيه الأمور المهمة ، والوقائع الغريبة ، ووفيات الأعيان : من العلماء والملوك ، وتبديل السكك الجارية بين الناس ، ونحو ذلك ، إذ كثيرا ما نحتاج لذلك لتاريخ ونحوه ، وهو كذلك ، وقد أخبرني بعض كبار عدول وقتنا أن من قبلهم كان له ذلك » .

وقد كانت وفاة هذا المؤلف عام 1072 هـ / 1662 م ، وفي نحو هذا التاريخ صار من مكملات ظرف الطالب أن يتوفر على كناشة لتسجيل الفوائد ، وهذا ما يندب له مؤلف « مختصر الافاريد (17) » ، وقد وقع الفراغ من تأليفه عام 1070 هـ / 1659 - 60 م .

وهكذا : نتبين من هذا العرض أن هذه المقيدات ستنتشر بالمغرب السعدي ، ويستعملها الطلاب ومعهم الشهود ، فضلا عن أوساط العلماء والادباء ، ونشير - بعد هذا - إلى أن نفس العصر خلف نخبة من المعيدين للفوائد والفرائد : في بطاقات متفرقة ، أو كناشات منتظمة ، ومن نماذجهم :

— محمد بن قاسم القصار القيسي ثم الفاسي ، التموفي عام 1012 هـ / 1604 م ، وكان كثير التقييد في بطاقات ترك منها أعدادا وفيرة ، وصارت - بعد وفاته - تباع بالارطال (18) ، وفي تعبير البعض (19) أنها بيعت بوزنها ذهباً .

— ويحتذي حدو القصار - في الاهتمام بالتقييد - نخبة من طلابه : أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الفاسي (20) ، وعلي بن قاسم

البطوعي ثم الفاسي (21) ، وثالثهم ، أبو حامد محمد العربي بن أبي  
المحاسب يوسف الفاسي .

وكان لهذا الأخير - حسب الأفراني (22) - من الاعتناء بتقييد  
شوارد الفوائد ما لم يكن لغيره ، حتى أنه يكون راكبا في السفر فيتذكر  
مسألة يبدو له فيها جديد ، فيوقف فرسه حتى يسجل ما عن له في  
الوقت ثم يتابع السير ، ويقول عنه اليوسي (23) : كان من دأبه متى  
لقى انسانا يسأله في أي بلد هو ، ومن في بلده من أهل العلم والصلاح  
والأعيان ، ويقيد ذلك كله :

ومن المقيدين بالجنوب المغربي : أبو زيد عبد الرحمان بن محمد  
الجزولي التمارتي المعافري (24) ، ثم محمد بن سعيد الإخصاصي  
المرغيتي (25) لامتوفى عام 1089 هـ / 1678 - 79 م ، بعد ما كان  
سابقه توفي من عام 1060 هـ / 1650 م .



والى هنا يصل لنا المطاف الى المغرب العلوي ، وقد عرف نفس  
العصر ثروة مهمة من هذه الكناشات ، وفي هذا الصدد نشير الى مدينة  
تطوان بالخصوص ، وبالضبط خلال النصف الاول من المائة الهجرية  
الثانية عشر ، حيث كان عبد الله شطير التطواني يدون كناشته :  
« نضار الاصيل » ، ويهمننا منها أن يسجل جامعها عن نخبة من رفقاءه ،  
توفرهم - بدورهم - على مجموعات مماثلة ، وهو يعرض أسماء أصحاب  
الكناشات كالتالي : علي بن عبد السلام ابن ريسون ، والمامون أفيلال ،  
وأحمد غيلان ، وأحمد بن أحمد حجاج ، وابن إدريس ، وشهبسون ،  
والعمارتي (26) .

وسوى هذه الظاهرة صار عدد من الاعلام في الفترة ذاتها ، يخلف  
الواحد منهم أعدادا من هذه المجموعات ، وهذا هو واقع محمد بن أحمد  
التماق الفاسي ، المتوفى عام 1151 هـ / 1738 م ، ثم محمد بن أحمد

ابن محمد بن عبد القادر الفاسي ، ثم محمد التاودي ابن سودة ، ثم محمد ابن عبد السلام الناصري ، ثم عبد القادر بن محمد بن عبد الواحد الفاسي ، ثم المهدي ابن سودة ، ثم محمد المدني ابن جلون ، ثم العباس ابن محمد بن عبد الرحمان الحجرتي ، ثم علال بن عبد الله الفاسي ، ثم ابي العباس أحمد ابن سودة ، ثم عبد العزيز السوسي الادوزي ، ثم ابي العباس أحمد بن محمد المعروف بابن العباس البوعزاوي ، ثم ابي حامد المكي البطاوري (27) .

ومن المعاصرين حسب وفياتهم او ولادة الاحياء منهم نذكر : محمد الكانوني ، ومحمد بن علي الدكالي ، والعباس بن ابراهيم ، والمدني ابن الحسين ، وابا الاسعاد الكتاني ، ثم عبد السلام ابن سودة ، وعبد الله الجراري ، ومحمد داود ، ومحمد العابد الفاسي ، ومحمد ابراهيم الكتاني .  
غير انه في الفترات الاخيرة وعلى وجه التقريب بعد الاستقلال ، صار الباحثون المغاربة الجدد يستعوضون عن هذه المجموعات بالتسجيل على الجداول ، جريا على الاسلوب الحديث في تصنيف الوجادات وتنظيمها حسب الترتيب الهجائي .



والان نذكر ان هذه الكناشات تسجل بها المقيدات دون انتظام ، وانما تكتب شبه مذكرات يدون فيها المعنى بالامر ما يهمه حسبما يتفق له ، ولهذا لم تكن مبنية في الغالب ، وقليل منها يصدر بفهرس للكشف عن الموضوعات ، وقد يتداول كتابتها اكثر من واحد . وخطها - على العموم - ياتي من النوع السريع الدقيق المدمج ، وفي اكثر الحالات كانت هذه المدونات تستمر بخط او خطوط اصحابها ، غير ان الكناشات البالغة الاهمية تستخرج منها نسخة او نسخ جديدة .

وبالنسبة الى موضوعاتها فهي تعكس - في الاكثر - اتجاه صاحبها ، يغلب الفقه على مقيدات الفقيه ، والادب على مقيدات الاديب ، والتصوف على مقيدات المتصوف ، والتاريخ على مدونات المؤرخ ، وهكذا .



ومن الجدير بالذكر ان غالبية هذه المدونات لا تحمل اسم صاحبها او اصحابها بطريقة واضحة ، وانما يستخرج ذلك - عرضا - من ثنايا المقيدات ، او بواسطة مقارنة الخط .

ومن مزايا هذه الكناشات انها قد تنفرد بافادات تاريخية متنوعة ، وربما تكون غير معروفة بالمرّة ، فتكشف هذه الافادات عن معلومات جديدة : في موضوع التراجم او احداث مجهولة يجليها شاهد عيان ، او اقتباسات من مؤلفات صارت ضائعة ، واحيانا يقع العثور على حقائق لم تكن اذاعتها ميسورة في حياة مدونها ، هذا الى ان عديدا من هذه المقيدات تستفاد منها الترجمة الذاتية لصاحبها كلا او بعضا ، زيادة على ان بعض الكناشات تحتفظ بمؤلفات نادرة ولو انها صغيرة الحجم .

وهكذا يبدو من هذا العرض الاهمية البالغة للكناشات المغربية كمصادر تاريخية دفيئة ، وستضاعف هذه الاهمية بالنسبة لمن تقل لديهم المدونات التاريخية المنتظمة ، وهو واقعا كمغاربة .



وبعد هذا نتساءل هل سنقبل كل الكناشات التي صارت في متناولنا ، ونبادر بالجواب ، لنعلن ان هذه المقيدات لا ينبغي اهمالها بالمرّة ، ما دامت طبيعة البحث التاريخي ان لا يهمل المؤرخ او يزدرى ايا من المصادر .

غير انه سيكون علينا - قبل اعتماد هذه المدونات - ان نجعلها تخضع لاساليب النقد والتمحيص ، وهنا سنحتدي خطة الناقلين العرب القدامى في النقل من الحواشي والطرر المدونة على هوامش الكتب ، وفي هذا الصدد يتشدد الشهاب القرافي ، ويمنع - بالمرّة - اعتماد هذه التعنيقات المكتوبة بهوامش المؤلفات ، ولكن ابن فرحون (28) يحلل نظرية القرافي ويقول :

« مراده اذا كانت الحواشي غريبة النقل ، واما اذا كان ما فيها موجودا فى الامهات ، او منسوباً الى محله وهي بخط من يوثق به ، فلا فرق بينها وبين سائر التصانيف . »

ويؤكد ابن فرحون تحليله هذا ويقول : « ولم يزل العلماء وأئمة المذهب ينقلون ما على حواشي كتب الأئمة الموثوق بعلمهم ، المعروفة خطوطهم ، وذلك موجود فى كلام القاضي عياض . وأبي الأصبح بن سهل . وغيرهما ، اذا وجدوا حاشية يعرفون كاتبها نقلوا ذلك عنه . . . ومن ذلك الطرر لأبي إبراهيم الأعرج على التهذيب ، وهي من الكتب المعتمدة عليها ، الموثوق بصحة ما فيها ، وكذلك الطرر لابن عات على الوثائق المجموعة ، وكذلك الطرد لأبي الحسن الطنجي على التهذيب ، من الحواشي الموثوق بها . . . »

هذا تعليق ابن فرحون حول قاعدة اعتماد الحواشي والطرر المدونة على الكتب ، ومن الواضح ان واقع هذه يجري على محتويات الكناشات التي نتناولها ، فنعتمد منها ما كان كاتبها مشتهراً بالثقة ، او كان ما ورد بها يؤيده مصدر او مصادر معروفة ، وفى حالة ثالثة اذا وجدت قرائن خارجية تؤكد صحة الوارد الكناشة ، وكما يقال : الناقد بصير .

ومن الواقع التاريخي اعتماد عدد من المؤرخين والمؤلفين المغاربة على الكناشات الموثوق بصحتها ، لاثبات حقيقة او دحض شبهة ، وقد رأينا فى صدر هذه الدراسة أبا حامد الفاسي يعتمد كناشة الجادري ، وقبله ينقل مؤلف المعيار عن خط صاحبها ، كما ان الأفرانى يصنف كناشة أبي زيد التمرتى فى مقدمة مصادر كتابه صفوة من انتشار (29) ، وهذا محمد بن الطيب القادري يسجل فى احدى المناسبات انه رجع الى كثير من الكناشات (29 مكرر) ، ومرة اخرى ينقل عن كناشة أبي العباس أحمد بن أبي عسرية الفاسي (30) ، ويقول أبو الربيع الحوات فى كتابه : « السر الظاهر (31) » عن كناش محمد العربي القادري : ( طالعته وقيدت منه فى هذا الموضوع وغيره ، وبعده يشير الى نفس المجموعة أبو محمد جعفر بن إدريس الكتاني للرجوع اليها فى نسب الاشراف الحموميين . » 31 مكرر »

ومن بين المؤلفين المعاصرين الذين اعتمدوا هذه الكناشات ،  
نذكر المؤرخ ابن زيدان ، بالنسبة الى كناشات : اليحمدي (32) ، وابن  
عاشر الحافي (33) ، وابي الربيع الحوات (34) ، وابي بكر المنجرة (35) ،  
ومحمد بن التهامي ابن عمرو الرباطي (36) ، واحمد بن الطاهر الازدي  
المراكشي (37) ، والطالب ابن الحاج (38) ، والمهدي ابن مودة (39) ،  
والعباس العلوي الامير (40) ، والمدني ابن الحسني (41) .

كذلك أبو الاسعاد الكتاني يستمد من كناشات ابن عاشر الحافي (42) ،  
ومحمد بن محمد الخياط القادري (43) ، وابن عبد السلام الناصري (44) ،  
وابن عمرو الرباطي (45) ، والتهامي ابن رحمون (46) ، والعباس بن  
محمد بن عبد الرحمان (47) .

وهكذا يستمر الحال بالنسبة الى باقي المؤرخين المعاصرين : محمد  
الكانوني ، ومحمد بن علي الدكالي ، والعباس بن ابراهيم ، ومحمد  
المختار السوسي ، ومحمد داود ، وقد عرضتهم وسابقيهم حسب  
التسلسل التاريخي .

ومن جهة اخرى فان الباحث الفرنسي المعاصر جرمان عياش  
اعتمد كناشة الوزير الطبيب بوعشرين ، في دراسة المنشورة عن الازمة  
المالية بالمغرب بعد الفزو الاسباني سنة 1860 م (48) .



وهذه نماذج - ولو انها قليلة - من دفائن بعض الكناشات (49) ،  
ونشير - أولا - الى نصوص قصيرة في غالبها وردت ضمن هذه المدونات  
حسب العرض التالي :

— توصية في موضوع تحديد المواد الدراسية وترتيبها ، وما  
يستحسن ان يواكبها من سيرة حميدة ، كتبها أبو حامد محمد اعربي  
افاسي ، يخاطب بها ابناءه وقد رحلوا الى فاس لغاية الدراسة ، حسبما

يحتفظ بهذا النص كناشة محمد المدني ابن جلون الفاسي ، ثم كناشة الطاهر الافراني السوسي (50) .

— وقد هذه التوصية تشير الى نصوص اجازات مغربية موزعة بين اربع كناشات ، لابي سالم ابراهيم بن محمد بن ابراهيم البرنسي ، ولمحمد الصالح بن محمد المعطي الشرقي ، مع ابي الحسن علي بن التهامي الحمومي ، وابي العباس احمد العلمي السريفي .

— وهذا وصف المصحف العتيق المكتوب برسم الفاتح عقبة بن نافع الفهري ، بالقيروان عام 47 هـ ، وقد كان من الذخائر القديمة بالمغرب (51) ، حسب كناشة محمد بن احمد بنيس الفاسي ، حيث تحتفظ ايضا بنص اجازة صادرة لصاحبها من جهة محمد مرتضى الزبيدي ، شارح القاموس والاحياء .

— ونصل — الان — الى رسالتين من السلطان العلوي المولى سليمان خاطب بهما أمير طرابلس الغرب ، مع رسالة ثالثة من نفس الماهل الى باشا الجزائر ، وثلاثتها بكناشة ابي حامد العربي الدمناتي .

— ورسالة رابعة عن ابي الربيع الى أمير طرابلس ، في كناشة ولد باعثها : الامير عبد السلام العلوي (52) .

— ورسالتين تبادلها السلطان الحسن الاول ، والخواكان العثماني عبد الحميد الثاني ، وهما — معا — في كناشة العباس بن محمد ابن عبد الرحمان الفيلاي الحجرتي (53) .

— وقطعة مهمة من ترجمة ابي اسحاق ابراهيم التادلي الرباطي ، دونها بقلمه ، واثبت نصها — في كناشته — محمد بن عبد القادر فرفرة الرباطي .

— لائحة بكناشة الاديب الفاسي علال بن احمد ابن شقرون ، في تفرد أساتذته وما درس اليهم .

— مشيخة ابي العباس احمد بن قاسم جسوس الرباطي :  
في كناشته .

— نص اجازة من الحاج الطيب بن احمد الحسني الودغيري  
الشهير بالسفياني ثم الفاسي ، الى الباي التونسي محمد الناصر في  
الطريقة التجانية ، وتحمل تاريخ 23 جمادى الاولى ، عام 1338 هـ \  
( 1920 م ) ، حسب كناشة ابي العباس احمد النمشي .

وستكون الاجازة التونسية آخر هذه النصوص القصيرة ، ليأتي  
— بعدها — نماذج من نقل بعض الكناشات — مباشرة — عن مؤلفات  
تختفي الان من الخزائن المغربية فيما يعرف .

ومن ذلك ارجوزة محمد بن يحيى العزفي في مآثر السلطان المريني  
ابي عنان .

ثم رسالة في الوباء لمحمد بن احمد المشتهر بالحاج الزموري ، من  
اهل المائة الهجرية التاسعة .

ثم كتاب يمن النوال في وصف النعال لابي العباس احمد بن علي  
السوسي البوسعيدي .

وثلاثة هذه الموضوعات وردت مقتبسات منها في كناشة ابي عبد  
الله محمد بن ابي السعود الفاسي .

وبعد هذا سنلتقي بالافادات الادبية من المجموعات التالية :

— كناشة محمد بن قاسم الزجاجي الفاسي ، وهي ملأى بالتصانيد  
والمقطعات لادباء العصر السعدي ، فضلا عن اشعار — ولو انها قليلة —  
من الفترة الوطاسية ، وبعض هذه الادبيات لا يعرف الا من خلال هذه  
المجموعة ، وسنعرف ان هذه المجموعة في حوزة الاستاذ الكبير محمد  
الفاسي الفهري .



— طائفة مهمة من اشعار محمد بن سعيد السوسي المرغيتي ،  
ضمن كناشته .

— مجموعة من شعريات ابي عمران موسى بن محمد المكي بن  
موسى الناصري ، وهي تطفئ على كناشة قريبه : عبد الله بن ابي بكر بن  
علي بن يوسف الناصري .

— ديوان شعر محمد بن محمد بن عامر التادلي ثم المعداني ، في  
مفتاح كناشته .

— مجموعة تهاني وما اليها مرفوعة الى السلطان العلوي ابي  
زيد بن هشام من جهة شعراء فاس ومكناس ، وتضمها كناشة بخط بارع .

— مجموعة الاشعار المقدمة الى عامل فاس اوائل العهد  
الرحماني : الطيب بن محمد البياز الانصاري ، وكان رئيسا ممدحا  
— بالمعرب والزجل — من طرف شعراء فاس ، حيث تجمع ذلك كناشة  
تحتوي — ايضا — على مراسلات بين نفس الممدوح وبعض اعيان  
الحرمين الشريفين .

— كناشة بخطوط ثلاثة من الاشراف البلغيثيين الفاسيين ،  
ويقلب عليها اشعار احمد بن الطاهر البلغيثي ، ومنها قصيدة بمناسبة  
ورود الراية المهداة الى السلطان الحسن الاول من المدينة المنورة ،  
وقصيدة أخرى في الثريا المقدمة من الجهة الحسنية الى مقام الامام  
ادريس الثاني بفاس عام 1294 هـ ، هذا الى قصيدتين لعبد السلام الزموري  
في موضوع اعتقاله في سجن مصباح بمراكش .

وهذه كناشة ثامنة تضم قصائد معربات وزجليات ، مما رفع الى  
السلطان الحسن الاول او عاهل فاس : عبد الله بن احمد السوسي ،  
ويقلب على اشعارها أسماء أدباء من مكناس وما اليها .

وكناشة تاسعة للحاج العربي المشرفي بها ديوان شعره .

ونختم عرض هذه المجموعات الادبية بالاشارة الى كناشة الاديـب المعاصر محمد بن يحيى الصقلي ، وهي — بدورها — تحتفظ بنبذة من أشعاره .



ومن الكناشات السياسية : كناشة عبد القادر بن محمد الهرزوم التطواني كاتب السلطان العلوي محمد الثالث ، وكناشتان للطبيب بوعشرين وزير السلطان محمد الرابع ، وكناشة الامير العلوي المولى العباس بن عبد الرحمان ، وكناشة السفير الحاج محمد بن الطاهر الزبدي الرباطي ، وقد أفاد من الاخيرتين المؤرخ محمد داود في « تاريخ تطوان (54) » بمناسبة عرض ما جريات الحرب الستينية ، كما علمنا — سلفا — ان الاستاذ جرمان عياش أفاد من احدي كناشتي بوعشرين في دراسة منشورة .

والان نشير الى ان الكناشة الاخرى للطبيب بوعشرين كانت غير معروفة حتى كشفت عنها مناسبة قريبة ، ولهذا سيكون من المرغوب فيه القاء نظرة — ولو سريعة عليها — للتعريف بها .

ويلاحظ — في البداية — ان هذه الكناشة الجديدة تتراوح تواريخها ما بين عام 1276 الى عام 1281 هـ .

ومن هنا يتبين انها تمثل المجموعة الاولى ازاء سابقتها التي تليها في التاريخ لتعتبر مجموعة ثانية .

تشمـل هذه الكناشة الاولى على 114 ورقة متوسطة عدى الملصقات، ومن محتوياتها :

- نماذج تحركات البريد الرسمي حسب النظام القديم .
- اجراءات جمع الذعيرة الاسبانية وتسليمها .

- تقايد بمخلفات بعض القواد .
- أسماء قواد نواحي زعير ، ودرعة ، وزمور ، والاخماس ، وغمارة ، والريف ، وبني زروال .
- عملية احصاء المزروعات بشرق مدينة فاس .
- تقايد امكاس الموازين والابواب .
- تقايد امكاس ديوانتي الصورة وطنجة .
- ذكر احصاء الاملاك المكراة ، ليوخذ من ملاكها الشهر الاخير من السنة على قدر مستفاداتها ، وجاء في هذا الصدد أسماء مدن فاس . وتازا ، وازمور ، وشفشاون ، والبيضاء ، ومكناس . ويلاحظ هنا ان هذه الضريبة وقع التفكير فيها من ذلك العهد ، دون ان يقع اجراء العمل بها آنذاك .
- ونتابع تقديم محتويات الكناشة ، ومنها : « تقايد شكايات الاجانب وتصرفات نوابهم .
- تقديرات تجار فاس بشأن النسبة المئوية التى تؤدى على السلع بالمراسي .
- تقدير من نحو ما قبله لمحمد الخطيب .
- تقايد السلاح الوارد من طنجة مع حاجيات اخرى للجيش .
- حاصلات الحبوب من قبيلتي سفيان وبني مالك بالغرب .
- تقايد الاعشار المحوزة من الغرب .
- تسجيل الاملاك المخزنية بمدينة مكناس .
- بيان المقادير المتجمعة من بيت المال الكبير .
- ما تدفعه قبائل الحوز من القمح الى المراسي .

- رسالة في موضوع رفع الحظر عن تسويق الصوف والحبوب الى الخارج .
- ما بيعت به امكاس واعشار الابواب بالرباط وسلا .
- لائحة بأسماء الاصول والفروع للقبائل النازلين شرق مدينة فاس .
- لوائح بأسماء المسجونين .
- اسماء امناء المراسي المغربية الثمانية ، مع تصنيفهم في طبقتين : اولى . وثانية .
- تفاصيل عن السلف المحوز من تجار الانجليز .
- اسماء وكلاء المغرب بمصر .
- لائحة بمدافع المراكب والابراج بمدينة العرائش .
- لائحة بما وجد بمدينة ازموار من المدافع والبارود .
- فروع قبائل الدير بالجنوب المغربي الغربي .
- تقييد اميالغ النقدية الموجهة الى سكان قلعية تعويضا عن قيمة املاكهم عام 1380 هـ ، ( بعد ما سلمت الى الاسبان ) .
- احصائيات مزروعات احوز .
- لائحة عسكر تازا : القديم والحديث .
- تقييد شكايات المسجونين بسجن القصبة بالرباط عام 1281 هـ .
- تلك اهم محتويات هذه الكناشة التي لا تزال بحاجة الى بحثها في دراسة مستقلة .

\* \* \*

والان نشير الى ان هذه الكناشات يتوفر المغرب منها على رصيد مهم (55) ، موزع بين الخزائن الخاصة والعامة ، ونحاول هنا أن نعرض

نماذج منها مما هو محفوظ بالخزانة العامة والمكتبة الملكية ، او ضمن بعض المجموعات الخصوصية .

1 - ونذكر - اولا - اقدم كناشة مغربية باقية ، وهي الكناشة الزجالية ، التي دونها محمد بن قاسم الزجالي الفاسي ، المتوفى عام 1072 هـ \ 1662 .

وتبدو اهمية هذه المجموعة اذا لاحظنا ان ترجمة صاحبها لا تتعدى بضعة سطور (56) ، غير ان هذه الكناشة تسد بعض الفراغ في حياته ، فتذكر أساتذته وأدبه ، وتشير لرحلته الدراسية الى القاهرة .

والاهم من هذا ان المجموعة تنعكس فيها أسماء وآثار كثير من ادباء العهد السعدي ، وبالإضافة الى ادبيات صاحبها ، نقرأ بها مجموعة من الاشعار في اغراض متنوعة ، حسب الاسماء التالية :

— أبو العباس أحمد ابن القاضي مؤلف جذوة الاقتباس وغيرها .

— محمد بن الزبير الجذميوي .

— عبد العزيز الفشتالي

— ولده محمد .

— عبد الوهاب الفاسي .

— عبد الواحد ابن عاشر .

— الاخوان محمد وأحمد ابنا عبد الواحد الحسني ووالدهما .

— محمد الوجدي .

— علي بن الزبير .

— أبو العباس المقري .

— قاسم بن محمد الوزير الفساني .

— محمد بن يوسف ابن رضوان النجاري .



- محمد المكلاطي .
- احمد بن محمد بن بكار .
- محمد الهوزالي .
- الحسن المسفيوي .

هذا فضلا عن أشعار — ولو أنها قليلة — من الفترة الوطاسية .  
ومن الجدير بالملاحظة أن بعض أشعار هذه المجموعة لا تعرف  
— لحد الآن — الا من خلال ما دونه الزجالي .

تشمل هذه الكناشة على 96 ص في حجم صغير ، وهي في حوزة  
الاستاذ الكبير محمد الفاسي الفهري .

2 — الكناشة القادرية ، من جمع محمد العربي بن الطيب القادري  
الحسني الفاسي ، المتوفى عام 1106 (57) هـ / 1694 م .

وهي كناشة مهمة نوه بها عدد من المؤرخين ، ابتداء من محمد بن  
الطيب القادري (58) : وكان له كناش فيه تعايد بخط يده جيدة مفيدة  
غريبة ، وفي تعبير محمد بن جعفر الكتاني (59) عند تعداد أوضاع المعني  
بالامر : وكناش جمع فيه غرائب العلم وشوارده ، أعجب به الناس ،  
وكتبوا منه عدة نسخ ، وقد علق على هذا الموضع من سلوة الانفاس  
انسورخ المرحوم عبد الحفيظ الفاسي الفهري ، وكتب — بخطه — عن هذا  
الكناش القادري ومصيره : « وقفت عليه ، وهو — اليوم — في ملك  
صاحبنا : العلامة المحدث الصوفي ، ابي عبد الله محمد بن ادريس  
القادري الفاسي ، المستوطن — حينه — بالجديدة ، ثم حازه والده  
انسيد ادريس ، وبعد وفاته صار الى ولده سيدي الطائع ، ولا ادري اين  
الآن ، وقد نقلت منه كثيرا من الفوائد في الانساب في كناشي الكبير  
الاول ، وقد نقل فيه وثائق مفيدة في انساب كثير من المشاهير ... » .  
وهناك مقتبسات كثيرة من الكناشة القادرية تطفئ على كناشتين  
بالمكتبة الملكية رقم 2389 — 2774 .

3 — الكناشة الفاسية : أكثرها بخط ابي عبد الله محمد بن عبد  
القادر الفاسي الفهري ، المتوفى عام 1116 هـ (60\1704 م ، وقد اشير

— سابقا — الى مقتبساتها من ثلاث مؤلفات تعتبر — الان — غير معروفة ،  
وزيادة على ذلك تشتمل الكناشة على فوائد وفرائد : بعضها من خطوط  
المقري الجد ، وابن غازي ، والقصار ، وابي الحسن البطيوي ، وابي  
حامد الفاسي ، زيادة على الاقتباس من مؤلفات نادرة ، وقد وقفت عليها  
عند العلامة الجليل محمد بن ابي بكر التطواني من عام 1385 هـ / 1965 م .

4 — **الكناشة السودية** : لمحمد بن محمد بن الحاج ابن سودة  
المري ، كان يشتغل فيها عام 1122 هـ / 1710 م . ويغلب عليها  
مختارات ادبية لشعراء وكتاب معاصرين ، ومنهم محمد بن محمد  
غازي (61) الذي يقتبس المقيد من كناشته — خ . ع . د 163 .

5 — **كناشة البرنسي** : ابي سالم ابراهيم بن محمد بن ابراهيم  
البرنسي المتوفى عام 1130 هـ (62) / 1717 — 18 م ، تحتوي على  
مؤلفات صغيرة ، ونصوص اجازات لمقيدها من اشياخه : محمد بن عبد  
القادر الفاسي ، والعربي برودة ، وسعيد العميري ، وابي مدين السوسي .  
خ . ع . ك 1056 .

6 — **كناشة عبد الله الشرقي** ، كان بقيد الحياة عام  
1131 هـ (63) / 1719 م ، بها افادات متنوعة عن العصر الاسماعيلي :  
قصائد زجلية ومعربة ، وبعض الوفيات والمراسلات السياسية .  
م . م . 5958 .

7 — **الكناشة اليعمدية لابي العباس** : احمد بن الحسن بن احمد  
اليعمدي نزيل مكناس ، والمتوفى — بها — عام 1132 هـ (64) / 1720 م ،  
عامرة بالنصوص المختارة في شتى المواد والموضوعات : مغربية  
— على قلة — وغيرها ، وتعتبر اكبر كناشة معروفة بالمغرب ، والموجودة  
منها نسختان مستخرجتان من الاصل :

الاولى : جددها محمد اليعمدي — ولد جامعها (65) — برسم  
السلطان العلوي المولى عبد الله ، وهي في عشرة اجزاء بالمكتبة الملكية  
ضمن المجموعة الزيدانية : تسعة منها رقم 1034 ، والتاسع رقم 3985

أما النسخة الثانية فقد كتبت رسم السلطان المستضيء أخ العاهل قبله ، وجاءت في ثمانية أجزاء ، ثم كتبت منها نسخة أخرى للامير أبي النصر الأخ الثالث ، وجاءت في مجلدين ضخمين باسم « واسطة العقدين » ، في ترتيب الكناشين السعيدين » ، وهي بالخزانة العامة تحت رقم ك 330 ، بخط مغربي مليح دقيق .

8 - **كناشة الشرقاوية** : امحمد الصالح بن محمد المعطي بن عبد الخالق الشرقى العمرى التادلى ، المتوفى عام 1139 هـ (66) \ 1726 - 27 م ، ومن محتوياتها اجازة لجامعها من جهة ابي عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسى . م . م . 3415 .

9 - **كناشة الحافى** : ابي العباس احمد بن محمد بن عاشر بن عبد الرحمان السلوي ، المتوفى عام 1163 هـ (67) / 1749 - 50 م . خ . ع . ك 1044 .

10 - **كناشة الفيلاي** : محمد بن العربي بن احمد (68) . خ . ع . ك 911 .

11 - **كناشة الهزروم** : عبد القادر بن محمد بن محمد التطواني (69) ، كاتب السلطان العلوي : محمد الثالث المتوفى عام 1204 هـ / 1786 م ، تشتمل على وثائق عن سياسة مخدمه ، زيادة على افادات ادبية وتاريخية من العصر نفسه ، وهي بالمكتبة التطوانية بسلا .

12 - **كناشة** : صاحبها من أسرة الخطاب الدكاليين ، وكان قد اخذ عن ابي حفص عمر بن عبد الله الفاسي ، ورد ذكره بهذه المجموعة م . م . 1028 و 10 .

13 - **كناشة بنيس** : محمد بن احمد الفاسي ، المتوفى عام 1213 هـ (70) / 1799 م . وقد سبقت الإشارة الى أهم محتوياتها . خ . ع . ك 3303 .

14 - **كناشة شطير** : عبد الله بن علي الحسني التطواني المتوفى - فلنا - عام 1215 هـ / 1800 - 01 م ، وهي منتظمة في شكل تأليف

يحمل اسم « نضار الاصيل » ، على بساط الخليل » ، ومن فرائدها ان كاتبها يسجل ابتكاره لطريقة جديدة فى لعبة الشطرنج ، وطريقة اخرى ابتكرها فى لعبة الكارطة ، زيادة على طرائق قديمة وصفها : بالنسبة الى اللعبتين ، وهذه الكناشة - بخط صاحبها الجيد - من مخطوطات المكتبة الداودية بتطوان (71) .

15 - كناشة المعداني : محمد بن محمد بن عامر التادلي المتوفى عام 1234 هـ (72) / 1819 م ، وقد ذكر - سلفا - انها مصدرة بديوان شعره -  
م . م . 5601 .

16 - كناشة المنجورة : ابي بكر بن محمد بن عبد الرحمان بن ادريس الحسني الفاسي ، المتوفى عام 1240 هـ (73) / 1824 م تنفرد بجملة من الاشعار المغربية القصيرة  
خ . ع . ك 464 .

17 - كناشة الدمناتي : العربي بن محمد الفاسي ، المتوفى عام 1253 هـ (74) / 1837 م ، عامرة بالنصوص النثرية والشعرية من الاندلس والمغرب ، وبالخصوص اشعار الادباء المغاربة المعاصرين ، وخطها دقيق مدموج مليح .  
م . م . 1952 .

18 - كناشة اخرى للدمناتي ، على غرار سابقتها فى محتوياتها وخطها ، وبها رسالتان عن السلطان العلوي ابي الربيع الى باشا طرابلس الغرب ، ورسالة عن نفس العاهل الى باشا الجزائر ، وكتاب من السلطان ابي زيد بن هشام الى وكيل المغرب بمصر  
م . م . 3718 .

19 - كناشة قصارة : محمد بن العربي الحميري الفاسي ، المتوفى عام 1257 هـ (75) / 1841 م ، بها افادات مغربية وغيرها ، ومن مصادرها خط احمد بن عبد السلام بناني استاذ مقيدها ، فى خزانة خاصة بفاس .

20 - كناشة الحمومي : على دعي عللا بن محمد التهامي بن احمد الحسني الفاسي ، المتوفى عام 1259 هـ (76) / 1843 - 44 م ، ومن محتوياتها اجازة بدر الدين الحمومي الى محمد بن احمد بن الطيب البناني المراكشي (77) .  
خ . ع . ك 1531 .

21 - **الكناشة البيازية** : وهي مجموعة أدبية بها قصائد من الفصيح والزجل ، ومراسلات من بعض أعيان الحرمين الشريفين ، الى الممدح بهذه الاشعار : الطيب بن محمد البياز الانصاري عامل فاس الى عام 1260 هـ (78) / 1844 م .

ومن شعراء المجموعة : عبد القادر السلوي ، و ( محمد بن العربي ) قصارة ، ومحمد ابن ادريس العمروي ، وعبد السلام الزموري .  
م م 3665 .

22 - **كناشة ابن يحيى** : ( محمد بن محمد الطنجي ) (79) ، تشتمل على فوائد واشعار بعضها للاديب الشهير : خالد بن محمد الهادي الممري الطنجي (80) ، وهي بالمكتبة الملكية ضمن المجموعة الزيدانية رقم 2847 .

23 - **كناشة الامير** : عبد السلام بن السلطان العلوي ابي الربيع ، المتوفى عام 1261 (81) هـ / 1845 م ، وقد تبينا - سلفا - انها تحتفظ برسالة من المولى سليمان الى باشا طرابلس الغرب ، علاوة على افادات اخرى وفيرة .  
م م 4001 .

24 - **كناشة ابن ادريس** : محمد بن محمد العمروي الفاسي ، الوزير ، المتوفى عام 1264 هـ (82) / 1847 م ، مفيدة في ترجمة كاتبها وادبه ، وهي بالمكتبة الاحمدية بفاس .

25 - **الكناشة البلقيشية** : بخطوط ثلاثة من الاشرف البلقيشين الفاسيين :

- العربي بن احمد (بن علي) ، المتوفى عام 1271 هـ (83) / 1854 م .
- وابنه ابي العباس احمد ، المتوفى عام 1307 هـ (84) / 1889 م .
- ثم محمد بن الطاهر بن احمد النسب (85) .

بها مقدييات عن تنقلات السلطان الحسن الاول ، وبعض احداث عصره ومهد السلطان العزيز ، مع اشعار عديدة : للعربي البلقيشي وعبد



السلام الزموري ، ولاحمد بن الطاهر البلغيثي مقيدة بخط محمد الطاهر ابن احمد آنف الذكر .

وقد اشير - سلفا - الى بعض موضوعات هذه الكناشة المحفوظة بالمكتبة الاحمدية بفاس .

26 - **كناشة المنجرة** : احمد بن أبي بكر الحسني الفاسي ، المتوفى عام 1271 هـ (86) / 1855 م . خ . ع . ك 546 .

27 - **كناشة ابن الحاج** : محمد الطالب بن حمدون السلمي المرادسي الفاسي ، المتوفى عام 1273 هـ (87) / 1857 م ، بالمكتبة الملكية ضمن المجموعة الزيدانية رقم 3063 .

28 - **كناشة** : بها مجموعة من الاشعار المديحية المرفوعة الى السلطان العلوي عبد الرحمان بن هشام ، المتوفى عام 1276 هـ / 1859 م بالمكتبة الاحمدية بفاس .

29 - **كناشة القادري** : محمد الطيب بن عبد السلام بن عبد الله الخياط بن محمد بن علال الحسني الفاسي ، قيم خزانة جامع الرصيف بفاس في العهد الرحماني (88) ، وورد اسمه بالكناشة ص 213 و 218 و 235 و 265 ، وهي عامرة بالمقائدات المغربية وخصوصا في الانساب (89) ، وبها مقيدات اخرى بخط محمد بن محمد بن العربي الزعري المباركى ثم الفاسي (90) ، وورد اسمه ص 87 و 365 . خ . ع . ك 1574 .

30 - **كناشة الفرديس** : عبد العزيز (91) ، بها احداث وتراجم واشعار مغربية . خ . ع . ك 1081 .

31 - **كناشة ابن سودة « النحول »** : محمد بن محمد بن علال المري الفاسي ، المتوفى عام 1285 هـ (92) / 1868 م ، افادات مغربية نادرة ، وهي بالمكتبة الاحمدية بفاس .

32 - 33 - **كناشتان لابي عشرين** : محمد اطيح بن اليماني الانصاري المكناسي الوزير ، المتوفى عام 1286 هـ (93) / 1869 م ،

وقد اشير لمحتو محتواهما سابقا .

34 - كناشنة السريفي : احمد بن عبد السلام العلمي الفاسي :  
المتوفى عام 1294 هـ (94) / 1877 م ، بها نقول من خط علي بن ادريس  
قصاره ، واجازات لابي القاسم بن احمد بن محمد بن عبد القادر الفاسي  
الفهري . خ . ع . ك 1182 .

35 - كناشنة السريفي : محمد بن المعطي المراكشي ،  
المتوفى عام 1296 هـ (95) / 1878 م . خ . ع . ك 491 .

36 - كناشنة ابن جلون : محمد المدني بن علي الملقب بالكومي  
الفاسي المتوفى عام 1298 هـ (96) / 1880 م - خ . ع . ك 29 .

37 - كناشنة ثانية له ، وبها وردت وصية ابي حامد الفاسي  
لاولاده لما رحلوا للدراسة بفاس ، وقد اشير لها سابقا .  
خ . ع ، ك 2676 .

38 - الكناشنة الناصرية : لعبد الله بن ابي بكر بن علي بن  
يوسف الناصري التمكروتي (97) تغلب عليها الادبيات وبالخصوص اشعار  
قريب جامعها : ابي عمران موسى بن بن محمد المكسي بن موسى  
الناصر (98) ، مع جملة من اشعار المقرئ مؤلف النفح ، منها نسخة  
عند بعضهم ، واخرى بالمكتبة الملكية ضمن المجموعة الزيدانية رقم 2845 .

39 - كناشنة ادبية ، بها قصائد معربة وزجلية يغلب عليها طابع  
المديح في السلطان الحسن الاول ، او عامل فاس : عبد الله بن احمد  
السوسي ، وبها منظومتان في تعداد مراحل زيارة نفس السلطان الى  
الحوز : ( طويل ) ، والى مراكش ( رجز ) ، وناظمهما مع الزجلية غير  
مذكور .

اما القصائد المعربات فاغلب شعرائها من ادباء مكناس : محمد ابن  
المعطي ، المزطاري ، والتهامي المزوار ، واحمد العرائشي ، ومحمد ابن  
عزوز ، والطاهر بوحدو على لسان قاضي مكناس ابي العباس احمد ابن  
سودة ، ومن مدينة زرهون : الفاطمي الادريسي الشبيهي ، والهاشمي  
الزاوي ، عدد اوراق هذه المجموعة 114 . خ . ع . د 267 .

40 - 41 - **كناشتان** لابي حامد العربي بن محمد بن محمد  
السايع الشرقاوي العمري نزيل الرباط ودفينه ، المتوفى عام  
1309 هـ (99) / 1892 م ، وهما معا - بالخزانة العامة بالرباط :  
الاولى بحطة رقم ج 147 ، والثانية مستخرجة من سابقتها رقم ج 139 .  
42 ، 43 ، 44 ، 45 - **كناشات اربعة** : للعباس بن الفقيه  
محمد بن عبد الزحمان الفيلاي الحجرتي ثم الفاسي ، المتوفى عام  
1311 هـ / 1893 م وجميعها خافلة بالمعلومات المتنوعة ، مع اهتمام  
زائد بتقييد الافادات النادرة ، وتسجيل وفيات المتأخرين من فاس  
ومبا اليها .

خ . ع . د : 3634 - ص 685  
خ . ع . د : 3747 - ص 218  
خ . ع . ك : 70 - ص 378  
خ . ع . على الشريط : رقم 1299

46 ، 47 - **كناشتان** : للحاج العربي بن عبد القادر المشرفي  
الحسني نزيل فاس ، المتوفى عام 1313 هـ (100) \ 1895 م .  
خ . ع . ك 204 ر 471

48 - **كناشة الصقلي** : محمد بن احمد الحسيني الفاسي ،  
المتوفى عام 1316 هـ (101) / 1898 م .  
خ . ع . ك 480

49 - **كناشة ابن فقيرة** : عبد الواحد بن محمد الانصاري  
المكناسي ، المتوفى عام 1317 هـ (102) / 1899 م . بها مقببات  
واشعار مغربية قصيرة ومطولة أغلبها لادباء القرن الثالث عشر هـ .  
خ . ع . د 158 .

50 - **كناشة اخرى** له ، اصغر من الاولى - خ . ع . د 157

51 - **كناشة ابن شقرون** : علال بن احمد ابن شقرون لكريمي  
الفاسي ، المتوفى عام 1319 هـ (103) / 1901 م ، وقد علمنا - سلفا -  
انها تشتمل على تعداد اساتذة كاتبها ومقروآتة عليهم .  
خ . ع . ك 469

52 - كناشة الرشيدى : ابي العباس احمد بن محمد الرشيدى  
المكناسى ، المتوفى عام 1319 هـ (104) / 1902 م .  
خ . ع . ك 1068 .

53 - كناشة تداولها اديبان من مكناس : محمد بن محمد بن  
محمد بن العناية بن فقيرة الانصاري (105) ، ثم محمد التهامي بن المهدي  
المزوار المتوفى بعد عام 1320 هـ (106) / 1902 - 03 م ، ومن  
محتوياتها قصيدتان للمذكورين بمناسبة مأساة تطوان ، بخط ناظييهما .  
خ . ع . د 3736 .

54 - كناشة ابن سودة : ابي العباس احمد بن الطالب المري  
المتوفى عام 1321 هـ (107) / 1903 م .  
خ . ع . ك 473 .

55 - كناشة جسوس : ابي العباس احمد بن قاسم الرباطي ،  
المتوفى عام 1331 (108) / 1912 م ، ضمنها مشيخته بتوسع ، وقد  
وقفت عليها لدى ابن اخي مقبدها : الاريجي المفضل ، الحاج قاسم  
جسوس .

56 - كناشة المنونسي : محمد السعيدى بن محمد بن المهدي  
المكناسى ، المتوفى عام 1334 هـ (109) / 1916 م ،  
خ . ع . ك 2803 .

57 - كناشة الادوزي : ابي فارس عبد العزيز بن محمد  
السوسي اليعقوبي ، المتوفى عام 1336 هـ (110) / 1918 م ، وهي  
مصورة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 88 .

58 - كناشة اسرة الخصاصيين الفاسيين ، ابتداها محمد بن  
عبد الرحمان الخصاصي المتوفى عام 1343 هـ (111) / 1925 م ، ثم  
تابع التقييد بها ابنه عبد الكبير وحفيده ، وتشتمل على وفيات من فاس  
ابتداء من اواخر القرن المنصرم حتى منتصف هذه المائة الهجرية الجارية،  
ولا تزال هذه الكناشة لدا اسرة مقبديها .

وتعد امتدادا لتقاليد بعض الشهود فى تسجيل الوفيات والاحداث ،  
وفق ما اشار له محمد بن احمد ميارة كما رأينا ضد مبادئ هذه  
الدراسة ، مع التنبيه على ان المقيدىن بهذه المجموعة كانوا ثلاثتهم  
يظلمون بتقدير فرض النفقات بفاس .

59 - كناشة الشراذى : الفاطمى بن محمد الفاسى ، المتوفى  
عام 1344 هـ (112) / 1925 م . خ . ع . ك 499 .

60 - كناشة الصقلي : محمد بن يحيى بن رشيد الحسينى  
الفاسى ، المتوفى عام 1354 هـ (113) / 1935 ، بها جملة من اشعاره .  
خ . ع . ك 1555 .

61 - كناشة البطاوى : ابى حامد محمد المكى بن محمد بن على  
الشرشالى الحسنى الرباطى ، المتوفى عام 1355 (114) / 1936 م ،  
بالمكتبة الملكية ضمن المجموعة الزيدانية رقم 2857 .

62 ، 63 - كناشتان : لابي بكر بن عبد الهادى الشنتوفى  
السلامى ، المتوفى عام 1355 هـ (115) / 1936 م .

المجلد الاول منها بالخزانة العامة رقم ج 917 ، ابتداء كتابته  
- بخطه الاثيق - عام 1327 هـ \ 1909 م ، وهناك مجموعة اخرى -  
بخطه .. بالمكتبة الصبيحية بسلا .

64 - كناشة الرافعى : محمد بن احمد الازمورى ثم الجديدى ،  
المتوفى عام 1360 هـ (116) / 1941 م . خ . ع . ك 1198 .

65 - كناشة ابن على الدكالى : محمد بن محمد السلامى ،  
المتوفى عام 1364 هـ (117) / 1945 م ، وهي مصورة على الشريط  
بالخزانة العامة رقم 36 .

66 ، 67 - كناشتان لفرقة : محمد بن عبد القادر الرباطى ،  
المتوفى عام 1371 هـ (118) / 1952 م ، عامرتان بالمعلومات النادرة عن  
تاريخيات الرباط فى هذه المائة الجارية والمائة قبلها ، واغلب ذلك  
منقول من خط المؤرخ محمد بن محمد بن على الدكالى او من مقيّدات



اعلام الرباط ، وقد اطلعت على الكناشتين معا لذا العلامة الجليل محمد ابن بو بكر التطواني ، من عام 1374 هـ / 1955 م .

68 ، 69 - كناشتان لمحمد بن عبد الله المراكشي نزيل سلا ، حافظتان بالمقتبسات من نوادر المؤلفات ، ومن خط المؤرخ محمد بن علي الدكالي .  
خ . ع . ج 88  
خ . ع . ج 91 - ص 278

70 ، 71 ، 72 ، 73 - كناشات اربعة : لابي الفضل عباس ابن ابراهيم المراكشي المتوفى عام 1378 هـ (119) / 1959 م ، ويغلب عليها تلخيص المخطوطات التاريخية : كبيرها وصغيرها ، مع تسجيل الافادات والانشادات ، وقد وقفت عليها عند المؤرخ محمد بن بوبكر التطواني .

74 - كناشة ابي الفضل عبد الحفيظ بن محمد الطاهر الفاسي الفهري المتوفى عام 1383 هـ (120) / 1963 م ، اطلعت عليها لدى العلامة التطواني .

75 ، 76 ، 77 - كناشات ثلاثة : لابي العباس احمد بن محمد النيشي الحسني الفاسي ، المتوفى عام 1386 هـ (121) / 1966 م ، واحدة منها بالخزانة العامة رقم ك 351 مكتوب منها اوائلها ، واثنتان في خزانة خاصة بفاس ، وبهما مقتبسات من المخطوطات مع تسجيل مشاهدات ووفيات محلية .



وستكون هذه المقيدات النيشية آخر نماذج الكناشات المغربية التي تقدمها هذه الدراسة ، وفي دراسة مقبلة نعرض - بحول الله سبحانه - نماذج جديدة من هذه الكناشات ، وبالخصوص ما لا يزال منها محفوظا بالخزانات الشخصية ، والله - سبحانه - ولي التوفيق .

محمد المنوني

الرباط

## التعليق

(1) جاء عند البلوي في كتاب « الف با » : ( وما رأيت أحدا ممن لقيت من أهل الأفاق ، إلا وله تعاليق وأوراق ، تحتوي على حكايات وأشعار ، ورسائل وأخبار ) ، المطبعة الوهية بالقاهرة - ج 1 ص 39 .

ومن نماذج التذكريات الاندلسية المذكورة : ( حانوت عطار ) لابن شهيد ، الاديب الاندلسي المعروف ، حسب الحميدي في ( جلوة المقتبس ) ، نشر السيد عزت المطار - ع 232 .

ثم الكتاب المظفري ( للمظفر صاحب بطيوس ، ويقول عنه ابن الأبار : ( وله التصنيف الرائق ، والتأليف الفائق ، المترجم « بالتذكرة » ، والمشتهر اسمه - أيضا - « بالكتاب المظفري » في خمسين مجلدا ، اشتمل على فنون وعلوم : من مغاز وسير ، ومثل وخبر ، وجميع ما يختص به علم الادب ابقاه للناس خالدا ) ، التكملة طبع مجرط - ع 451 .

وفي ترجمة أبي القاسم بن بشكوال يقول ابن الأبار عند تعداد اوضاعه : ( وكتاب الفوائد المنتخبة ، والحكايات المستغربة ) ( في عشرين جزءا ) ، نفس المصدر والطبعة - ع 179 .

ومن التذكريات الاندلسية الباقية « في نسخة خاصة » : قطعة من مقيدات يذكرها صاحبها - ص 44 - باسم ( الدفتر ) ، وأغلبها بخط أندلسي يبدو من مقارنته أن كاتبه هو الوادياشي البلوي : احمد بن علي بن احمد الاندلسي نزيل تلمسان ، ووليد ابن غازي ومن في طبقته .

وهي تبتي بمقامة في ذم الجزيرة الخضراء ( وطريف ) ، سميت في آخرها - ص 10 - « طرفة الطريف » في أهل الجزيرة و ( طريف ) ، غير أنها مبتورة الاول ، ولذلك لم يعرف اسم مؤلفها الذي قد يكون مغربيا .

ثم يغلب على المجموعة - بعد هذا - تسجيل الافادات والانشادات ، وضمنها مقتبسات من رحلة ابن رشيد : « ملء العيبة ... » ، فيها معلومات قليلة عن ترجمة ابن الصلاح ، وافادات كثيرة عن ترجمة ابن دقيق العيد .

الى اقتباس من كتاب « الدرة المكنونة » ، في محاسن اسطبونة ؟

ومن كتاب الاحاطة للسان الدين ان الخطيب .

مع بعض اشعار صاحب التذكرة .

وسوى هذا تشتمل المجموعة على مقيدات مهمة بخط مغربي ، كاتبه من تلاميذ القاضي الحميدي ص 73 .

بها 100 ص ، مسطرة مختلفة ، مقياس 210 / 150 سم .

ومن المغرب الاوسط نذكر كتاب « حاطب ليل » ، لابن أبي حجلة التلمساني نزيل دمشق ثم القاهرة ، قال ابن حجر العسقلاني : « عمله كالتذكرة في مجلدات كثيرة » ، « انباء الفجر » - ج 1 ص 82 مع « الدرر الكامنة » ج 1 ص 330 .

واذا كانت هذه التذكرة الجزائرية لا يعلم - الان - مصيرها ، فان « كناشتين » من نفس الجهة لا تزالان معروفتين ، وهما - معا - لقاضي تلمسان : شعيب بن علي ابن محمد البوبكري الجليلي ، المتوفى عام 1347 هـ / 1928 م ، وقد سجل في المذكورين مقيدات في أغراض شتى ، وفي ذلك بعض الاجراءات السياسية بالجزائر في عصر صاحب الكناشتين ، المحفوظتين بالخزانة العامة رقم ك : 45 و 48 ،

وانظر من ترجمة الجليلي وبعض مراجعها : رضا كعالة في « معجم المؤلفين »  
ج 4 ص 302 .

وننتقل من الجزائر الى تونس لنشير الى كناشة الاديب المؤلف المؤرخ : محمد  
- بفتح أوله - بن القاضي الحاج عثمان بن الشيخ محمد بن قاضي تونس محمد  
السنوسي اسما ، المعروف بابن مهنية ، الكافي ثم التونسي ، المتوفى - بها -  
عام 1318 هـ / 1900 م .

ولحسن الحظ فان هذه الكناشة لا تزال بقيد الوجود ، باسم : « الكشكول . في  
محاسن القول » ، بها مجموعة من الاشعار التونسية ، واجازات لجامعها من عدة  
اعلام تونسيين وشرقيين ، ومن الصحراء ، الى افادات اخرى مهمة .

تشتمل على 343 ص ، في مقياس 310 / 225 سم ، وخطها تونسي متوسط  
سريع ، يتخلله تشطيب على طول عدد من الصفحات .

وهي بالخزانة العامة رقم ك : 193 .  
اما صاحب الكناشة فهو محرر جريدة ( الرائد ) التونسية ، ومؤلف « مسامرات  
الظريف » ، ورحلة « الاستطلاعات الباريسية » .

ومن الجدير بالملاحظة ان ترجمة المعني بالامر خالية من ذكر هذه الكناشة ، في  
مصادرها التونسية ، وعند الزركلي في « الاعلام » ج 7 ص 145 - 146 .

(2) هناك لائحة مطولة لهذه التذكرات : في ( كشف الظنون ) ج 1 من عمود 383 الى ع  
394 ، مع ( ابصاح المكنون ) في الدليل على كشف الظنون ) ج 3 من ع 271 الى  
ع 277 ، حسبانشور ( مكتبة المثنى ) ببغداد .

وبالنسبة الى تذكرة ابن حمدون : توجد منها نسخة عتيقة في مدرسة فاضلخان  
بايران ، بعنوان تذكرة الاديب ، وقد طبع قسم منها بمصر ، حسب ذيل كشف  
الظنون ) ، للشيخ آغا بزرك الطهراني ، وهو ملحق بالجزء السادس من طبعة المثنى  
الانفة الذكر - ص 30 .

وفي دار الكتب المصرية توجد بضعة اجزاء من تذكرة ابن حمدون ، ويتوزع  
وصفها بين الفهرس القديم للدار ج 3 ص 58 ، وفي فهرسها الجديد بعنوان  
( فهرسة المخطوطات ) ج 1 ص 147 . وفي المغرب يوجد منها - بالخزانة العامة -  
مجلد ضخيم يحمل رقم ج 72 ، في 604 ص بخط شرقي عتيق ، والمجلد مبتور الاول ،  
ويبتدي من الخطبة النبوية الكريمة حين تزويج السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ،  
الى ان يقف على باب الكناية والتعريض ...

وبدار الكتب المصرية - ايضا - توجد خمسة اجزاء من تذكرة الصفدي : الثاني  
والثالث عشر والرابع عشر والثاني والخمسون ، وجزء مبتور الطرفين ، حسب  
الفهرس القديم لدار الكتب المصرية ج 3 ص 59 .

اما تذكرة ابن مكتوم فهي من خمس مجلدات ، وفيها تراجم نحات كثيرة ، حسب  
السيوطي الذي صنفها بين مصادر بغية الوعاة ص 3 ، وذكر معها تذكرة اليفموي ،  
وقال : انها في ست مجلدات : ثلاثة بمكة المكرمة وثلاثة بالقاهرة بخط جامعها .

- (3) هناك ( الكناش ) فى العلوم والنحو وغير ذلك ، للملك المؤيد ابي الفداء صاحب حماة ، ( ابصاح المكنون ) ج 4 ص 384 .
- (4) ( تاج العروس ) منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت ج 4 ص 347 .
- (5) ( ملحق المعاجم العربية ) لدوزي ، الطبعة الثالثة ، باريس ، سنة 1967 - ج 2 ص 294 .
- (6) ( نفاضة الجراب ) تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادي ، نشر دار الكاتب العربي بالقاهرة ص 187 - 188 .
- (7) ما له من الشرح على دلائل الخيرات للجزولي ، خ. ع. ك : 1532 - ص 113 .
- (8) ج 12 ص 177 .
- (9) يوجد هذا الكناش مخطوطا لدى البعض ، وبالخزانة العامة نسخة اخرى منه : ك 1385
- (10) فهرستا المنجور فى نسختين مخطوطتين ، غير ان كبراهما نسخة اصيلة فى حوزة الاستاذ الكبير محمد ابراهيم الكتاني .
- (11) المصدر الاخير .
- (12) تعدى ابن غازي هذا الاتجاه الى ما يسجله عنه البوسعيدي فى كتابه : « بذل المناصحة » ، وهو يقول فى هذا : « اخبرني سيدي علي بن بلقاسم البطيوي قال : بلغنا ان الشيخ ابن غازي قد عين بعض اصحابه ان يكتب له كل ما جرى فى البلد وما قال وقيل من خميس الى خميس ، فيطالع ذلك ، ويكون ذلك يوم الخميس الذي تفرغ فيه من التدريس » ، نقله فى « التراتيب الادارية » ج 1 ص 364 ، ثم فى « اتحاف اعلام الناس » ج 4 ص 4 ببعض تصرف .
- (13) الكبرى والصفرى .
- (14) مطبعة المعاهد بالقاهرة على هامش الديباج المذهب لابن فرحون - ص 361 .
- (15) جاء فى مدخل بعض النسخ المخطوطة من « نيل الابتهاج » زيادات على افتتاحية المطبوعة ، حسب مخطوطتي المكتبة الملكية رقم 1896 و 4206 ، فبعد ما ذكر تاليف الديباج المذهب لابن فرحون قال :
- « ... فما زالت نفسي تحدثني من قديم الزمان ، وفى برهة من الاوان ، باستدراك بعض من فاته ومن جاء بعده من الاعيان ، فقيدت فيه بحسب المنة والامكان ، وذلك حين كنت ببلدنا البعيدة عن نيل المقصد من ذلك لبعدها من مدن العلم والاطوان ، فقصر بي الحال مع قلة الكتب هناك وعدم مساعدة الزمان ، حتى تفضل من له الفضل ، واحسن الي من له الطول ، سبحانه ، بوصولي الى منبع العلم فى الديار الغربية : حضرة الامامة العلية ، المولوية الهاشمية ، الاحمدية المنصورية ... فرأيت اسباب السعادة بها متيسرة ، وازمة الاماني فيها مبذولة غير متعسرة ، ونشدت الضالة فوجدتها اقرب الي من ظلي ، وظفرت بما يكمل مرادي ونلت املتي ، فبادرت - حينئذ - الى كتب ذلك الدليل » .
- (16) « المطبعة الفاسية » ، الملزمة 47 ص 8 .

- (17) « المطبعة الفاسية » عام 1304 هـ - الملزومة 2 ، ص 3 .
- (18) ( صفوة من انتشار ) ط. ف. - ص 18 ، مع ( نشر المثنائي ) ط. ف. - ج 1 ص 67
- (19) محمد الطالب ابن الحاج : اول « حاشية شرح مياره على المرشد المعين » ، ط. ف. - الملزومة الاولى ، ص 4 .
- (20) له « كناشة » بالخزانة الفاسية بفاس ، حسب « دليل مؤرخ المغرب الاقصى » ، رقم 2150 .
- (21) ميارة في كتابيه : « الدر الثمين » ، مطبعة محمد علي صبيح بالقاهرة - ص 89 ، مع مخطوط « نظم اللثالي والدرر » ، في اختصار مقدمة ابن حجر » ، خ. ع. ك 931 عند الفصل الاول .
- (22) « صفوة من انتشار ر ط. ف. - ص 71 .
- (23) « المحاضرات » ط. ف. - ص 59 ، ونقله في « نشر المثنائي - ج 1 ص 182
- (24) له « كناشة » افاد منها الافراني ، وذكرها ضمن مصادر كتابه : « صفوة من انتشار » ط. ف. - ص 228 .
- (25) له « كناشة » افاد منها محمد المختار السوسي في كثير من ادبيات صاحبها ، بمناسبة ترجمته بكتاب « المعسول » - ج 10 ص 187 - 198 ، وفهرسته الكبرى هي - بدورها - اشبه بالكناشات منها ببرنامج الاشياخ ، ولهذا يسميها « بالعوائد المزرية بالموائد » ، ولا تزال مخطوطة .
- (26) محمد داود في تاريخ تطوان - ج 6 ص 208 .
- (27) انظر دليل مؤرخ المغرب الاقصى : ارقام : 2159 د 2161 د 2165 د 2168 د 2179 د 2195 ، مع ص 462 .
- وانظر عن كناشات الانوزي محمد المختار السوسي في : « سوس العالمية » - ص 205 ، و « المعسول » ج 5 ص 72 د 88 ، مع « خلال جزولة » ج 1 ص 118 . وانظر - ايضا - لائحة الكناشات الواردة بهذه الدراسة .
- (28) « تبصرة الحكام » ، مطبعة التقدم العلمية على هامش الفتاوي العليشية - ج 1 ص 59 ، ونقل كلام التبصرة ابو العباس الهلالي فيما له من الشرح على المختصر الخليلي - ص 124 ، غير أنه تصحف عنده ابن فرحون بابن هارون ، حسب الطبعة الفاسية لنفس الشرح عام 1292 هـ .
- (29) ص 228 .
- (29) مكرر « نشر المثنائي » المخطوط ، خ. ع. ك 2253 - ج 1 ورقة 80 . ا 6 هند ترجمة المولى عبد الله بن طاهر الحسني .
- (30) « نشر المثنائي » المطبوع - ج 2 ، الملزومة 25 ص 1 .
- (31) « السر الظاهر » ط. ف. - الملزومة 18 ص 3



- (31) مكرر « الشرب المحتضر » والسر المنتظر ، من معين بعض اهل القرن الثالث عشر ، ط. ف - الملزمة الثالثة ص 6 .
- (32) « اتحاف اعلام الناس » - ج 4 ص 81 ، مع العز والصولة - ج 2 ص 95 ...
- (33) « اتحاف اعلام الناس » - ج 5 ص 476 .
- (34) « المصدر » الاخير - ج 4 ص 121 ر 127 .
- (35) نفس « المصدر » - ج 1 ص 239 .
- (36) « المصدر » - ج 4 ص 86 .
- (37) « المصدر » - ج 5 ص 353 .
- (38) « المصدر » - ج 5 ص 260 .
- (39) « المصدر » - ج 4 ص 130 د 360 ، مع ج 5 ص 274 .
- (40) « المصدر » - ج 4 ص 422 .
- (41) « المصدر » - ج 4 ص 264 .
- (42) « التراتيب الادارية » - ج 1 ص 24 ، مع « فهرس الفهارس » - ج 2 ص 217 .
- (43) « التراتيب الادارية » - ج 1 ص 25 .
- (44) « فهرس الفهارس » - ج 1 ص 406 ، مع ج 2 ص 220 .
- (45) « المصدر » الاخير - ج 1 ص 204 .
- (46) نفس « المصدر » - ج 2 ص 222 .
- (47) « التراتيب الادارية » - ج 1 ص 25 .
- (48) نشرت ضمن سلسلة مطبوعات معهد الدروس العليا المغربية ، ج 19 ، سنة 1959 م .
- (49) الكناشات المحال عليها سترد الاشارة لها من بعد .
- (50) هذه التوضيعة معدة للنشر - بحول الله سبحانه - ضمن سلسلة نصوص مغربية قصيرة .
- (51) انظر عنه : « مركز المصحف الشريف بالمغرب » ، مجلة دعوة الحق ، السنة 11 ، العدد 3 - ص 71 .
- (52) سنتبين ان كناشة ابي حامد الدمناتي بالمكتبة الملكية رقم 3718 ، وكناشة الامير العلوي بنفس المكتبة رقم 4001 ، وقد نشرت هذه الرسائل الاربعة من طرف ملفق هذه الدراسة :
- الرسائل الليبية الثلاثة بعنوان : « ثلاث رسائل من المغرب الى ليبيا » ، مجلة دعوة الحق : السنة 12 ، العدد 4 - ص 42 - 47 .

- بينما نشرت الرسالة الجزائرية في ذيل موضوع : « مواقف المغرب ضد الحملات الصليبية » ، نفس المجلة : السنة 13 ، العدد 3 ص 58 - 60 .
- (53) ثبت نص الرسالتين في كتاب « مظاهر يقظة المغرب الحديث » : ج 1 ص 50 - 54 ، نقلا عن مصدر آخر احتفظ - بدوره - بالرسالتين قبل أن أقف عليهما بالكناشة التي نعلق عليهما .
- (54) ج 4 : الكناشة الاولى : ص 78 ر 83 ر 88 ر 109 ، والثانية : ص 77 ر 109 ر 110 .
- (55) جاء في سوس العالمة ص 219 عن سوس بالخصوص : « وما أكثر أمثال هذه الكنائيس عند العلماء » .
- (56) انظر مخطوط « الاعلام » بمن غير من الاعلام ، تأليف أبي محمد عبد الله بن محمد ابن عبد الرحمان بن أبي السعود الفاسي ، أثناء ترجمة وفيات عام 1072 هـ ، مع « نشر المثاني » المطبوع ، ج 1 ص 242 .
- (57) ترجمته ومراجعتها في « سلوة الانفاس » - ج 2 ص 345 - 347 .
- (58) « نشر المثاني » المطبوع - ج 2 ص 159 ، وانظر « السر الظاهر » لابي الربيع سليمان الحوات ، ط. ف ، الملزمة 18 ص 3 .
- (59) سلوة الانفاس - ج 2 ص 346 .
- (60) ترجمته ومراجعتها في « سلوة الانفاس » - ج 1 ص 316 - 318 .
- (61) ترجمة كل من ابن سودة وغازي غير واردة فيما رجعت له من المصادر ، وجاء ذكر هذا الاخير عند الشيخ عبد المجيد الزبادي آخر رحلته : « بلوغ القصد والمرام » بالرحلة الى بيت الله الحرام ، حيث يصفه بالفقيه النبيه ، التزيه الوجيه الناظم النائر ، الاصيل ، حسب مخطوطة الرحلة ، خ. ع. د 1808 و ك 398 . وهناك مخاطبات خوطب بها محمد غازي : منها رسالة من العربي ابن ابراهيم ، ورسالة من مسعود الروسي ، حسب كناشة خ. ع. ك 2151 .
- (62) تاريخ وفاته من خط السيد أبي الاسعاد الكتاني على اول الكناشة .
- (63) هذا هو تاريخ وفاة قاضي مكناش سعيد العميري ، وفد اثبته الشرقي في كناشته .
- (64) استبدل السلطان أبو الفداء اسمه من محمد الى أحمد فتسمى به ، وقد ترجمه بكل من الاسمين ، على حدة مؤلف الاعلام ، بمن حل بمراكش وأغمات من الاعلام ، ج 2 ص 172 ، مع 5 ص 28 - 30 ، وباسم محمد جاءت ترجمته في اتحاف اعلام الناس ج 4 ص 106 - 117 ، وقد جعل هذا المصدر الاخير اسم والد المترجم أحمد بن الحسن ، مع ان الواقع ان هذا هو الاسم الثاني للمترجم نفسه .
- (65) ترجمته في الاعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الاعلام - ج 5 ص 62 .
- (66) ترجمته في المصدر الاخير - ج 5 ص 41 - 46 .
- (67) ترجمته في مخطوط « الاتحاف الوجيز » لمحمد بن محمد بن علي الدكالي السلوي ، خ. ع. د 42 ، مع « فهرس الفهارس » - ج 2 ص 217 - 218 ، وفي « الاعلام » بمن حل بمراكش وأغمات من الاعلام - ج 2 ص 183 - 187 .

- (68) يظهر انه السكوري المتوفى عام 1201 هـ / 1786 - 87 م ، حسب « انحاء المطالع »  
للمؤرخ عبد السلام ابن سودة .
- (69) له ترجمة فى « الاعلام » المراكشي بالقسم المخطوط - ج 6 ص 431 .
- (70) ترجمته فى « سلوة الانفاس » - ج 1 ص 204 - 205 .
- (71) انظر ترجمة صاحب الكناشة من « تاريخ تطوان » - ج 6 ص 199 - 209 .
- (72) ترجمته فى « سلوة الانفاس » ج 3 ص 16 .
- (73) تاريخ وفاته من « دليل مؤرخ المغرب الاقصى » ع 315 .
- (74) ترجمته فى مخطوطة « فهرس » محمد المهدي ابن سودة ، مع « فهرس الفهارس »  
ج 1 ص 300 - 302 .
- (75) ترجمته فى « سلوة الانفاس » ج 2 ص 155 - 156 .
- (76) ترجمته بالمصدر الاخير ج 1 ص 177 - 178 .
- (77) له ترجمة عند الحاج العربي المشرفى فى كتابه : « نزهة الابصار » ، خ. ع. ، ك 579 .
- (78) ورد ذكره فى « زهر الاس . فى بيوتات فاس » لابي محمد عبد الله الكبير بن هاشم  
الكتاني ، خ. ع. ، ك 1281 عند ترجمة بيت بني البياز .
- (79) لم أقف على ترجمته ، وورد ذكره فى « الرحلة الحجازية » لمحمد بن محمد التهامي  
ابن عمرو الأوسى ، وقد حلاه بالفقيه الأريب ، العلامة القاضي ، وذكر أنهما قراءا  
- معا فى فترة الطلب - بتطوان ثم بفاس ، حسب ترجمة الرحالة الرباطي عند محمد  
ابن علي الدكالي ، ونقلها - من خطه - محمد بن عبد القادر فرفسة الرباطي فى  
« كناشة » له بالمكتبة التطوانية بسلا ، حيث وقفت عليها أثناء عام 1374 هـ / 1955 م ،  
وكانت وفاة ابن عمرو المذكور عام 1244 هـ .
- (80) لا تعرف له ترجمة منتظمة ، على انه كان من جلة علماء وادباء الريف المغربي، وورد  
ذكره عند أبي محمد عبد الكبير بن المجلوب الفاسي ، فى « تذكرة المحسنين  
بوفيات الاعيان وحوادث السنين » ، خ. ع. ، ك 270 ، وهو يقدمه - عام 1259 هـ -  
حسب الفقرة التالية :
- « وتوفي الفقيه المشارك ، الجهد الذكي ، عالم وقته ، وعديم من يدانيه فى  
وقته ، أبو البقاء : سيدي خالد بن سيدي محمد الهادي العمري الطنجاي ، من  
سلالة العارف بالله سيدي ابراهيم دفين سجلماسة ... توفي - رحمه الله -  
ببلاد سفيان من الغرب فى أواخر شعبان من السنة ودفن هناك ، ثم نقل لصريح  
الولي الصالح الشهير : سيدي محمد الحاج البقال ، خارج باب الفحص من شفر  
طنجة ، ودفن عند رجليه » .
- وبعد « تذكرة المحسنين » نقف بفقرة أوردها محمد الامين بن عبد الله الحجاجي  
الجمفري الصجراوي ، وأثبتها فى كتابه : « الارتجال . فى مناقب ومشاهد سبع  
رجال » م. م. 194 :
- « ... وبطنجة لقيت قارعة الادب ، الهجاء ، سيدي خالد الطنجي رحمه الله .

فتذكرنا ، واستنشدني فأنشدته مطلع قصيدة في مدح سيد البشر صلى الله عليه  
وآله وسلم ، وهي قولي :

بطيبة نور ساطع وهو فاتح  
الى جنة الفردوس غاد ورائح

واستزادني فزده ، وساجلني فما قدر على مساجلتي ، فكان - رحمه الله - يقول  
لبعض طلبة طنجة في غيبتني : « ان شعري بدوي » واني احفظ الاشعار الكثيرة  
وأختار منها ما أشاء لنفسى ، فأعرضت عن ذلك صفحا ، لشيبته وشهرته بالأدب في  
بلاد المغرب ، على اني لو رمت لنضاله ايتار قوسي ، لوجدته جرير وقتي ... » .  
وبالإضافة الى اشعار المعنى بالامر الواردة بالكناسة التي نعلق عليها ، هناك  
قصيدة له في مدح الشاي ، أثبتتها العربي الدمناتي في كناشته التي تحمل بالمكتبة  
الملكية رقم 1952 ، كما أن القاضي المرحوم عبد الحفيظ الفاسي ، أشار في احدي  
كناشاته الى قصيدة خالدية من مائة وسبعة أبيات في مديح السلطان العلوي أبي  
زيد بن هشام ، ومطلعها :

بشارة خير قد بدت لي غزالة  
كان محياسا الحيي غزالة

وهناك معلومات أخرى عن حياة المنوه به ، في ترجمته التي نشرها - أخيرا -  
الاستاذ الكبير عبد الله كنون ، في جريدة الميثاق : السنة 11 ، أعداد 190 - 193 .

(81) له ترجمة قصيرة عند الفضيلي : الدرر البهية ، ط. ف - ج 1 ص 177 ،  
وتاريخ وفاته من « اتحاف المطالع » .

(82) ترجمته في « اتحاف اعلام الناس » ج 4 ص 189 - 239 ، مع « الاعلام بمن حل  
بمراكش وأغمات من الاعلام » ج 5 ص 263 - 292 ، الى مصادر أخرى متعددة .

(83) له ترجمة في كل من « الدرر البهية » ج 1 ص 227 - 228 ، مع « سلوة الانفاس »  
ج 3 ص 129 - 130 .

(84) له ترجمة في « الدرر البهية » ج 1 ص 228 - 229 ، مع « الاعلام بمن حل  
بمراكش وأغمات من الاعلام » ج 2 ص 230 - 233 ، وهو المترجم - أيضا - باسم  
مولاي أحمد البلفيحي - في « فواصل الجمان » ص 207 .

(85) يبدو أن هذا مع أحمد بن الطاهر داتي الذكر اخوان ، ووالدهما هو مولاي الطاهر  
البلفيحي الكاتب المخزني في الدولتين : الحسنية والعزيرية ، والمترجم في  
« فواصل الجمان » ص 203 .

(86) ترجمته عند أبي المواهب جعفر بن ادريس الكتاني في « فهرس اشياخه » ، ط. ف -  
الملزمة 3 ص 6 .

(87) ترجمته في « سلوة الانفاس » - ج 1 ص 157 - 158 ، مع « فهرس الفهارس » -  
ج 1 ص 350 ، و « الاعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الاعلام » - ج 5 ص 308-310 .

(88) لم أقف على ترجمته ، ويبدو من سلسلة داباته انه ابن مؤلف التحفة القادرية  
عبد السلام بن عبد الله الخياط القادري الحسني ، المتوفى عام 1228 هـ .

- (89) مما تجدر ملاحظته : أن القادريين الفاسيين تسلسلت فيهم الكتابة في الأنساب المغربية أجيالا متعاقبة ، ابتداء من محمد العربي بن الطيب صاحب الكناشنة القادرية ، وشقيقه المولى عبد السلام مؤلف « الدر السني » ، ومعاصرهما أحمد بن عبد القادر ، ثم محمد بن الطيب مؤلف « نشر المثنائي » وغيره ، ثم عبد السلام بن عبد الله الخياط مؤلف التحفة القادرية ، وولده محمد الطيب الذي نعلق على كناشته ، ثم السيد إدريس بن محمد بن الغالي ، وأخيرا : ولده الطائع بن إدريس القادري ، المتوفى عام 1362 هـ .
- (90) لم أقف على ترجمته ، على أنه كان ولوعا بالتقييد للفرائد والسوارد ، وفي خط ولده أنه توفي ليلة الأربعاء 20 من ذي الحجة عام 1276 هـ .
- (91) لم أقف له على ترجمة منتظمة ، وورد ذكره عند الحاج العربي المشرفي بتوبيه كبير ، بمناسبة الحديث عن بيت بني الفريديس بفاس ، وذلك في كتابيه : « الحسام المشرفي » ، ج 3 ، ع 2276 ، مع « مشموم عرار النجد والقيطان المعد لاستنشاق الوالي وأنفاس المولى السلطان » ، بالمكتبة الملكية ضمن المجموعة الزيدانية رقم 2848 .
- (92) وفاته من « اتحاف المطالع » .
- (93) ترجمته في « فواصل الجمان » لمحمد غريط ص 71 - 75 ، مع « اتحاف اعلام الناس » - ج 3 ص 97 - 100 ، و « الاعلام بمن حل بمراكش واغامت من الاعلام » ج 5 ص 327 - 331 .
- (94) ترجمته عند القاضي عبد الهادي بن أحمد الصقلي : في وفياته المعنونة « بذكر من اشتهر أمره وانتشر » ، ممن بعد الستين من أهل القرن الثالث عشر ، مخطوطة خاصة ، مع « فهرس » أبي عبد الله محمد بن قاسم القادري ، ط . ف : المزمرة 5 ص 6 .
- (95) ترجمته في « فهرس الفهارس » - ج 1 ص 268 - 269 .
- (96) ترجمته في « سلوة الانفاس » - ج 2 ص 363 - 364 ، مع « فهرس الفهارس » - ج 2 ص 384 - 385 .
- (97) ورد ذكره محلي بالعلامة الاديب عند الناصري في « طلعة المشتري » - ج 2 ص 169
- (98) هو ابن مؤلف « الدرر الفرصة » ، وله ترجمة قصيرة في كل من « طلعة المشتري » ج 2 ص 151 - 152 ، مع « سلوة الانفاس » - ج 1 ص 265 .
- (99) تعددت مصادر ترجمته لاعتبارات متنوعة ، ونذكر منها خمسة :  
 — « الاغتباط » بتراجم اعلام الرباط ، ج 3 ، ع 1287 .  
 — « مجالس الانبياء » بشرح تراجم علماء وطلحاء الرباط ، م . م 779 .  
 — « اتحاف اعلام الناس » - ج 5 ص 429 - 438 .  
 — « كشف الحجاب » ، الطبعة الثالثة - ص 313 - 328 .  
 — « اعلام الفكر المعاصر بالعدوتين » : الرباط وسلا - ج 2 ص 368 - 371 .
- (100) ترجمته في القسم المخطوط من : « الاعلام » بمن حل بمراكش واغامت من الاعلام ج 6 .



- (101) ورد ذكره في « الدرر البهية » - ج 1 ص 221 ، وله ترجمة قصيرة عند ابن زيدان في أحد تعليقات « النهضة العلمية » في عهد الدولة العلوية ، حسب مقتبسات مستخرجة منها .
- (102) ترجمته في « فواصل الجمان » ص 204 ، مع « اتحاف اعلام الناس » ج 5 ص 394 - 397 .
- (103) له ترجمة في أحد تعليقات « النهضة العلمية » المشار لها وشيكا .
- (104) ترجمته في « الاعلام » ، بمن حل بمراكش وأغمات من الاعلام » - ج 2 ص 265-266 .
- (105) ترجمته في « اتحاف اعلام الناس » - ج 4 ص 262 .
- (106) ترجمة في « فواصل الجمان » ص 195 - 199 ، و « اتحاف اعلام الناس » ج 2 ص 94 - 106 ، مع اعتماد تاريخ وفاته الوارد بالمصدر الاول .
- (107) ترجمته في « اتحاف اعلام الناس » - ج 1 ص 456 - 463 ، مع معجم الشيوخ ج 1 ص 99 - 103 .
- (108) ترجمته في كل من « الاغتباط » و « مجالس الانبساط » المخطوطين المشار لهما سلفا ، مع « الاعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الاعلام » - ج 2 ص 281 - 289 ، ثم « اعلام الفكر المعاصر بالعدوتين » - ج 2 ص 39 - 43 .
- (109) ترجمته في البقية المخطوطة من « اتحاف اعلام الناس » بالمكتبة الملكية رقم 3986 من المجموعة الزيدانية .
- (110) ترجمته في « المصنوع » - ج 5 ص 70 - 98 .
- (111) ترجمته في « سل النصال » ، للنضال بالاشياخ وأهل الكمال ، اسم فهرس مخطوط لابي خليل عبد السلام ابن سودة .
- (112) المصدر الاخير .
- (113) ترجمته في القسم المخطوط من « الاعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الاعلام » ج 6 .
- (114) ترجمته في « اعلام الفكر المعاصر » - ج 2 ص 214 - 226 ، مع جريدة « السعادة » ع : 4337 - 4338 ، السنة 33 ، عام 1355 هـ / 1936 م .
- (115) ترجمته في « اعلام الفكر المعاصر » - ج 2 ص 263 - 265 .
- (116) هناك مقالان في التعريف به بقلم كل من العالمين : محمد السايح وعبد الحفيظ الفاسي ، حسب مجلة الثقافة المغربية سنة 1941 م ، العدد 3 - ص 123 - 129 .
- (117) ترجمته في « اعلام الفكر المعاصر » - ج 2 ص 177 - 182 ، مع « سل النصال » ، للنضال بالاشياخ وأهل الكمال ، وجريدة « السعادة » ع : 6470 ، السنة 42 ، عام 1364 هـ / 1945 م .
- (118) ترجمته في « اعلام الفكر المعاصر » - ج 2 ص 162 - 163 .
- (119) نشرت ترجمته - قيد حياته - في جريدة « السعادة » ع 4916 .
- (120) ترجمته في « سل النصال » ، للنضال بالاشياخ وأهل الكمال .
- (121) ترجمته في « الادب العربي بالمغرب الاقصى » - ج 1 ص 76 - 78 .

# قريتى يس في الربيع

عيسى الناعوري

قريتى دمية تعز مثالا  
زادها مبدع الربيع جمالا  
تكتسى مطرف الربيع وشاحا  
وتلف السناء بردا وثالا  
وتعيش الحياة فى روعة الحلم  
كطفل يغفو وينعم بالا  
الينابيع ثرة فى رباها  
واخضرار الكروم يكسو الجبالا

والعصافير :

ههنا جوق عرس  
يسكر السهل صدحه والتلالا  
وهنا مرقص وجوقة أنس  
تملا الروض نشوة واختيالا

والدوالي :

عرائس حالمات  
يتمطين في ارتخاء ، دلالا  
يتهامسن ، والشعاع عيون  
جائعات على الجسم الكسالى  
ومياه الوديان تضحك للعشب  
وتسقى الحقول عذبا زلالا  
تتراءى الاشجار والزهر فيها  
بضة الحسن ، حية لا ظلالا  
وببلورها النقى يرى الروض  
قريرا ، لكل غصن مثالا

يركع الزهر جاثيا في حفافها  
ويتلو الى السماء ابتهاالا :

\* \* \*

« مبدع الحسن والربيع حنانا !  
لا تدع للربيع يوما زوالا !  
انه بهجة الحياة ، يشيع الحب  
فيها ، ويستثير الخيالا  
هو شعر ، ويستقر حبيس الشعر  
في النفس ، صافيا منثالا  
انه بسملة على كل ثغر  
تجعل الخلق بالجمال ثمالي  
كل نفس تنوء بالحزن والهم  
يزيل الربيع عنها الكلالا  
في بهاء الربيع يبصرك الناس  
جميعا فيعبدون الكمالا

عمان عيسى الناعوري

## أضواء على حياة

# الحسن بن محمد الوزان وانتاجه الفكري والمؤثرات التي تأثر بها

د. شوقي عطا الله أجمل

من المفارقات الغريبة أن رحلة الحسن بن محمد الوزان ، وانتاجه وشخصيته لقيت من العناية والاهتمام في العالم الغربي أو العالم الاوربي على وجه العموم أضعاف أضعاف ما وجدته في عالمنا العربي والاسلامي الذي ينتمي اليه الرحالة ، فباستثناء محاولات فردية سريعة لتسليط الاضواء عليه - لم ينشر بالعربية بحث كامل شامل عنه ، بل يكفي ان كتابه « وصف افريقيا » - وهو بلا شك ليس الانتاج الفكري الوحيد له - ترجم الى معظم لغات العالم وطبع عدة طبعات ، ولم يقدر له الى الآن ان يطبع وينشر بالعربية ، واعتقد انني لا ابتعد عن الصواب كثيرا اذا قلت ان الكثيرين من المثقفين قد يعرفون الرحالة باسمه الاجنبي الذي اطلق



عليه في ظرف معين من حياته ( ليون الافريقي ) بينما يجهلون اسمه العربي الذي يرجع به الى اصله الحقيقي .

وتبدو غرابة هذا الوضع ، وحجم الفراغ الذي تشكو منه مكتبتنا العربية - لعدم وجود ترجمة عربية لكتاب « وصف افريقيا » بين كتب التراث المنشورة ، حين نلقي بعض الاضواء على هذا الكتاب فنـدرك قيمته الحقيقية ووضع مؤلفه وأهميته .

ان الوزان يقف في الصف - ودون مبالغة - مع البكري العالم الجغرافي ( 1094 م ) والادريسي ( 1100 - 1165 ) ، ومع الرحالة المغربي ابن بطوطة ( 1304 - 1377 ) وغيرهم ممن عرف لهم العالم مكانتهم ، بل ان مؤلفه يتميز بأهمية خاصة ترتبط بالظروف المحيطة بالعالم العربي ، والاوربي التي عاش فيها ، والميدان الذي تناولته جولاته.

فالعصر الذي عاش فيه الرحالة - كما سنبين بايضاح اكثر فيما بعد - يمثل مرحلة حاسمة فيما يتعلق بتاريخ العرب خاصة في شمال افريقيا ، وعلاقاتهم بأوربا ، التي كانت هي الاخرى على اعتاب مرحلة النهضة الاوربية التي عاصر ( ليون ) - كما أصبح يسمى في روما - اشعاعاتها القوية ، وقد عاش هو في بلاط أسرة مدتشي (Medicci) التي يذكر لها مساهمتها بنصيب في اذكاء شعلة هذه النهضة .

ان بعض المؤرخين والكتاب يعتبرون رحالتنا هذا آخر حلقة في سلسلة العلماء العرب الذين نبثوا في ظل الحضارة الاسلامية المزدهرة في الاندلس ، ومهما يكن مدى صحة هذا الراي - فان رحلات الوزان ومؤلفه عنها تثير الانتباه الى عدة ظواهر في العالم الاسلامي لها أهميتها البالغة ، فهي تدل على الروابط الثقافية التي كانت بين اجزاء العالم الاسلامي مغربه ومشرقه ، فرغم اتقسام العالم الاسلامي الى عدد من الوحدات السياسية - فقد كان باستطاعة الرحالة والعلماء بالذات ان ينتقلوا دون اي جهد من بلد الى آخر ، وان يقيموا امدا طويلا او قصيرا في مختلف الاماكن دون الاحساس بفروق كبيرة ، وكانوا يقابلون عادة في

اي بلد من بلاد الوطن العربي بالترحاب وتعرف لهم مكانتهم ويستفاد من علمهم وخبرتهم (1) .

وكان الاندلس - وحتى نهاية دولة غرناطة ( 1492 م ) ، وحتى بعد ذلك بفترة غير قصيرة - مرتبطا بالمغرب والمشرق العربي ينتقل رواد العلم والرحالة منه الى هذه الاقطار العربية في المغرب والمشرق دون عناء .

والظاهرة الهامة الاخرى التي تبرز لاول وهلة من تتبع رحلة الوزان وغيره من رحالة الاندلس والمغرب والتي يمكن وضعها في صيغة استفهامية هي :

ما العوامل والمؤثرات التي جعلت المغاربة بالذات يبرزون في مجال الرحلات العلمية ، تلك الرحلات التي تميزت بدقة الملاحظة والتحليل ؟

فرحلة الوزان ليست فريدة في بابها لكنها في الحقيقة حلقة بارزة في سلسلة الرحلات العلمية التي قدمت للفكر الانساني وعلوم الجغرافيا والتاريخ والاجتماع وغيرها من العلوم - ثروة لا تقدر ، وقد ذكر مؤرخ الاندلس الذي عاش في القرن السابع عشر وهو المقري - اسماء مائتين وثمانين شخصا من الاندلسيين قاموا برحلات للشرق للرحلة والعلم وليس للتجارة - واعترف انه لم يستوعب كل الاسماء .

### **نبذة عن حياة الحسن بن الوزان :**

من هو الحسن بن محمد الوزان الزياتي ؟

بالرغم من المحاولات المتعددة للكشف عن الوزان فلا تزال نواح عدة من حياته وشخصيته لم تكتشف بعد ، او على الاقل لا نستطيع الجزم بحقيقة الامر فيها ، اذ ان احدا من المعاصرين له لم يتحدث عنه - ومع ذلك فيمكن من ثنايا كتابه المنشور ان نستشف بعض جوانب شخصيته ومكوناتها .

وكل ما نعرفه عن (العائلة الوزانية ) التي ينتسب اليها - هو انها عائلة عربية كانت بالاندلس فى فترة حاسمة من تاريخ العرب فى هذه البلاد وكفاحهم ضد القوى المسيحية التي اخذت تكيل لهم الضربات حتى انتهى الامر بالقضاء على نفوذ العرب فى اسبانيا ، وهجرة البقية من المسلمين من هذه البلاد تبحث لها عن مأوى فى البلاد الاسلامية الاخرى القريبة . وكانت أسرة الوزان من هذه الاسر التي هاجرت من (غرناطة) الى شمال افريقيا ، واستقرت اخيرا فى فاس (2) .

ورغم اننا نجهل مركز أسرته - لكن هناك اشارات فى كتابه تدل على انها كانت أسرة مرموقة سواء فى ( غرناطة ) أم بعد هجرتها الى المغرب ، فهو يشير الى ان اياه كان يقضى فصل الصيف عادة ( بقصر عباد ) قرب فاس لهوائه العليل وطقسه الجميل ، كما يشير الى انه ( اي اياه ) كان يسافر الى بعض الجهات بالريف فيما يتعلق بعمله - اما عمه فقد كان شخصية ذات بال ، فقد ذكر انه كان يسافر كسفير عن حاكم فاس فى السفارات الهامة ، وقد صحبه هو الى ( تمبكتو ) (3) .

وقد تعددت الاسماء والصفات التي اطلقت عليه ، فقد عرف فى المراجع الاجنبية باسم (Leo Africanus) اي يوحنا ( الاسد ) الافريقي ، كما عرف باسم (Giovanni Lone) ، واحيانا سمي ( ليون الايبيري ) او ( الفرناطي ) او ( الفاسي ) .

وكل من هذه الصفات يتصل بناحية خاصة من نواحي حياته . فصفا الافريقي لعلها ترجع الى ان كتابه الهام الذي نشر ، وكان سبب شهرته يتعلق بتاريخ افريقيا ووصفها والاشياء الهامة المتصلة بها (4) .

اما اسم ( ليون او ليو ) او ( جيوفاني ) فهو يرتبط باسم البابا ليو العاشر (Leo X) الذي جلس على كرسي البابوية (1513 - 1521) وهو من أسرة مدتشي (Medicci) (5) وكان اسمه قبل ان يصل الى كرسي البابوية (Geovanni de Med'cci)

وقد أدرك هذا البابا منزلة الحسن بن محمد الوزان حين قدمه له القرصان بعد أسره - فقربه اليه ، وعمده ثم أطلق عليه اسمه ، وكان هذا البابا مهتما بشؤون الشرق والبلاد الاسلامية ، ويذكر التاريخ انه حين زاد خطر الاتراك العثمانيين جرت مباحثات بين ( ليو العاشر ) وبين ( فرنسوا الاول ) ملك فرنسا في عام ( 1515 ) - بهدف بحث امكان ارسال حملة صليبية ضد الاتراك العثمانيين (6) .

اما لفظ ( الايبيري ) او ( الغرناطي ) فيرجع لارتباطه بغرناطة في شبه جزيرة ايبيريا ، أما ( الفاسي ) فنسبة الى مدينة ( فاس ) التي ارتبطت بفترة هامة من حياته وتكوينه الفكري .

وقد اثرت شكوك حول مسقط رأسه ، فيتساءل ( بوري Pory ) هل ولد ( الحسن بن محمد ) في ( غرناطة ) ، ام في بلد افريقي آخر ؟ ويبني شكوكه هذه على تعبير جاء في كتاب ( وصف افريقيا ) فقد ذكر فيه « ان افريقيا - القارة التي ادين لها بمولدي - بالاضافة الى الفضل الاكبر فيما اكتسبته من ثقافة (7) » .

والحقيقة ان الترجمة الانجليزية هي المسؤولة عن هذا ( اللبس ) فالنص اللاتيني لا يحمل هذا المعنى ، لكنه يعني « ان افريقيا القارة التي احتضنته في صفوه ، والتي قضى فيها زهرة حياته » .

وقد وقع في هذا الخطأ كتاب آخرون ، فالكاتب ( Rae ) في حديثه عن بلاد المغرب يشير الى ( ليو ) على انه ولد في المغرب ، لكنه بعد ذلك شب في غرناطة كشخص مسيحي ، دون أن يفسر لنا ظروف انتقاله هذا الى غرناطة والى المسيحية (8) .

لكن في الحقيقة ان ( ليو ) نفسه يحسم هذا الامر ، فهو يذكر لنا انه التقى بأحد الغرناطيين من أبناء بلده الاصلي (9) .

وهناك اختلاف أيضا في تحديد تاريخ ميلاده ، فقد ذهب كثيرون من الكتاب الى انه ولد في عام ( 1491 م ) ، ولعل تحديد هذا التاريخ

ارتبط بسقوط غرناطة التي استسلمت في ( 2 يناير 1492 م ) ، ولما كان رحيله الى افريقيا قد تم فعلا وهو طفل استنتج هؤلاء انه ولد في العام السابق لسقوط غرناطة أي في عام ( 1491 ) - لكن هذا الزعم لا يستند في الحقيقة على أسس قوية ، فلا يوجد ما يدل على ان أسرته هاجرت الى المغرب بعد سقوط ( غرناطة ) مباشرة ، اذ انه من المعروف ان عددا غير قليل من المسلمين بقي فيها مدة بعد سقوطها .

على ان تاريخ ميلاده يمكن استنتاجه من اشارته في كتابه لبعض الاحداث التاريخية - فعند كلامه عن سقوط ( آسفي ) في يد البرتغال يشير الى ان عمره كان في ذلك الوقت عشر سنوات ( 10 ) .

ولما كان استيلاء البرتغاليين على آسفي قد تم في عام ( 913 هـ - 1508 م ) فهذا يعني ان مولده كان في عام ( 904 هـ - 1498 م ) ، وبالتالي تكون أسرته قد بقيت في غرناطة مدة ست سنوات تقريبا بعد ان سلمت آخر معاقل الاسلام في اسبانيا لجيش ( ايزابيلا ) و ( فرديناند ) .

وهذه الحقيقة تفتح الباب لتساؤلات عدة عن وضع المسلمين الذين بقوا في اسبانيا بعد تصفية النفوذ الاسلامي في هذه البلاد التي خضعت لسلطان المسلمين ما يقرب من ثمانية قرون .

والمعروف ان كثيرا من المسلمين هاجروا من الاندلس قبيل سقوط غرناطة ، واثار سقوط هذه المملكة وقد لجأ عدد منهم الى المغرب واستقر بعضهم في ( تطوان ) بينما استقر البعض الآخر في ( الرباط ) و ( سلا ) ، ولعب هؤلاء المهاجرون دورا هاما في تاريخ هذه البلاد ، فكانت منهم أسر حاكمة ، كما حملوا لواء الجهاد والكفاح ضد البرتغاليين والاسبان في البحر المتوسط وفي ثغور شمال افريقيا التي تعرضت لاطماعهم ( اطماع البرتغاليين والاسبان ) ، ووصل الامر الى ان أصبح لهم اسطول قوي يعمل في البحر المتوسط والمحيط الاطلسي ضد سفن البرتغال والاسبان بالذات ، وقد شعرت الدول الاوربية جميعها بوطأة هذا الاسطول حتى ان بعض الكتاب الاوربيين اطلقوا على البحارة



العاملين في هذا الاسطول اسم قراصنة سلا (Les corsaires de Salé) وهذا التعبير فيه تجنى على الدافع الحقيقي وراء هذا العمل (11) .

اما الذين بقوا من المسلمين في اسبانيا بعد سقوط غرناطة - ومنهم اسرة الوزان - فقد عوملوا في البدء معاملة مقبولة وسمح لهم بالبقاء على ممتلكاتهم ، لكن لم يلبث الاسبان ان ضيقوا عليهم الخناق ، واضطروا كثيرون لاعتناق المسيحية وساموا الباقين سواء العذاب ، واجبروهم على العمل كالعبيد في السفن الشراعية ، او في مناجم ( بيرو ) ، كما التزموا ان يجتمعوا في احياء خاصة بهم وحرموا عليهم شراء الاراضي او حمل السلاح ، وظل الامر كذلك حتى وصلت موجة الاضطهاد الى ذروتها في عهد فيليب الثالث (Philippe III) الذي وصل للعرش في عام 1598 ، وبتحريض الراهب المتعصب زيمينس (ximenes) اصدر في ( 1609 ) قرارا بترحيل جميع المتبقين من عرب الاندلس الى المغرب ، وقد قتل كثيرون منهم قبل وصولهم الى الساحل ، ومن وصل منهم الى الساحل وصل في حالة يرثى لها (12) .

على كل فمن المرجح ان اسرة الوزان - كما ذكرنا - بقيت في اسبانيا بعد سقوط غرناطة في يد الاسبان مدة اربع او خمس سنوات ، ثم هاجرت الى المغرب حوالي عام 1497 واستقرت في فاس ، ولم يكن اضطهاد الاسبان للعرب في الاندلس قد وصل الى درجة العنف التي تطورت اليها الامور فيما بعد . (13)

وصل الرحالة الى ( فاس ) مع أسرته - ومنها كانت نقطة انطلاقه لرحلاته المتعددة .

وفي فاس تلقى الوزان علومه الاولى في مدارسها ، وتعلم في ( جامع القرويين ) الذي كان يعتبر كعبة الراغبين في التزود بالعلوم الدينية والنظرية (14) .

وقد كانت ( فاس ) في ذلك الوقت من اهم مراكز العلم والمعرفة

فى العالم العربى ، يأتى إليها طلاب العلم من مختلف بقاع العالم الاسلامى ، وكانت لها مكانة لا تقل عن مكانة ( القاهرة ) و ( قرطبة ) و ( غرناطة ) ، ولعل الظروف السياسية التى احاطت بالعالم الاسلامى والتى تمثلت فى انتهاء نفوذ العرب السياسى فى اسبانيا - رغم قسوتها - ساهمت فى ازدهار منار العلم فى فاس اذ أصبحت بلاد المغرب بالذات المأوى الذى احتضن الكثيرين من المثقفين والعلماء المهاجرين من اسبانيا . ودراسة الاوضاع العلمية والفكرية فى المغرب خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر تعطى لنا فكرة عن الجو العلمى الذى نشأ فيه الوزن والذى اسهم فى تكوينه .

ولعل اروع وصف لما وصل اليه صاحبنا من العلم والمعرفة هو ما عبر عنه ( Pory ) مترجم كتابه للانجليزية اذ قال : « كما ان موسى وصف بأنه تثقف بكل حكمة المصريين - كذلك فان ليو يمكن ان يوصف بأنه تثقف بكل ثقافة المغرب والمغاربة فى عهده (15) » .

ويشير الوزن فى كتابه الى بعض رفاقه فى التعليم (16) لكنه لم يشر الى اساتذته ، وان كان قد اشار الى عشرات من المفكرين والفلاسفة المسلمين الذين قرا لهم وتأثر بكتاباتهم مثل ( ابن رشد ، الفارابى ، ابن سينا ، ابن خلدون ، عبد الله البيطار ، البكرى ، الادريسي ، المسعودي ) والعديد غيرهم ، وهذا يدل على انه نال قسطا وافرا من فنون العلم المختلفة واطلع على أمهات الكتب المعروفة فى وقته فى ألوان المعرفة المتعددة .

أما عن أوجه نشاطه الأخرى فى المغرب فيذكر انه اشترك مع والده فى اعداد قوافل الحج المتوجهة الى الحجاز ، كما يشير الى زيارته لبعض المزارات التى كانت لها قدسية فى ذلك الوقت .

وقد شغل الحسن بن محمد الوزن فى بداية حياته العلمية ، بعض الوظائف ، فعمل لمدة عامين ككاتب عدل فى المستشفى الكبير بفاس (17) .

## رحلاته وأسفاره :

تعددت أسفاره وتنوعت ، فلم يعد يستقر في بلد معين لمدة طويلة ، ويبدو أن السفر والترحال أصبح الشيء المحبب الى نفسه والذي يتلاءم مع ميوله واتجاهاته ، ولذلك نراه يتنقل في البلاد ويعمل ( كقاض ) أو حكم في الخلافات بين الناس مقابل أشياء عينية لان النقود لم تكن متداولة بكثرة ، وهو في ذلك يستند لمامه ببعض المبادئ القانونية ، كما أنه في بعض أسفاره مع التجار كان يعمل كاتباً يدون حساباتهم كما يفصل في مشاكلهم المادية والقانونية ، ويشير الى بعض المتاعب التي كان يواجهها التجار في الطريق ، أو في المدن الساحلية من القرصان الذين كانوا لا يجردونهم فقط من بضائعهم - لكن أيضاً يسلبونهم حريتهم اذا وقعوا في أيديهم ، ولذا فان التاجر لم يكن تاجراً فحسب بل كان يلزم أن يكون أيضاً رجل حرب مستعداً للدفاع عن نفسه وماله ضد أي هجوم مفاجيء .

ولم تقتصر تحركاته على هذا المجال ، فقد كلف من قبل (سلطان فاس ) ، وكذا من ( الشريف محمد ) بالقيام بسفارات هامة (18) .

واشترك الوزان - بالإضافة الى ذلك - في المعارك التي وجهت ضد البرتغال في ( أصيلا ) و ( المعمورة ) وغيرهما من الموانئ المغربية التي كان البرتغاليون قد وضعوا أيديهم عليها . وهو يعطينا في هذا المجال صورة رائعة للمقاومة الوطنية للمغاربة ضد المستعمرين حتى أصبحت حياتهم بالثغور المغربية لا تطاق (19) . اذ لم يكتف البرتغال بطرد العرب من شبه جزيرة ايبيريا بل تعقبوهم في القارة الافريقية حيث شنوا على المسلمين حرباً يمكن أن نعتبرها امتداداً للحروب الصليبية ، فقد كان الهدف الديني في مقدمة الدوافع لها ، وشارك فيها أكثر من بلد أوربي ، كما لعبت البابوية دوراً هاماً فيها . وقد صرح المؤرخون البرتغال أنفسهم بذلك . فذكر المؤرخ البرتغالي ( فاسكو دي كرافالو ) : « ان الروح الصليبية التي ضعفت في كل أوربا اخذت تنتعش في البرتغال (20) » .

هذا وفى بعض رحلاته كان الوزان يسافر بتكليف من سلطان فاس كملحق مع بعض الموظفين الحكوميين لتحصيل الاموال المطلوبة من القبائل ، ويشير اثناء حديثه عن ذلك لاشياء طريفة ، فيذكر أن الناس رغم قدرتهم على الدفع فان هناك صعوبة فى اخذ النقود منهم ، ويذكر أن بعض القبائل بالذات عرف عنها البطء فى دفع ما عليها من مال (21) .

ومن جولات رحالتنا الوزان فى المغرب ، الجولة التي قام بها فى عام ( 915 هـ - 1509 م ) لدراسة الشواهد التي على قبور بعض الشخصيات البارزة فى ( شالة ) (22) ويبدو - كما يذكر - أنه اتخذ منها مادة لكتاب وضعه عن هذه الشخصيات فيما بعد - والحقيقة ان هذه الدراسة ولو انها قد تبدو غريبة فى الاساس الذي بنيت عليه - وهي شواهد القبور - لكنها بلا شك دراسة طريفة وتعطي فكرة على أنه كاتب ومفكر مجدد ، ولا يقف عند حدود التقليد .

ومن الرحلات الهامة التي قام بها - الرحلة الطويلة الى ( تمبكتو ) . وقد بدأها - كما يستفاد من كتابه - فى عام (917 هـ - 1511 م ) عن طريق ( سجلماسة ) حتى وصل ( تمبكتو ) التي وصفها وصفا شيقا ، وكانت فى ذلك الوقت فى قمة مجدها بعد غزوات ( أسكيا ) الذي يسميه ( ملك تمبكتو ) والذي يقول انه ألزم معظم الاقاليم المجاورة على دفع ضرائب له ، ويشير الى سفره ( اي اسكيا ) الى مكة للحج ، وزار الوزان مملكة ( مالي ) وكانت فى حالة من التدهور بسبب الحروب التي طحنتها . ومن ( صنفاي ) اتجه شرقا الى بلاد ( الهوسا ) ، ثم الى ( بورنو ) . - وهكذا زار فى رحلته هذه - التي وصفها فى الكتاب السابع من كتبه التسعة - عددا كبيرا من الممالك الاسلامية والزنجية بقرب افريقيا ، ويذكر انها كلها تقريبا تقع بالقرب من نهر النيجر وفروعه .

وقد وقع الوزان فى خطأ عجيب حين ذكر أن نهر النيجر ينبع من بحيرة تشاد ويسير نحو الغرب الى المحيط ، رغم انه أبحر فى مياهه لخمسمائة ميل او اكثر . على أن هذا الخطأ الذي لا مبرر له لا يقلل من

قيمة المعلومات المتعلقة بأفريقيا الغربية التي أمدنا بها ، والحقيقة أن هذه المعلومات تعتبر مكملية للصور التي رسمها الإدريسي لهذه الجهات ، فهي توضح التغيرات التي طرأت منذ وصفها الإدريسي . وهذا يوضح أهمية هذه الرحلة وما كتبه الوزان عن هذه الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا .

أما عن رحلاته إلى المشرق وأوروبا ، فقد قام الحسن بن محمد الوزان بثلاث رحلات إلى مصر ، وأعطى وصفا دقيقا للأوضاع بها في ظل حكم المماليك ، لكنه يذكر أنه زارها بعد فتح السلطان سليم لها ، وأن وجوده هناك وافق خروج السلطان سليم من الإسكندرية ، فلعل فترة زيارته لمصر كانت بين ( 1515 ، 1517 ) وأنه زارها في طريقه إلى القسطنطينية أو طريق العودة منها ، كما زار الحرمين الشريفين وبعض جهات آسيا ، ويذكر لنا أنه إذا أمد الله في عمره سيقوم بوصف كل الأماكن الآسيوية التي زارها ( شبه جزيرة العرب ، الجزء الآسيوي من مصر ، العراق ، فارس ، بلاد التتار ، آسيا الصغرى .. ) لأنه لا يود أن يتعرض لوصف هذه البلاد في كتابه الذي خصصه لاسفاره في إفريقيا حتى لا يبعده ذلك عن الموضوع الرئيسي للكتاب (23) . ولا ندري هل حقق هذا الأمل ؟ وهل له كتاب أو كتب في هذا الشأن ما زالت بعيدة عن متناول أيدينا ، أم لا ؟

هكذا نرى أن الوزان قضى معظم وقته بعد أن شب عن الطوق متنقلا في أعمال تتعلق بالتجارة أو الحرب أو الدبلوماسية أو كقاض أو حكم في المنازعات المدنية والمادية أو ككاتب عدل أو في رفقة والده أو عمه ، ولذلك لم تكن لديه - كما يذكر - أوقات فراغ طويلة ، لكن في أوقات الفراغ هذه كان يتغنى بالأشعار (24) .

هذا وفي أثناء عودته من القسطنطينية ، كان في تونس - كما ذكر في عام ( 926 هـ - 1519 م ) ومنها أبحر قاصدا المغرب ، لكنه وقع في أيدي قرصان صقلية الذين كانوا يجوبون في البحر المتوسط قرب جزيرة جربة (25) ، ويبدو أن هؤلاء القرصان أدركوا أنه شاب ليس كباقي



الاسرى الذين يقعون بين ايديهم فلم يبيعوه فى اسواق النخاسة بل حملوه الى ( نابولي ) ثم الى (روما) حيث قدموه هدية الى البابا ليو العاشر ، وكان هذا البابا من أسرة أثرت من التجارة لكنها أيضا - كما ذكرنا - اشتهرت بتشجيعها للعلم والعلماء - فعرف له مكانته واضفى عليه رعايته واطلق سراحه كما أطلق عليه اسمه ، وأتاح له فرصة الاجتماع بالعلماء والادباء الذين كان ( البابا ) يحتضنهم .

وتشير المراجع التي تعرضت لهذه الفترة الحاسمة من حياة ليو - جدلا حول اعتناقه المسيحية من عدمه ، وهل تم هذا مجاملة البابا الذي احتضنه او للوسط المسيحي الذي وجد فيه ، أم عن اقتناع ويغين كما يدعى (John Pory) الذي نقل مؤلفه الى الانجليزية عام 1600 26) .

وهذه النقطة ما كانت تستحق وقفة او تعليقا لولا أن بعض الكتاب الاجانب الذين تعرضوا لهذه الفترة بالذات اتخذوا منها تكة فرددوا فكرة ان تحول المسلمين عن دينهم كان فى ذلك الوقت أمرا شائعا . ومما لا شك فيه ان المسلمين فى الاندلس تعرضوا فى هذه الفترة الى ضغوط عنيفة واضطر كثيرون منهم الى الهرب بدينهم الى المغرب وغيره من بلاد الساحل الافريقي المقابل لشبه جزيرة ايبيريا ، وقد كان العامل الديني من ابرز العوامل فى الحرب بين ملوك اسبانيا والبرتغال من جهة وبين العرب من جهة اخرى ، وقد حاول هؤلاء الملوك تعقب العرب فى شمال افريقيا بل حاولوا تطويق القوى الاسلامية والقضاء على مصدر قوتها التي كانت فى ذلك الوقت تتمثل فى تجارة الشرق ، فكانت المحاولات للسيطرة على شرايين الملاحة المؤدية الى مصادر هذه التجارة .

ويهمنا فى مجال بحثنا هذا موقف البابوية من هذه الحركة ومباركتها لها ، فهذا بلا شك يلقي الاضواء على موقف البابا ( ليو العاشر ) من الوزان ، والاهتمام بما يمكن أن تستفيد الدول المسيحية فى كفاحها ضد القوى الاسلامية من رحلاته والمعلومات التي كشف عنها . فليس الهدف العلمي فحسب كما تصور الكتابات الاجنبية هو العامل الوحيد الذي يفسر موقف البابا ( ليو العاشر ) من رحالتنا ، خاصة انه كانت لهذا

البابا بالذات مواقف اخرى معروفة فى التاريخ الاوربي حين اصطدم الدين بالتيارات الفكرية العصرية التي هي فى الحقيقة من نتاج عصر النهضة الاوربية ، وقد اشرت قبل الى ان البابا ( ليو العاشر ) لعب دورا هاما فى اثناء حركة مارتن لوثر (27) .

على كل فيما يتعلق بالوزان فلا يمكن ان نجزم - دون دليل قاطع - بأن شخصا مثله عاش وشب فى بيئة اسلامية دينية فى ( فاس ) وتعلم فى اكبر معاهدها الدينية ، من السهل ان يتحول عن دينه خاصة انه لم يشر هو لشيء من هذا ، وكل ما فى الامر ان الذين تعرضوا للدراسة حياته ولمسوا ما قام بينه وبين البابا ( ليو العاشر ) من تقارب ومودة لم يتصوروا حدوث مثل هذا التعاطف بين البابا وشخص غير مسيحي ، وفسروا العمل الذي قام به البابا من اطلاق اسمه على الرحالة وغير ذلك بأنه دليل اعتناقه المسيحية برغبته ورضاه .

عاش الرحالة فى روما حوالي ثماني سنوات زار خلالها عدة مدن ، وفام بتدريس اللغة العربية بكلية مدينة بولونيا (Bologna) وفد ربطته فى روما صداقة بالقس (Viterbo) الذي اصبح فيما بعد كاردينالا باسم (Cardinal Egidi antonini) وقد علمه ( ليو ) العربية . لكن بعد وفاة البابا ليو العاشر فى عام ( 927 هـ - 1521 م ) يبدو انه لم يلق نفس المعاملة التي كان يعامل بها فعاد بعد فترة الى شمال افريقيا حيث لجأ لتونس فقضى بقية حياته حيث مات فى ( 1552 ) .

ويستنتج من كتابه ( وصف افريقيا ) انه ختمه فى روما فى ( 10 مارس 1526 ) ، فمغادرته روما اذا كانت بعد هذا التاريخ (28) .

**الاضاع فى البيئة التي عاش فيها الوزان ( قبل اسره وبعده ) :**

قبل ان نتعرض لكتاب وصف افريقيا الذي كان سبب شهرة الوزان لعله من الاوفق ان نقف وقفة نلقي فيها نظرة على المناخ الذي عاش فيه

سواء قبل أسره أو بعد أسره وانتقاله لاوريا ، ففي هذا المناخ تكوَّنت مفاهيمه وآراؤه واتجاهاته بالإضافة إلى تكوينه العلمي والثقافي .

لقد عاصر الرحالة فترة تعتبر - من الناحية السياسية - من فترات التاريخ الحاسمة سواء في المغرب أو في أوروبا . فقد كان المغرب يشهد غروب شمس دولة بني مرين - ملوك فاس ، وزيادة نفوذ بني وطاس واستبدادهم بالامر ، لكن لم تستقر الأمور لهم بمفردهم طويلاً فقد اشتد ساعد أمراء مراكش ( السعديين ) ووقعت بينهم وبين الوطاسيين حروب انتهت بأن دخل السعديون فاس سنة (956 هـ ) ونجحوا بعد ذلك في القبض على ( أبي حسون ) آخر الأمراء الوطاسيين ، وبذا انقرضت أسرة بني وطاس وذهب ملكهم .

وأدى هذا الاضطراب السياسي إلى ضعف السلطات الحاكمة في وقت كان فيه المسلمون في الأندلس يتلقون ضربات متتالية من القوى المسيحية التي كانت قد أخذت تفرض نفوذها على البلاد وتقضي على نفوذ المسلمين بها .

هذا بينما كان المشرق الإسلامي يشهد ظهور دولة فتية هي ( الدولة العثمانية ) التي استطاعت فتح القسطنطينية في عام (1453 م ) ، كما استطاع السلطان سليم الأول بعد ذلك في عامي (1516 - 1517 م) أن يقضي على نفوذ المماليك في الشام ومصر ، وغرب شبه جزيرة العرب ، كما استولى على رودس وبسط سيادته على بلاد الجزائر وتونس وطرابلس وبرقة ، وقد ذكر الوزان - كما أشرنا من قبل - أنه زار القسطنطينية ومصر بعد غزو سليم لها مباشرة .

هذا من الناحية السياسية . لكن رغم ظروف الاضطراب السياسي التي كانت تسود بلاد المغرب العربي في الوقت الذي عاش فيه الوزان فقد كانت هذه البلاد تنعم بنهضة علمية وفكرية تمتد جذورها إلى عصر المرينيين وإلى ما قبل ذلك . فأصبحت ( فاس ) مركزاً للعلم والمعرفة في العالم العربي يأتي إليها طلاب العلم من كل بقاع العالم الإسلامي

والأوربي ، وكانت شهرتها في هذا المجال تضارع شهرة ( قرطبة ) و ( غرناطة ) في أوج مجدهما . ولم يقتصر الازدهار العلمي على العناية باللغة العربية وآدابها وعلوم الدين فحسب (29) ، بل ان كثيرا من كتب الاغريق والرومان وغيرهم كانت تترجم الى العربية ، وتعيد مجالس الحكماء في فاس وتشجيعهم للعلم والعلماء الى الذاكرة مجالس العلم والعلماء في بغداد أيام الرشيد وغيره من خلفاء الدولة العباسية .

ونشير في هذا المجال الى البحث القيم الذي نشره عن هذا الموضوع الاستاذ الكبير محمد المنوني (30)

وقد حاول الكاتب ان يحدد للتيارات الفكرية في هذا العصر مسارات واضحة أهمها :

## 1 - أفكار جديدة في الاجتماع والتعليم

وتبرز هذه في مجال مؤلفات : ابن خلدون ، كذلك ابن السكاك (31) والمقري (32) ، الذي يبدي رأيا طريفا في التعليم بقوله : « انما افسد العلم كثرة الثوالب ، وانما اذهب بنيان المدارس » ويفسر ذلك بأن الناس استباحوا النقل من المختصرات الغريبة عن أربابها ، كما ان ما يرتب للطلبة من ( جرايات ) في المدارس قد جذبهم أكثر من السعي للعلم طلبا للعلم في ذاته (33) .

ويبدو أن السلطان ( أبا عنان المريني ) قد بنى ( مدرسة المتوكلية ) بفاس بهدف تلافي أمثال هذه العيوب .

2 - موضوعات دينية : وقد اتجهت هذه الموضوعات الى عدة اهداف منها :  
1 ( الرد على اليهودية والمسيحية - وتتمثل في عدة رسائل وأبحاث منها « رسالة السائل والمجيب » - وهي عبارة عن حوار ديني طريف اشترك فيه عدد من رجال الدين المسيحيين واليهود ، ويذكر صاحب الرسالة أنه وضعها للرد على هؤلاء المجادلين بتكليف

- من وزير السلطان عبد الحق المريني (34) .
- ( ب ) مباحث تتعلق بالفقه المالكني .
- ( ج ) رسائل وأبحاث فى مقاومة البدع .
- ( د ) أبحاث جماعات معينة كالسنة والصوفية (35) .

3 - رسائل مكتوبة من بعض العلماء للحكام فيها نقد وتوجيه ( بقصد الإصلاح ) وقد اختلفت لهجتها بين الشدة واللين . ومن أمثلة ذلك رسالة الامام ( ابن عباد ) الى السلطان المريني عبد العزيز (36) .

4 - « كتابات جماعات الدفاع عن الاندلس » فقد ظهرت جماعات من العلماء نذرت نفسها لبحث الحكام والافراد للسفر للاندلس ، وتدعيم النفوذ العربى فيه ، وذلك نتيجة لما لمسوه هؤلاء من المخاطر التي يتعرض لها النفوذ العربى فى هذه البلاد .

وهناك ميدان آخر هام بالنسبة لمجال بحثنا حظي بنشاط المغاربة وقد اشرت اليه فى بداية الحديث ، وهو مجال ( الرحلات العلمية ) وما يتبعها من كشف مناطق وتوجيه الانظار لحقائق علمية واجتماعية غير معروفة . والحقيقة أن كتاب الوزان عن ( وصف افريقيا ) والذي يتضمن مشاهداته فى هذه القارة التي كانت حتى ذلك الوقت يطلق عليها الاوريون اسم القارة المظلمة ( أي التي لا يعرف العالم الاوربي شيئاً عما فى داخلها ) - يمثل حلقة فى سلسلة الجهود التي قام بها عدد من المغاربة فى هذا المجال - وقد أشار ليو نفسه فى كتابه الى بعض هؤلاء من امثال : البكري (37) ، والادريسي (38) ، وابن جبير (39) ، وابن سعيد الفرناطي (40) ، وابن بطوطة (41) ، وابن خلدون (42) .

وكتابات هؤلاء الرحالة ما هي الا نماذج للرحلات التي قام بها عدد كبير من المغاربة ، وانتظمت هذه الرحلات مناطق عديدة فى المغرب والمشرق بل وقلب القارة الافريقية . والحقيقة أن هذه الظاهرة التي برزت فى ذلك الوقت فى كتب ( المسالك والممالك ) ، وكتب الرحلات ،



والزيارات ( أي الرحلة لفرض الحج ) - تلك الكتب التي لم تكتف بالطريقة الوصفية للطرق والمراحل ، لكن خرجت لنطاق الدراسات الاجتماعية والتحليلية لعادات الناس وطرق معيشتهم وتصرفهم في حياتهم - تحتاج لبحث أعمق ودراسة أشمل (43) .

هذه صورة لبعض مظاهر الحضارة التي كانت مزدهرة في الاندلس والمغرب في هذه الفترة التي عاش فيها الوزان - وهي بيئته الأصلية والأولى .

أما فيما يتعلق بأوروبا ففي ذلك الوقت كانت قد أخذت تتخلص من التخلف الحضاري الذي خيم عليها في العصور الوسطى ، وأسهمت الحضارة العربية الإسلامية الزاهرة في قيام هذه النهضة الأوروبية . وكانت الاندلس بما ازدهرت فيها من حضارة عربية عملاقة من أهم مصادر الإشعاع الحضاري القوية على أوروبا .

وتميزت شبه جزيرة إيطاليا التي احتضنت رحالتنا بعد أسره ، بالسبق في الأخذ بأهداب النهضة الحديثة التي ساهمت فيها أسر حاكمة شجعت الآداب والفنون مثل أسرة مدتشي التي ينتمي إليها البابا ليو العاشر .

هذا ونشير إلى أن هذه الفترة في أوروبا كانت أيضا فاتحة عصر الكشوف الجغرافية الأوروبية الحديثة ، ولا شك في أن المجتمعات الأوروبية كانت تموج بأخبار الرحلات الكشفية التي أسفرت عن كشف العالم الجديد ، كما كان البرتغاليون قد نجحوا في الوصول إلى رأس الرجاء الصالح وعبروه إلى الساحل الشرقي (فاسكو دي جاما 1498 م)، وإن كان الوصول إلى قلب القارة الأفريقية ومعرفة حقيقة شبكة المجاري المائية بها واتجاه الأنهار الرئيسية وعلاقتها ببعضها البعض الآخر ( النيل ، الزمبيزي ، النيجر ، الكونغو ) ظل حلمًا يراود عقول المكتشفين الأوروبيين ويتحدى عزيمة لعدة قرون ، فقد ظل الكثير من أسرار القارة غامضا حتى قرب ختام القرن التاسع عشر (44) .

وهذا يعطي فكرة عن مدى تقبل العالم الاوربي لكتاب الحسن بن محمد الوزان وللمعلومات التي ادلى بها عن المناطق الداخلية من القارة التي كان الاوربيون يجهلون عنها كل شيء .

على ان وجوده في هذا الوسط الاوربي ، ومع جمع من العلماء الاوربيين - في مقدمتهم الذين وصفوا بأنهم علماء النزعة الانسانية من الايطاليين (Italian Humanists) - وكان البابا ليو نفسه احد هؤلاء - بالاضافة الى اجادته لعدد من اللغات الاوربية - مكنه بلا شك من الاطلاع على العديد من انتاج الفكر الاوربي (45) ، وقد عوضه هذا عن افتقاره للمراجع العربية التي تركها في وطنه الاصلي ، كما ذكر هو .

### كتاب وصف افريقيا وقيمته العلمية :

هذا الكتاب ليس الانتاج الوحيد للمؤلف ، لكنه الكتاب الوحيد له الذي نشر وتداولته الايدي وكان سبب شهرته ، وسنشير فيما بعد الى المجالات الاخرى التي كتب فيها - او على الاقل - التي ذكر انه الف او سيؤلف فيها .

ويحيط الغموض بالظروف التي الف فيها الكتاب ، والطريقة التي اتبعها الكاتب في اثبات معلوماته ، ذلك ان الكتاب ظهر لأول مرة حين عشر (Ramusio) من اسرة مؤسسة (Hakluyt) في عام 1550 م على النسخة الخطية الايطالية للكتاب ونشرها في ثلاث مجلدات مع مقدمة له ، في مجموعة عن الرحلات (46) .

واعيد طبعها بعد ذلك بالاطالية في عام 1554 م ، كما طبعت طبعات اخرى بنفس اللغة بعد ذلك . ومما زاد في غموض الوضع ان الاصل الايطالي الذي نقل عنه (Ramusio) لم يعثر عليه ولم يعرف مصيره ، وقيل انه ربما ذهب في الحريق الذي شب بعد ذلك ، واتى على كثير من كتب المؤسسة (47) .

هذا ولا يذكر الكتاب المنشور شيئاً عن الطريقة التي حصل بها (Ramusio) على النسخة الخطية ، ولا عن مصير هذه النسخة الخطية (48) .

ويثار جدل كبير حول الأساس الذي اعتمد عليه ( ليو ) عند كتابة كتابه بالاطالية ، هل كانت لديه نسخة باللغة العربية حملها معه الى ايطاليا ، وعلى أساسها وضع ترجمته الايطالية ؟

هذا ما يرجحه (Ramusio) ناشر الكتاب بالاطالية ، فعند حديثه عن حياة الرحالة يذكر انه اثناء اقامته في روما ترجم للايطالية الكتاب الذي كان يحمله حين أسر ، وأن البابا ( ليو العاشر ) حين عرف بأنه يحمل مؤلفاً هاماً في الجغرافية ، قابله باحترام وطلب منه ترجمته للايطالية . وهذا بالطبع لا ينفي انه عند الترجمة أدخل تعديلات كثيرة على الكتاب . وقد ذهب الى نفس الرأي كثيرون منهم (John Pory) صاحب الترجمة الانجليزية (49) .

وقد ذهب البعض الى تأكيد وجود نسخة عربية للرحلة ، ولكنها فقدت اثناء هجوم القراصنة على السفينة المقلّة له ، والبعض ذكر أنها كانت موجودة طرف أحد هواة جمع الكتب الخطية يدعى (V. Pinelli) (50).

بينما ينفي آخرون وفي مقدمتهم ماسينون (Massignon) وجود مخطوطة عربية للكتاب ، معتمدين على ما ذكره المؤلف نفسه من انه يدون مشاهداته وملاحظاته معتمداً على ذاكراته بعد مضي أعوام لم تقع فيها عينه على مصنف لمؤرخ عربي واحد (51) .

ومنذ ظهرت الطبعة الايطالية للكتاب بدأ العالم الغربي يدرك أهمية الكتاب ، فترجم الى عدة لغات ، وظهرت عدة طبعات له باللغة الواحدة . ومنذ عام (1556) قام (Jean Temporal) بترجمة للكتاب الى الفرنسية - طبعها في مدينة (ليون) وذلك عن الطبعة الايطالية التي صدرت في (1854) وأهداه لولي عهد فرنسا في ذلك الوقت (52) ،

واعيد طبع الكتاب بالفرنسية فى مدينة ( انتورب ) فى نفس العام ( 1556 ) . وفى نفس العام أيضا نشر (Joanes Florianus)

فى ( انتورب ) ترجمة لاتينية للكتاب ، وكانت اللغة اللاتينية لا زالت لغة الطبقة المثقفة فى أوربا ، ولذا لاقت هذه الطبعة رواجا ضخما (53) .

وهذه الطبعة اللاتينية للكتاب تهمنا بالذات لان معظم الطبوعات الاخرى أخذت منها ، لكن للأسف فقد وقعت فيها عدة أخطاء وبالإضافة الى أخطاء فى الترجمة نتج عنها ان الترجمة اللاتينية لكثير من الالفاظ لم تكن هي المقابلة للفظ الايطالى الاصلى - فقد وقع المترجم فى أخطاء متعددة أخرى حين حاول ان يشير للسنوات الميلادية المقابلة للتواريخ الهجرية المذكورة فى الاصل ، او حين حاول ان يضيف تفسيرات - لم يقصدها المؤلف - لبعض الظاهرات التى أوردها - ولذا فان هذه الترجمة رغم أن لها الفضل فى جعل كتاب ( ليو ) فى متناول كثيرين بعد ذلك بعدة لغات - لكنها فى نفس الوقت مسؤولة عن كثير من الأخطاء التى تناقلتها الترجمات الأخرى .

وقد قام (John Pory) بأول ترجمة عرفت للكتاب باللغة الانجليزية ، ونشرت مؤسسة (Hakluyt) هذه الطبعة فى عام (1600) وان كان (Pory) قد وقع فى بعض أخطاء (Florianus) إلا انه تخلص من بعض أخطائه ، مما يرجح أنه رجع أحيانا الى اللغة الإيطالية (54) .

وفى عام (1665) ظهرت فى ( روتردام ) طبعة هولندية للكتاب ، كما ظهرت فى عام ( 1805 ) ترجمة ألمانية له ، وظهرت ترجمة إسبانية له فى عام ( 1940 ) (55) .

على أن من أهم طبعات الكتاب التى اشتملت على تعليقات علمية :

1 - الطبعة الفرنسية التى ظهرت لـ (Ch. Schefer) ( 1896 - 1898 ) (56) .

2 - الطبعة الانجليزية التي ظهرت فى 1896 بتعليقات وملاحظات للدكتور برون (Dr. R. Brown) (57) .

على اننا نشير الى انه بالإضافة الى هذه الترجمات ، عملت عدة دراسات على اساس كتاب الوزان نذكر منها على الخصوص :

1 - البحث الذي اعده (Francis Moore) بالانجليزية فى عام ( 1738 ) عن غمبيا مستندا الى ما كتبه ( ليو ) عن الممالك الزنجية بغرب افريقيا .

2 - تحليل لبعض الحقائق التي اشار اليها ليو - نشره فى عام (1801) بالالمانية : (Bruns, Harfrath Paul Jacob)

3 - البحث القيم الذي وضعه (Lorsbach) مدير جامعة ناسو (Nassau) فى عام 1801 أيضا فى 20 صفحة مبرزا الاخطاء التي وقع فيها (Florianus) فى ترجمته اللاتينية . وكان هذا البحث دافعا لظهور ترجمة المانية دقيقة للكتاب فى عام 1805 (58) .

4 - وصف الرحالة الفرناطي (Mormol Caravajal) لكثير من جهات افريقيا - مقتبسا من رحلة ليو ، وهذا الرحالة كان معاصرا لليو ، وقبض عليه وسجن لفترة أثناء حملة ( شارل الخامس ) على الجزائر .

5 - كتابات كل من لانجر (Langres de Tassy) ، ومورجـان (Joseph Morgan) عن الجزائر ، مأخوذة مما كتبه ليو عن هذه البلاد - رغم انها ظهرت بعده بمدة فى القرن الثامن عشر (59) .

6 - البحث القيم الذي قام به (Louis Massignon) عن مراکش فى السنوات الاولى من القرن السادس عشر فى ضوء وصف ليو الافريقي (60) .



هذه بعض أمثلة فقط - ويضيق المجال عن ذكر عشرات الكتاب الآخرين الذين ذكروا أنهم مدينون له في كتاباتهم ، أو الذين نقلوا عنه أو تأثروا به دون أن تكون لديهم الامانة الكاملة للإشارة اليه .

ولا نكون بعيدين عن الصواب اذا قلنا انه يندر ان كتب كاتب عن شمال أو وسط افريقيا منذ بداية النصف الثاني من القرن السادس عشر وحتى منتصف القرن التاسع عشر - حين بدأت الكشوف الجغرافية المتأخرة تكشف اشياء كثيرة كانت مجهولة عن قلب القارة - من غير ان يستعين بما كتبه ليو عن هذه البلاد - وقد صرح المستشرق الالمانى هارتمان (Hartmann) في القرن الثامن عشر بان كتاب ليو كنز من الذهب ، ولولاه لخفيت عليه اشياء كثيرة (61) .

وحتى الرحالة الانجليزي بارث (Barth) الذي وصل الى تونس في سنة 1849 ضمن حملة لكشف وسائل تنشيط التجارة عبر الصحراء الافريقية الكبرى للقضاء على تجارة الرقيق ، ووصل الى (كانو) وساح في منطقتي (كانم) و (باجرمي) ووصل الى (تمبكتو) - نجده يبدي اعجابه بما كتبه ليو ، ودقته في تسجيل ما رآه حتى انه وعد بعمل ترجمة جديدة مع تعليقات لرحلة ليو - رغم مرور ما يقرب من ثلاثة قرون عليها ، لكن وفاته في عام (1865) حالت - كما يبدو - دون اتمام هذا الوعد ، وان كان كثيرون فيما بعد وجدوا في مشاهدات (بارث) مجالا للمقارنة بما سجله ليو (62) .

هذا ولم يقتصر اثر كتاب ليو على ذلك ، فقد امتد الامر الى رسامي الخرائط ، فقد ذكرنا ان كلا من (Ramusio) ، (Pory) نشر خرائط عن افريقية بناء على وصف (ليو) للمناطق التي زارها ، وقد ظلت هذه الخرائط حتى وقت متأخر - المصدر الوحيد لرسامي الخرائط حتى ان كثيرا من المعالم الجغرافية والبلاد ظلت توضح على الخرائط كما هي رغم التغييرات الكثيرة المنتظرة التي طرات على الكثير من هذه المناطق نتيجة للظروف البشرية والطبيعية التي تعرضت لها (63) .

## جولة سريعة مع كتاب وصف افريقيا (64) :

يصعب ان يعطي المرء صورة سليمة عن كتاب بهذا الضخامة ، ويحتوي على كل هذا القدر من المعلومات في لمحة سريعة كهذه ، فان كل جهد يبذل في هذا السبيل قاصر عن اعطاء صورة حقيقية للكتاب ، فلا غنى عن الكتاب نفسه ، ولذلك لا شك ان مكتبتنا العربية تنقصها ترجمة علمية دقيقة لهذا الانتاج الذي سطره يراع هذا الرحالة المغربي العربي - خاصة وانه قد ترجم - كما اشرنا من قبل - تقريبا الى جميع لغات العالم - لكن الى ان يتم هذا العمل نشير هنا الى بعض ما تناوله الكتاب ، ولعل هذا يحفز الى ان يقوم احد المختصين أو لجنة مختصة بترجمته .

الكتاب في تسعة اقسام ( ابواب ) اطلق الوزان على كل قسم منها لفظ ( كتاب ) فهو في تسعة كتب - كما يسميها المؤلف - ولا تتوزع هذه الكتب - في الطبعة المشار اليها والتي ظهرت في ثلاثة اجزاء - بالتساوي على الاجزاء الثلاثة ، خاصة ان الكتب ذاتها تختلف اختلافا بينا من حيث عدد الصفحات .

فالجزء الاول - لا يشتمل الا على الكتاب الاول للوزان - بالاضافة الى مقدمة (John Pory) واضافاته المتعددة وتعليقات (Dr. Brown) الدقيقة ( من ص 1 الى ص 224 في الطبعة التي اشرت اليها ) .

بينما اشتمل الجزء الثاني - على الكتب الثلاثة التالية لليو ( الكتاب الثاني والثالث والرابع ) ( من ص ب 225 الى ص 690 ) .

ويشتمل الجزء الثالث - على الخمسة كتب الباقية ( من الخامس الى التاسع ) ( من ص 690 الى ص 1106 ) .

وتشمل الاضافة التي الحقت بالجزء الاول على مقدمات طويلة بقلم (Pory) ثم تعريف بالمناطق التي لم يتناولها ليو والتي

أضيفت للكتاب بهدف إعطاء صورة كاملة عن جميع أجزاء القارة - كما يذكر الناشر (65) . فيبدأ بالأقاليم المطلة على البحر الأحمر ، ويتحدث عن الإمبراطورية الإثيوبية ( إمبراطورية برسترجون (Prete Janni) (66) وزنجبار ، وموزمبيق ، وإمبراطورية المونوموتابا (67) ، وأرض الكافر (Kaffir) (68) ، ثم مملكة الكنفو (69) ، وأنجولا - ثم ممالك بنين ، وغينيا ، وسيراليون ، والرأس الأخضر ، وغينيا - غرب القارة .

ثم تلى هذا وصف ودراسة للجزر التي أهملها ليو والواقعة حول السواحل الأفريقية ( سوقطرة ، والجزر المقابلة للساحل الشرقي للقارة ، وسنت هيلانة ، وساوتومي ، وفريناندوبو ، والرأس الأخضر ، وكناريا ، وماديرة ، وأزور ) - وقد استنفدت هذه المقدمات وتعليقات الدكتور برون عليها 122 صفحة .

**أما كتاب ليو الأول ، فيتحدث عن إفريقيا وسكانها بصورة عامة .**

فيبدأ بتفسير سبب تسمية القارة بإفريقيا ، ويرجع في ذلك إلى ابن خلدون وأبي الفداء وغيرهما . ثم يعطي تحديدا عاما للقارة - من النيل شرقا - كما يقول - إلى المحيط غربا (70) .

ويقسم القارة إلى أربعة أقسام ( بلاد البربر ، نوميديا ، ليبيا ، أرض الزنوج ) ويعود فيقسم كل من الأقسام الأربعة السالفة الذكر إلى أقسام ( ممالك ) (71) .

ثم ينتقل لدراسة سكان إفريقيا فيتحدث عن أصلهم ، وقبائلهم ، ويتعرض للدراسة وتحليل عادات وطبائع الأفارقة من سكان صحراء ليبيا بالذات وفي الأقاليم الواقعة غرب مصر (72) .

ويشير عند حديثه عن الديانات المنتشرة في إفريقيا إلى أنه سيخصص دراسة خاصة يتناول فيها على الخصوص الاختلافات الدينية بين المسلمين في إفريقيا وآسيا (73) .

ويتحدث عن اللغات المنتشرة فى افريقيا - فيناقش قضايا هامة جدا لا زال بعضها مطروحا للبحث اليوم - مثل اتجاه الغزاة دائما لفرض ثقافتهم ولفتهم على البلاد المغلوبة على أمرها ويضرب امثلة بما فعله الاتراك وغيرهم بالشعوب التي خضعت لهم (74) .

ويتساءل هل كانت للافريقيين لغة او لغات أصلية - خاصة بهم وينتهي بوجود لغات افريقية أصيلة (75) .

ويورد ملاحظات مناخية دقيقة تتعلق بالرياح التي تهب على القارة فى شهور السنة المختلفة والتغيرات الجوية التي تتعرض لها (76) .

ويتعرض لموضوع طريف يتعلق بأعمار الافارقة وعلاقتها بالبيئة التي يعيشون فيها (77) .

كما يتعرض لبعض الامراض التي يتعرض لها الافارقة ( كالجدري ) وكيف وصلت للقارة (78) .

ويتحدث عن بعض الخصائص المميزة لهم كعلمهم بالفن والعلوم الرياضية والفلسفة والتنجيم ، وعن بعض الصفات الغالبة عندهم كالوفاء والشرف ، وجب الترحال والتنقل (79) .

كما يشير لبعض الرذائل والنقائص التي تشيع بينهم كحدة الطبع وسرعة الغضب (80) .

ولعل هذا يدحض اقوال الذين اتهموه بعدم الدقة بحجة محاولة اعطاء صورة وردية عن القارة التي ينتمي لها (81) .

وقبل نهاية هذا الكتاب يعتذر الكاتب عن تركيزه الحديث عن افريقيا - بأنها القارة التي ينتمي لها وتشقف فيها واتيحت له فرصة التجول فيها (82) .

فالكتاب الاول عبارة عن دراسة عامة للقارة تناول فيها النواحي الطبيعية المناخية والاقتصادية والاجتماعية والبشرية - ولا شك في أن هذا يدل على دقة في الملاحظة مع نظرة شاملة والمأم بعهد من المعارف والعلوم - لعنا نفتقر اليه اليوم في اطار ما جنحنا اليه من التخصص الدقيق والمفهوم الخاطيء له - على ما اعتقد .

بعد هذه الدراسة العامة يبدأ الجزء الثاني من الطبعة المذكورة والذي كما قلنا يضم الكتب الثلاثة ( الثاني والثالث والرابع ) . وفيه يقدم دراسة تفصيلية لبلدان الشمال الافريقي مبتدئا من الغرب ويتجه شرقا حتى حدود مصر .

وقد خصص كتابه الثاني عن مراكش ، فتحدث عن مساحتها ، وعن تأسيسها ، وتطرق للحديث عن حوانيتها ، ومخازن الكتب بها ، وعن منار الكتبية العظيم (83) . والذي بني هو ومنار اشبيلية وكذا (مسجد حسان) بالرباط على نسق واحد ، ويقال أن مهندسا واحدا هو الذي وضع تصميمها كلها ، وأشار في هذا الباب أيضا الى بعض مدن ( دكالة ) ، كما أشار الى ( أسفي ) و ( أزموور ) (84) ووقعها في يد البرتغال ، وأشار الى الرحلة التي قام بها عمه كسفير عن ملك فاس الى ملك ( تمبكتو ) ، وقد رافقه الحسن بن محمد الوزان في هذه الرحلة ، ويذكر أشياء طريفة بخصوص هذه الرحلة فيذكر مثلا أن عمه تلقى دعاوي من بعض الأمراء في المناطق المجاورة ليزورهم وذلك لشهرته لكنه اعتذر بأنه موفد في مهمة رسمية فلا يجب أن يغير خط السير المرسوم له ، ولذا أوفده هو بهدايا وبقصائد مدح لهؤلاء الحكام (85) ، ويتحدث عن بعض الجبال القريبة من ( سجلماسة ) و ( دارا ) ، وأنها تشتمل على كميات كبيرة من ( النترات ) لكن الأهالي لا يستغلونه على الوجه الاكمل (86) .

وهو هنا يتحدث عن وطنه الذي عاش فيه ، فهو حديث العارف المتمكن المتعمق ، بل يوغل في أعماق التاريخ ليحدثنا عن أصل كل مدينة ومؤسسها وسبب تسميتها والتطورات التاريخية التي مرت بها ، وحين يصل للمدينة الحديثة في عصره يتحدث عن كل نواحي الحياة فيها.



وعندما يتعرض للثغور المغربية الهامة مثل ( اسفي ) و ( أزمو )  
يسهب في الحديث عن سقوطها في أيدي البرتغال وما ترتب على ذلك من  
هجرة كثيرين من سكانها للسكنى في ( سلا ) أو في ( فاس ) هاربين من  
حكم البرتغال (87) .

**أما كتابه الثالث -** فيخصص ليو شطرا كبيرا منه للحديث  
عن فاس (88) ، ولا يكاد يترك صغيرة أو كبيرة تتصل بها الا ويذكرها ،  
فهو يتحدث عن تشيدها ، ثم يصف المدينة ومنازلها التي يصفها وصفا  
يذكرنا بالمنزل المغربي اليوم - فهناك صحن في الوسط تحيط به الغرف،  
ويتحدث عن جامع القيروان بها ويقدم له وصفا دقيقا ، ويتحدث عن  
مدارس فاس ومستشفياتها وحماماتها وفنادقها وأسواقها ، بل وعن  
طواحين الفلال بها ، وحديثه يدل على دقة الملاحظة والتحليل ، فهو  
يوضح كيف أن النقابات الطائفية التي تجمع أصحاب المهنة الواحدة تقوم  
على أساس نظام تكافلي سليم ، وحين يتحدث مثلا عن صناع السروج  
يلفت نظره - ذوقهم السليم واثقانهم لصناعتهم فهم يختارون أحسن  
الجلود للمناطق البارزة للعيان ، بينما يستبقون الجلود الأقل جودة  
للمناطق غير الظاهرة (89) .

وحين يتحدث عن منطقة ( القيصرية ) بفاس يرجع التسمية الى  
( يوليوس قصير ) والنفوذ الروماني بشمال افريقيا (90) .

وينتقل للحديث عن المنطقة السكنية بفاس بحدائقها الغناء ، وعن  
نظام الإدارة والحكم فيها باعتبارها حاضرة الحكم ، ويتطرق للحديث عن  
التقاليد المرعية في القصر الملكي بها ( البروتوكول ) (91) .

كما يتحدث عن المجتمع الفاسي فيذكر عادات السكان في  
الزواج (92) ، وفي الاحتفالات الدينية وفي الأكل والشرب وطبقات  
المجتمع ولا يترك حتى المنجمين وقراء الطالع والسحرة والباحثين عن  
الثروات التي يعتقدون أنها مخبأة بين أنقاض الأماكن القديمة ، ومن

يتجولون فى الطرقات يحملون حيات ترقص على الانغام ويرتزقون مسن ذلك (93) . كما يذكر العابهم وكيفية قضاء اوقات الفراغ (94) .

ويتحدث عن فاس الجديدة التي تبتعد عن المدينة القديمة بميل تقريبا ، وكانت تسمى المدينة البيضاء (95) .

ويتحدث الوزان — عن ( الرباط ) فيذكر ان الذي بناها هو (يعقوب بن يوسف المنصور ) وانه بناها على البحر المحيط لتكون مدينة بحرية سهل فيها مرابطة جيشه والسيطرة منها على المناطق الاسبانية الخاضعة له (96) .

وعن ( سلا ) ذكر ان الرومان هم الذين بنوها على ( نهر بورقراق ) على بعد ميلين من المحيط .

اما ( المعمورة ) فيذكر ان يعقوب المنصور اسسها عند مدخل نهر ( سبو ) لتكون منطقة دفاعية ضد محاولات الغزو الاجنبي ، ويذكر انها كانت ميناء تجاريا تتجر فى ( العسل ، والشمع ، والصوف ، والجلود ، والاشباب ) لكنها فقدت اهميتها التجارية بعد احتلال البرتغاليين لها . ويتحدث عن معركة المعمورة التي شن فيها الوطاسيون فى ( يوليو 1515 ) هجوما بطوليا على البرتغاليين فقتلوا ما ينيف عن اربعة آلاف وفر الباقون (97) .

ويصف ( مكناس ) فيتحدث عن موقعها ، وتسميتها ، وعن حدائقها وفاكهتها الممتازة ( العنب ، والتين ، والبرتقال ، والخوخ ) — وعن قنوات المياه التي تأتي بالمياه النقية للمدينة من نافورة على بعد ثلاثة أميال منها . ويتحدث عن الصراع الذي قام بين حكامها وبين ملك فاس وحصار الملك لها — لكنها استطاعت ان تقاوم الحصار لانها مدينة حصينة وغنية (98) .

وينتقل للحديث عن مدن المغرب الاخرى كمدينة ( القصر الكبير ) فيذكر قصة طريفة عن ظروف بناء ( المنصور ) سلطان مراکش لها ، فقد

ضل الملك الطريق اثناء رحلة صيد فى جو عاصف فاكرمه صياد وآواه  
وقدم له ( عنزته ) الوحيدة . فكافاه الملك بمنحه قصرا كان نواة للمدينة  
العظيمة (99) .

وفى حديثه عن مدينة اصيلا (Arzilla) (100) ، يذكر ان  
الرومان هم الذين بنوها ، ويتابع الحديث عن تاريخها حتى استيلاء  
البرتغال عليها ، ثم كفاح ( محمد البرتغالي ) لاستردادها - وقد شارك ليو  
نفسه فى بعض الحملات التي ارسلها ملك فاس ضد البرتغاليين  
فى اصيلا (101) .

ويتحدث بنفس المنهج عن ( طنجة ) و ( القصر الصغير ) و ( سبتة )  
و ( تطوان ) و ( المهدية ) .

ولا شك فى ان ( ليو ) يمدنا فى هذا الجزء من كتابه بمعلومات  
هامّة عن بلدان المغرب العربي التي خصص لها الكاتب جزء كبيرا من  
جهده ، والتي كان على علم ودراية بتطورها التاريخي ، فسجل ذلك بكثير  
من الدقة . ويعتبر كتابه عن الثغور المغربية وكفاحها ضد الغزو البرتغالي  
من اول وادق الكتابات فى هذا المجال ، فهو مرجع اصيل فى هذه  
الاحداث .

ويخصص ليو **الجزء الرابع** - او الكتاب الرابع كما يسميه -  
للحديث عن مملكة ( تلمسان ) (102) فتحدث عن حدودها ويتتبع تاريخها  
حتى حكم الاسرة ( الزيانية ) التي يقول انها بقيت هي واتباعها تحكمها ما  
يقرب من ثلاثمائة عام (103) .

ويوضح الظروف التي انتهت بوقوع مملكة تلمسان بين فكي الكماشة  
الاستعمارية - الاتراك العثمانيون من جهة والقوى الاستعمارية الاوربية  
( الاسبان بالذات ) من جهة اخرى .

ويتابع الحديث عن مدينة ( تلمسان ) ذاتها وتطورها من مدينة  
صغيرة حتى وصلت الى ذروة مجدها فى عهد حكم ابو تاشفين عبد

الرحمن ( 791 هـ - 1389 م ) ، ويتحدث عن مساجد المدينة ومعاهدها ومتاجرها وسكانها ، والعادات المتبعة في قصور حكامها - بنفس النظام الذي اتبعه في الحديث عن ( فاس ) .

وينتقل الى الحديث عن ( وهران ) و ( مستغانم ) ثم ( الجزائر ) التي كانت فترة خاضعة لنفوذ ملك تلمسان ، لكن حين ضعفت الاسرة الحاكمة بتلمسان أصبحت الجزائر هي الاخرى مطمع انظار الاتراك العثمانيين والاسبان . وتحدث عن ظهور ( عروج ) وتدخله في شؤون الجزائر ( 1516 ) وقتله ( 1518 ) وانتقال الامر بعده الى اخيه ( خير الدين بربروسا ) الذي وضع نفسه والمناطق التي في حوزته تحت نفوذ السلطان سليم العثماني وضرب السكة باسمه في الجزائر - وبذا دخلت هذه البلاد في مرحلة جديدة من تاريخها (104) ... وهكذا ختم الكاتب كتابه الرابع .

**اما الكتاب الخامس** فهو عن مملكة بجاية وتونس - فيصف مدن بجاية ، وقسنطينة (105) ، وبونة ، وقرطاج (106) ، وتونس (107) ، والمهدية (108) ، والقيروان (109) ، وصفاقس وقابس - ويتحدث عن ظروف تشييد كل منها ، وآثارها الهامة ، واهم الاعمال التي يقوم بها السكان ، وما لفت نظره من حياة الناس وتقاليدهم وعاداتهم . بل يستطرد الى الحديث عن تاريخ هذه المدن والاحداث الهامة المتصلة بها، ويشير الى بعض الظواهر الطبيعية والجغرافية كتعرض المواني الهامة لطفيان البحر - ثم يتحدث عن جزيرة ( جربة ) (110) ، الواقعة على مسافة قليلة من ( قابس ) ويشير الى انها المكان الذي اسره فيه القرصان الايطاليون وحملوه الى روما ، فيتحدث عنها باسهاب ويذكر ان تربتها خصبة فيزرع بها البلح ، والزيتون ، والكروم ، والفواكه الاخرى ، وان سكانها يشتهرون بصناعة نوع خاص من الاقمشة يتجرون به في تونس والاسكندرية ، ويذكر ان ملك اسبانيا (Firdinando) حاول في ايامه الاستيلاء على الجزيرة لكن سكانها استطاعوا ان يوقعوا بالجنود الاسبان ، لكن ارسل الامبراطور ( شارل الخامس ) بعد ذلك اسطولا اجبر سلطات الجزيرة على توقيع اتفاق تدفع بموجبه جزية سنوية للاسبان قدرها 5 000 دينار ذهبيا .

اما **الكتاب السادس** - فقد تحدث فيه عن طرابلس ، ولبدة ، وفزان ، ووصف صحراء ليبيا ، وقد قسمها الى خمسة اقسام حسب القبائل التي تغلب على كل قسم منها .

وخصص **الكتاب السابع** - ( ص 817 - 837 ) للحديث عن ارض الزنوج ( ممالك السودان الغربي ) وهو يحددها بخمس عشرة مملكة يقول انها كلها تقع بالقرب من نهر النيجر او احد فروعها . ومن هذه الممالك التي افاض في شرحها ( مملكة جني ) وتحدث عن حدودها ومساحتها وغلاتها ( الشعير ، والارز ، والقطن ، والاغنام ، والاسماك ) ، وذكر انهم يبادلون القطن على الخصوص مع البربر بالاقمشة الاوربية والاواني المعدنية والاسلحة وذكر ان عملتهم ذهبية ليس عليها اية كتابة او طابع ، ويستغل الاهالي المجاري المائية للتجول في قواربهم التي يصنعونها من تجويف النخيل وذلك لترويج بضائعهم (111) .

اما (مملكة مالي ) فيذكر انها تمتد لمساحة 300 ميل على طول شاطئ احد روافد النيجر ، وتتميز برقيها وتقدمها ، فيها المستشفيات والمعابد التي تقام فيها ايضا حلقات الدروس ، وقد انتشر الاسلام بين سكانها ووصلت قوتها الى درجة ان استطاعت بسط نفوذها على مساحات واسعة واشتهرت بثروتها وبتصديرها للذهب والعبود (112) .

ويتحدث عن ( تمبكتو ) فيذكر ان مؤسس المدينة ذاتها هو ( منسا سليمان ) في سنة ( 610 هـ ) وبها معبد وضع تصميمه عامل من غرناطة ، وتكثر بها المراعي والزراعة ، ويتحدث عن القصر الملكي والتقاليد المتبعة ( من يقابل الملك يركع على ركبته ، ويهيل التراب على رأسه ) وبها عدد من القضاة والاطباء والعلماء ورجال الدين ، وعملتها ذهبية دون اية علامة مميزة (113) .

وتحدث عن ( جاو ) عاصمة ( امبراطورية صنغاي ) وذكر انها تقع جنوب تمبكتو ب 400 ميل تقريبا وتعتبر مركزا تجاريا هاما للاقمشة الواردة من بلاد البربر ، والقمح ، والسمنك ، والخمور ، والفواكه ،



والارز ، كما توجد بها سوق كبيرة للرقيق — ويذكر انه لا يوجد نوع من القماش او غيره معروف فى اوربا لا نجده فى أسواق جاو ، والملح هنا من أغلى السلع لانه يرد من ( تغازه ) على مسافة طويلة — ويصف قصر الملك الذي يدعى سني علي (Sonni Ali) وحرسه من الخيالة والمشاة، ومستشاريه (114) .

وأشار الى مملكة ( جوبير ) من ممالك الهوسا وهي تقع شرق (جاو) ويذكر انه حين يفيض النيجر يغطي الاراضي هنا بالمياه ويقوم الاهالي بالقاء البذور فى المياه ويتركونها ، ويذكر ان مملكة جوبير تعرضت للفزو من (اسيكا) ملك تمبكتو الذي قتل ملك جوبير واتخذ اولاده كعبيد (115) .

وأشار الى مملكة أخرى ، شرق النيجر وهي مملكة (كانو) وتشتهر بخصوبة تربتها حيث تزرع القمح ، والارز والقطن والفواكه ، وقد غزاها (اسيكا) ، لكنه عقد اتفاقا على ان تدفع (كانو) ثلث دخلها السنوي (116) .

أما مملكة ( بورنو ) — فهي تقع شمال (كانو) ، ويذكر ان ملك بورنو يقوم كل عام بغزوة ويعود من غزواته بالعبيد وهم يمثلون سلعة رئيسية ، ويذكر ان الذهب هنا كثير ، فكل الاواني والاطباق التي يستخدمها الملك بل سلاسل الكلاب الخاصة به من الذهب .. ويصف حياة الاهالي صيفا وشتاء — فقد قضى هنا — كما يقول — شهرا كاملا (117) .

ويصف ليو مملكة النوبة التي يقول انها تمتد من الغرب صوب النيل حتى كردفان وشمالا حتى حدود مصر ، وأن ( دنقلة ) اشهر مدنها ، ولها تجارة مع مصر والسكان خليط من العرب ، والبجه والزنوج ويمدون سلطانهم حتى (سواكن) على البحر الاحمر (118) .

وقد أشرنا الى ان الكتاب السابع الخاص بممالك السودان الغربي له أهمية خاصة لان الكاتب يعتبر من أوائل الذين زاروا هذه المناطق والقوا عليها الاضواء فى قمت كان العالم الخارجي يجهل عنها كل

شيء كما يتضح من الخرائط الجغرافية التي رسمت للقارة في ذلك الوقت .

هذا وقد خصص **الكتاب الثامن** لمصر التي زارها كما يقول ثلاث مرات في طريقه للقسطنطينية ومنها ، وهو هنا يسجل ملاحظات طريفة عن مشاهداته تدل على دقة الملاحظة - فيتحدث عن اصل تسمية مصر ويرجعها الى ( مصر ايم ) بينما يشير الى الفسطاط بأنها تسمى حاليا ( مصر القديمة ) ويشير الى ضيق الوادي الواقع بين الهضبتين الشرقية والغربية في مصر ، وعند حديثه عن فيضان النيل يذكر ان المياه تفيض فيتعذر الوصول الى مناطق كثيرة كالجزر ، وفي رشيد يشير الى مضارب الارز بينما يشير في الاسكندرية الى ( عامود بومبي ) وغيره من الآثار الرومانية ، ويشير الى المحلة وشهرتها بالغزل اليدوي ، وديروط وشهرتها بمعاصر قصب السكر ، وعند الحديث عن القاهرة يتحدث عن بناء جوهر الصقلي لها ، وابواب القاهرة ، وحوانيتها ، وعن مدرسة السلطان الغوري ، وعن حوانيت العطور والعنبر في الفورية ، وتجار خان الخليلي ، وتجار الكتب بجوار الازهر الشريف ، كما يشير الى مناطق باب اللوق والازبكية وجزيرة الروضة ومقياس النيل بها ، كما يتحدث عن عادات القاهريين ولم يغفل حتى الإشارة الى تجار المياه من السقاين ، وطريقة تفريخ البيض في افران خاصة ، كما يشير الى قصور الممالك بالجزيرة . هذا وقد تنقل بنا الوزان في مختلف مدن وأقاليم مصر من (الاسكندرية) شمالا الى (أسوان) جنوبا وأشار الى تجارتها مع النوبة . كما تعرض للمناصب المدنية والعسكرية في السلطنة المملوكية - ولا شك في ان ( ليو ) يعطينا هنا صورة دقيقة لمصر المملوكية التي زارها حوالي عام 1517 فقد كان بها اثناء وجود السلطان سليم بها (119) .

اما **الكتاب التاسع** والآخر . فهو عن الانهار الرئيسية والمخلوقات الغريبة والنباتات والمعادن الافريقية ...

ومن جهة الانهار يبدأ من الغرب من نهر تنسيفت الذي يصب في المحيط الاطلسي وتقع أسفي قرب مصبه ، ثم ام الربيع ، بورقراق ،

وهكذا حتى يصل لنهر النيل الذي يشير الى الجهل بمنابعه ، فالبعض يقول انه ينبع من جبال القمر ، لكنه يذكر ان التجار الاثيوبيين الذين يحضرون لدنقلة يذكرون انه ينبع من بحيرة ضخمة فى الجنوب .

والجزء الذي كتبه عن الحيوانات والنباتات الافريقية ليست له قيمة الاجزاء الاخرى ولعله استقى الكثير من معلوماته من الكتب الاخرى ، وقد اشار هو الى (Plinie) (120) - لكنه على كل تتضح فيه طريقته التحليلية ، فحين يتحدث عن الفيلة او الزراف او الجمال او الخيول او النعامة او الطيور الجارحة او الحيوانات المائية كالتماسيح او الجراد الذي يهاجم المدن فيقضي على الزرع وينشر الخراب - يشير بعض المقارنات ، كما يشير لبعض الظواهر الطريفة فيذكر مثلا بعض انواع الجمال السريعة او التي تتميز بالقدرة على حمل الاثقال ، ويشير الى ان العرب الذين يملكون عددا كبيرا من هذه الجمال يعيشون ( كاللوردات ) فى حرية كاملة فى التجول فى الصحراء مع توفر الثروة (121) .

اما ما ذيلت به طبعة مؤسسة (Hakluyt) التي اشرنا اليها فهي اضافات عن ثلاثة امبراطوريات او ممالك ، هي امبراطورية برت جون او بريسترجون (Prete Janni) ، والمونوموتابا ، ومملكة المغرب وسوس والفران (122) ، ثم عن مناطق الاستعمار الاسباني والبرتغالي والقلاع التي اسسوها على الجزر والموانئ الافريقية (123) ، ثم محاولة لدراسة المعتقدات الدينية المنتشرة بين الافارقة ( الوثنية ، اليهودية ، المسيحية ، الاسلام ) (124) ، وفى هذا المجال اشارة للمسيحية فى النوبة ، ومملكة الكنفو ، وانجولا (125) - ومحاولة البرتغال والبابوية تحويل تبعية الكنيسة الاثيوبية الى كنيسة روما الكاثوليكية لانها كانت تابعة لكنيسة الاسكندرية - لكن رفض الامبراطور الاثيوبي ذلك (126) .. وعلى كل هذا الجزء قليل الاهمية .

لكن الخرائط التي زود بها الكتاب ( 8 خرائط ) وهي من وضع (Mr. Ravenstein) ، وفهرس البلاد والقبائل الواردة فى الكتاب وهي من وضعه ايضا وتوضح مواقعها على الخرائط المذكورة بالنسبة لخطوط

الطول والعرض (127) ، وكذلك الفهرس الابجدي الاعلامي (128) -  
جهد طيب وقيم ومفيد .

### تقييم كتاب ( وصف افريقيا ) :

لا شك في ان التقييم السليم ، يستلزم ان ننظر اليه في حدود  
العصر الذي كتب فيه ( القرن السادس عشر ) . وفي داخل هذه الحدود  
يظهر ان الكثير من معلوماته فريدة - وبخصوص المناطق التي زارها  
الرحالة وراها بعيني رأسه تتميز كتابته عن هذه المناطق بالاصالة  
والدقة ، وينطبق هذا القول على وصفه التفصيلي الدقيق لبلاد المغرب  
بأقاليمها المتعددة ومدنها المختلفة ، كما ينطبق على بلاد السودان  
القربي . وفيما يتعلق بهذه المناطق الاخيرة ، فان الابحاث المتأخرة - كما  
اشار (Schefer) الذي يرجع اليه الفضل في ترجمة الكتاب الى  
الفرنسية اثبتت صدق اقواله حتى في المواضع التي اثارت في الماضي  
بعض الشكوك حولها (129) .

ويذكر هذا العالم « انه على مدى ثلاثة قرون لم يستطع كاتب او عالم  
تحدث عن افريقيا - ان يتجاهل هذا المؤلف النفيس (130) » .

وقد اشرنا من قبل الى عشرات الكتاب الذين استفادوا من كتابه .

وان كان الكتاب يضم الى جانب مشاهدات ( ليو ) الشخصية -  
معلومات مستقاة من مصادر اخرى لكن هذا لا يقلل من قيمة الكتاب ،  
ويشير المؤلف بصراحة الى ذلك في خاتمة كتابه فيذكر : « هذا على وجه  
العموم ما ابصرته من الاشياء القريبة التي عقلت بذهني انا - جيوفاني  
ليونني ، عن جميع افريقيا التي عبرتها من اقصاها الى اقصاها - وقد  
دونت بجهد واجتهاد ، ومن يوم لآخر تلك الاشياء التي رايتها بعيني رأسي  
وبدالي انها تستحق الذكر ، وما لم اره بنفسي بسبب ضيق الوقت او  
صعوبة الطريق فقد جهدت في الحصول عليه من اهل الثقة ممن شاهدوه  
بأنفسهم - ثم بذلت جهدي في جمع شتات هذه المادة وصياغتها في شكل

كتاب انتهيت من تدوينه اثناء وجودي بروما — وذلك فى اليوم العاشر من شهر مارس لسنة 1526 من ميلاد المسيح » .

وقد اشار ماسينون (Massignon) بالذات الى ان الانتاج الفكري للرحالة ليو الافريقي كان له تأثير قوي على العالم الاوربي (131) .

ويكفي ان نتأمل فى عدد اللغات التي ترجم اليها الكتاب ، وعدد الطباعات التي طبعت منها لنعرف مدى الادراك العالمي لاهميته — والى وقت ليس بعيد كانت أسماء الاماكن التي تظهر على الخرائط تعتمد على وصفه رغم ان احتمالات التغيير نتيجة العوامل الطبيعية والبشرية ثبت انها ظاهرة واضحة فى هذه البلاد اكثر من غيرها .

وحتى الجغرافيين ، والرحالة والكتاب المتأخرين فى القرن التاسع عشر لم يستطيعوا ان يتجاهلوا فضله (132) .

ولعلنا لا نكون بعيدين عن الحقيقة اذا قلنا انه حتى يومنا هذا — فان المسافر الذي يتنقل فى المغرب او فى غيره من المناطق التي زارها ( ليو ) وقدم وصفها ، لا يستطيع الا ابداء دهشته من التوافق العجيب بين بعض ما يشاهده من مظاهر الحياة وبين ما سجله ( ليو ) رغم مضي هذه السنوات الطويلة — وهذا يدل على ما اتصف به هذا الرحالة من دقة الملاحظة حتى للاحداث البسيطة التي قد يمر بها المشاهد العادي من الكرام — ولعل ممارسته لوظيفة كاتب عام درسته على ان يسجل الملاحظات بدقة وان يتنبه لكل ما يقع تحت بصره . وهناك دلائل قوية حتى من واقع الحياة اليوم فى هذه الجهات تجعلنا نحترم ليو ونحكم بأنه جدير بالثقة وتلزمنا بتقدير ما قدمه من وصف لكثير من المدن ، ولحياة الناس بها . أما تفسيره للظواهر التي تقع تحت بصره فهو يدعو للاحترام ايضا ، فمثلا نجده يبرز بعض الظواهر الاجتماعية والعادات الفريدة فى المغرب ، لكنه يعللها بميل الناس للمحافظة على عادات اجدادهم ، وحين يتحدث عن استخدام الحكام للجنود فى جمع الضرائب ينتقد ذلك ويشير الى ان الناس لا يعترفون بسلطة السلطان الا اذا كان قادرا على ان يكفل



لهم الحماية والامن - وبينما نراه يتحدث عن الجيوش وتسليحها نجده لا ينسى الحديث عن أسرى الحروب ومصيرهم التعس في ذلك الوقت وهو لا يتحدث عن طبقة واحدة من المجتمع دون الاخرى - فبينما يتحدث عن قصور الحكام وما يتبع فيها من نظام ( بروتوكول ) - نجده يتحدث عن عادات الناس العاديين وما يزاولونه من صناعات وما يؤثر على تصرفاتهم من تقاليد .

وقد اعتبره البعض انه يمثل قمة ونهاية عصر الحضارة العربية الاسلامية الزاهية التي ازدهرت في اسبانيا (133) .

هذا وكتاب الوزان أهمية خاصة ، ارجو ان تؤكدوا هنا لانه يبدو ان الذين يكتبون عن الاستعمار الاوربي في افريقيا خاصة من العرب لم يعطوها حقها من الاهمية ، وهي انه من القلائل الذين عاصروا أحداث الاستعمار البرتغالي لثغور الشمال الافريقي بل انه شارك في هذه الاحداث ، فكتابه عنها من اهم ما كتب في هذا المجال .

على ان الذين وجهوا اليه النقد ، واتهموه بالمبالغة وعدم تحري الدقة مثل (Morgan) و (Chenier) - لم يستطيعوا ان ينكروا فضله فاعترفوا انه يستحق الشهرة التي ظل يتمتع بها لقرون (134) .

هذا ولا بد من الاشارة الى ان المنهج الذي اتبعه ليو في كتابه لا يمكن ان نرجعه لنمط ( الرحلات ) او ( الزيارات ) - اي الرحلة بقصد الحج الذي اشتهر به غيره من الكتاب المقاربة بالذات - كما انه لا يمكن ان نرجعه لنمط ( المسالك ) او لنمط ( الخطط ) الذي يتمثل في المصنفات الضخمة التي اشتهر بها بعض الكتاب كالمؤرخ المصري تقي الدين احمد بن علي المقرئ ( 1364 - 1442 ) ، وهو ليس مؤلفا (نقلها) او جامعا لعدة علوم أي موسوعي (Encyclopaedist) - لكنه في الحقيقة يجمع بين كل هذه الانماط ، كما يعكس صورة الثقافة المتعددة الجوانب .

## مؤلفات ليو الاخرى :

اشار ليو في كتابه ( وصف افريقيا ) الى عدة مؤلفات اخرى له ، كما اشار الى مجالات اخرى يعتزم الكتابة فيها ، ومما يدعو للاسف حقا الا نعث على هذه الكتب التي لا شك - قياسا على كتابه المنشور - لو عثر عليها لاضافت الكثير الى معلوماتنا خاصة وان بعضها يتعلق بمشاهداته اثناء زيارته لمناطق هامة وقد وعد بتخصيص كتاب خاص لها .

ويذكر (Massignon) ان ليو ألف باللاتينية كتابا تناول فيه سير ثلاثين من العرب الذين اشتهروا في الفلسفة والطب ، وان (Hottinger) قام بنشر هذا الكتاب في عام ( 1664 ) . وان أهمية هذا الكتاب ترجع الى انه يمدنا بمعلومات قيمة عن تاريخ تطور العلوم عند العرب (135) .

وقد اماط العلامة (Casiri) القناع عن كتاب آخر ( ليو ) وهو عبارة عن معجم عربي - عبري - لاتيني - طبي ، ألفه من أجل طبيب يهودي صديق له وهو في 117 صفحة ، ولا تزال مخطوطته محفوظة في مكتبة الاسكوريال - وقد انتهى منه - كما يذكر في خاتمته في آخر يناير 1524 م . اي انه سابق للانتهاء من كتاب وصف افريقيا الذي يشير في نهايته الى انه كتبه في روما في 10 مارس عام 1526 (136) .

وختم ليو قاموسه الطبي هذا بقوله :

« فرغ من نسخ هذا الكتاب العبد الفقير الى مؤلفه يوحني الاسد الغرناطي المدعو قبل الحسن بن محمد الوزان الفاسي - في آخر يناير عام اربعة وعشرين لتاريخ المسيحيين - الموافق ثلاثين وتسعمائة لتاريخ المسلمين ، وذلك بمدينة بولونيا من بلاد ايطاليا - برسم المعلم الحكيم الطبيب الماهر يعقوب ابن شمنون الوفي الاسرائيلي (137) » .

وقد اشار الوزان في كتابه وصف افريقيا الى انه سيسجل مشاهداته عن رحلاته في آسيا واوربا في كتاب آخر لانه يخصص كتابه هذا للقارة

الافريقية ، ولا ندري هل وضع هذا الكتاب ام لا ، اذ لم يعثر له على  
اثر (138) .

كذلك يستدل من اشاراته في كثير من المواضع في كتاب وصف  
افريقيا الى انه اعد مختصرا لتاريخ الاسلام (139) . وأشار الى كتاب له  
جمع فيه ما عثر عليه من الاشعار الوطنية على الاضرحة والقبور (140) .

كما أشار الى كتاب آخر له في العقائد والفقه الاسلامي - وارجع  
هو القارئ الى هذا الكتاب الذي لم نعر عليه بعد (141) .

وأشار الى كتاب له في الاعياد الاسلامية (142) .

هذا بالاضافة الى اشارته الى انه سيخصص كتابا آخر للمناطق  
التي زارها في آسيا ، ورحلته من فاس الى القسطنطينية ومنها الى  
مصر (143) .

والحقيقة اننا لا نملك الا أن نقول ان تأليف الرحالة في فروع متعددة  
من العلوم المختلفة بالاضافة الى اتقانه عدة لغات يدل على سعة افقه وعلى  
علمه الواسع والمامه بكثير من ألوان المعرفة مما يصعب على فرد واحد  
من الافراد العاديين الالمام به .



هذه لمحة عن حياة هذا الرحالة العربي المغربي ، وعن مؤلفه الشهير  
( كتاب وصف افريقيا ) وهو المنشور من بين العديد من الكتب التي  
أشار الى انه ألفها . وقد ترجم كما ذكرنا الى معظم لغات العالم وطبع في  
كل منها عدة مرات .

ولا شك في ان هذا العرض للرجل ولمؤلفه لا يغني عن الرجوع  
للكتاب ذاته - بل لعله يدفع الى ذلك ، فليس امتع من أن نسير مع الرحالة

فى رحلته ليقص علينا بطريقته الانطباعات التى تركتها الاحداث التى مرت به والمشاهدات التى وقعت تحت بصره وسمعه .

وبعد لعل فى هذا العرض - كما ذكرت - ما يدفع لان يتقدم أحد الدارسين المتخصصين الاكفاء أو مجموعة منهم لسد الفراغ الضخم فى المكتبة العربية بترجمة كتاب وصف افريقيا الى اللغة العربية ، اللغة الاصلية للمؤلف وابائه واجداده .

والله ولى التوفيق . شوقى عطا الله الجمل

### مصادر البحث والتعليق

- (1) لعل ابن خلدون يعطى مثلا قويا لهذه الظاهرة وسنشير اليه فيما بعد .
- (2) اقتصر ملك الامراء المسلمين فى اسبانيا بعد سقوط اشبيلية سنة ( 1048 ) على مملكة غرناطة حيث بقيت فترة فى ايدي ( بني نصر ) ، لكن سقطت غرناطة فى النهاية فى عام ( 897 هـ - 1492 م ) فى يد ( فرديناند الخامس ) الذى ارتقى عرش مملكة ارجون فى عام ( 1467 ) بعد وفاة ابيه الملك يوحنا الثانى ، بينما كانت ( ايزابيلا ) قد ارتقت عرش مملكة قشتالة عام ( 1474 ) بعد وفاة أخيها ( هنري الرابع ) وبزواجهما اجتمعت لهما السلطة فى اسبانيا .
- (3) ملاحظة : لا توجد علاقة بين أسيرة الوزان - كما يبدو - والاسيرة التى تحمل نفس الاسم ( الاسيرة الوزانية ) التى تنتمى لاحد مشايخ الطرق الصوفية وقد نشأت بين هذه الاسيرة ودولة الحماية ( فرنسا ) علاقات .
- (4) الطبعة الانجليزية التى نشرها ( John Pory ) فى عام 1600 تحت اسم : The history and Description of Africa and of the Notable things theren contained Written by Al Hassan Ibn Mohammed al-Wazan Al Fasi. A moor, Baptised as Giovanni Leone, But Better Known as Leo Africanus. وقد أعيد نشرها فيما بعد فى ثلاثة أجزاء أيضا مع مقدمة وتعليقات للدكتور روبرت برون ( Robert Brouwn ) سنة ( 1896 ) وهى الطبعة التى سنشير لصفحاتها دائما هنا . وسنشير فيما بعد - للطبعات الاخرى الهامة التى ظهرت لهذا الكتاب بمختلف اللغات .
- (5) أسيرة ( مدتشي ) من الاسر التى برزت فى عهد النهضة الإيطالية ، وقد حكمت فلورنسا فترة من الزمن ، وبرز منها افراد منهم ( البابا ليو ) المشار اليه ، وقد لعب دورا هاما فى أثناء حركة مائت لوثر ( 1483 - 1546 ) ، وقد عاصر الحركة فى مرحلة هامة من مراحلها . كما برز من هذه الاسيرة كوزمو دي مدتشي ( Cosmo de Medici ) الذى يقترن اسمه بتأسيس مكتبة البندقية خلال الفترة التى كان منفيا بها ، كما دعم مكتبة ( سان ماركو ) فى فلورنسا ، كما اشتهرت كاترين مدتشي ( Catherine de Medici ) فى فرنسا ( 1519 - 1589 ) وكانت فى فترة من الفترات وصية على ابنها ( شارل التاسع ) ملك فرنسا .

(6)  
Atiya, Aziz, Suryal : The crusade in the latter Middle ages (London 1938) p. 477

(7) طبعة ( 1896 ) الانجليزية Vol. I. P. 187

(8) Rae : Country of the Moors P. 22

(9) Vol. II. P. 299

(10) Vol. II. P. 288

(11) المقرئ ، أحمد بن محمد التلمساني : نفع الطيب من فحسن الاندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ج 2 ص 617 (المطبعة الازهرية بمصر 1302 هـ) — كذلك محمد داود : تاريخ تطوان ج 1 ص 232 — والزياتي ، عبد العزيز بن الحسن المهدي : الجواهر المختارة فيما وقفت عليه من النوازل بجبال غمارة (مخطوط بالخزانة العامة ، الرباط) ورقة 125/ ب — Roger, coindreau : les Corsaires de Salé (Paris 1948) — Prescott : History of the Reign of Ferdinand and Isabella (1890) P. 467 (12)

(13) لم نعثر في كتابه على اشارة تفيدنا في تحديد تاريخ هجرته للمغرب بالضبط .

(14) يرجع بناء جامع القرويين الى عهد الامير ( يحيى بن محمد بن ادريس ) من ملوك الادارسة وقد تولى الحكم في عام ( 234 هـ - 849 م ) وقد بنته الاميرة فاطمة الفهرية القيروانية ( أم البنين ) من مالها الخاص ، واصبح بعد ذلك موضع رعاية الملوك فدخلوا عليه التحسينات وتطورت فيه الدراسة حتى أصبح بمثابة ( جامعة ) يؤمها طلاب العلم من مختلف أنحاء العالم ، ومن وفدوا عليه البابا ( سلفستر الثاني ) واليه يرجع الفضل في تطوير التشريع الروماني بما اقتبسه من النظريات الفقهية الاسلامية . وقد ذكر ليو أنه قرأ في القرويين بعض كتب الادب والمنطق والمقائد وحفظ كتب الفزالي .

(15) مقدمة الطبعة الانجليزية المشار اليها سابقا P. XIX

(16) الطبعة الانجليزية المشار اليها P. 273

(17) العدل هو موثق العقود (Notary) - انظر P. 426

(18) ( سلطان فاس ) هو السلطان محمد البرتغالي الوطاسي ( 910 - 931 هـ ) ويشرح الوزان سبب تسميته بالبرتغالي ، اذ أن البرتغال اسروه في ( اصيلا ) أيام أبيه ( محمد الشيخ بن أبي زكريا ) فمكث عندهم سبع سنين ، ولما اقتداه أبوه ورجع كان يتقن اللغة البرتغالية فلقب بالبرتغالي .

- أما الشريف محمد - فهو ( أبو عبد الله القائم بأمر الله السعدي ) ، وقد بايعه أهل جنوب المغرب في عام ( 916 هـ ) فآخذ يناوي الوطاسيين ، وبعد حروب طاحنة تصالح الفريقان على اقتسام البلاد ، وظل السعديون سادة ( مراكش ) حتى غلبوا على فارس سنة ( 956 هـ ) ، واستعاد الوطاسيون فاس بمعاونة الاتراك في الجزائر - لكن



السعديين أعادوا عليهم الكرة ودخل ( أبو عبد الله محمد الشيخ - المهدي ) فاس ثانية وقبضوا على أبي حسون آخر الأمراء الوطاسيين وقتلوه ( 957 هـ ) وقضوا بذلك على حكم أسرة بني وطاس ، واتخذ السعديون ( مراکش ) عاصمة لهم .

(19) استولى البرتغال على الموانئ المغربية الواحدة تلو الأخرى . فقد استولوا على سبتة ( 818 هـ - 1415 م ) وظلت تحت حكمهم إلى أن سلموها للأسبان ( 1080 هـ - 1669 م ) ، كما استولوا على القصر الصغير ( 826 هـ - 1457 م ) وعلى طنجة ( 869 هـ - 1464 م ) وتنازلوا عنها للإنجليز ( 1072 هـ - 1661 م ) كمهر قدمته ( كاترين ) شقيقة ملك البرتغال لزوجها ( شارل الثاني ) ملك إنجلترا ، وقد استردها المولى اسماعيل من إنجلترا ( 1095 هـ - 1684 م ) واستولوا على أكادير ( 1505 م ) وعلى الصويرة ( 1506 م ) وأسفي ( 1508 م ) وأزمور ( 1513 م ) والجديدة ( 1514 م ) . وهكذا استولوا على الشاطئ المغربي كله .

Vasco de corvalho : La domination Portugaise au Maroc (20)  
1415-1769 (Lisbonne 1936) P. 15

(21) مقدمة الطبعة الانجليزية المشار إليها P. XXIX

(22) آثار ( شاله ) المقصودة هنا هي مدافن الخلفاء المرينيين بشالة .  
انظر : أبو عبد الله محمد بن مصطفى بوجندار الرباطي ( 1345 هـ - 1926 م ) :  
شاله وآثارها ( الرباط 1922 ) .  
— وكذلك البحث المفصل والقيم :

Hesperis (1922 - Vol. II) ; Chella une nécropole Mérinide  
P.P. 1-92, P.P. 255 - 316, P.P. 385 - 425

(23) P. 886 et P. 904 ( في الكتاب الثامن ) .

(24) مقدمة الطبعة المشار إليها

(25) كانت القرصنة ظاهرة مميزة لهذا العصر وقد ارتبطت فيما يتعلق بمسلمي شمال إفريقيا بالجهاد ضد المستعمرين الأوروبيين .  
وعن القرصنة انظر : Adventures of Thomas Pellow (1890)

(26) مقدمة الطبعة الانجليزية التي أشرنا إليها P. LII

(27) للدراسة التوسعية للدافع الديني وراء الاستعمار الإسباني والبرتغالي في إفريقيا في ذلك الوقت انظر :

— عودة عبد الملك : السياسة والحكم في إفريقيا ( القاهرة 1959 ) ص 60 وما بعدها .

— شوقي الجميل : تاريخ كشف إفريقيا واستعمارها ( القاهرة 1971 ) ص ( 121 - 155 ) .

(28) انظر : Vol. III P. 972 من الطبعة الانجليزية المشار إليها .

(29) ذكر الرحالة في كتابه أنه قرأ في القرويين بعض كتب الأدب والمنطق والعقائد وحفظ بعض كتب الفزالي ...

- (30) محمد المتوني : التيارات الفكرية في المغرب المريني ( مجلة الثقافة المغربية عدد 5 ).
- (31) ابن السكاك - هو محمد بن غالب بن أحمد المكناسي ( + 818 هـ - 1415 م ) .
- (32) المقرئ - هو محمد بن محمد المقرئ - قاضي الجماعة بفاس (759 هـ - 1357 م)
- (33) نلاحظ أن ابن خلدون تناول نفس هذه الأفكار بالتحليل في مقدمته :  
( فصل في أن كثرة التأليف في العلوم عائقة عن التحصيل ، وفصل في أن كثرة الاختصارات المؤلفة في العلوم مخلة بالتعليم ) .
- (34) نسخة من الرسالة موجودة بالخزانة العامة بالرباط برقم 178 ج ، وأخرى بنفس الخزانة برقم 11138 د .
- (35) انظر صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمديرية مجلد 6 ص 228 .
- (36) الرسالة موجودة ضمن مجموعة رسائل لابن عباد بالمكتبة الملكية بالرباط برقم 255.
- (37) البكري : أبو عبيد الله ( + 487 هـ - 1094 م ) - وضع كتابا من عدة مجلدات باسم ( المسالك والممالك ) معتمدا على وثائق الارشيف الرسمي في قرطبة . وقد أمدنا بمعلومات قيمة عن بلاد المغرب والسودان الذي خصص له جزء باسم ( تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان ) - وله ( معجم جغرافي ) لأسماء البلاد حسب حروف الهجاء - ويعتبره دوزي أكبر جغرافي أخرجته الأندلس .  
انظر :  
Dozy P. : Recherches sur l'histoire et la littérature de l'Espagne pendant le Moyen-âge (Leyde 1849) P. 297.
- (38) الإدريسي : أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس ، ولد في سبتة ( 493 هـ - 1100 م ) وضع كتاب ( نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ) بتشجيع ( روجر الثاني ) ملك صقلية .  
انظر : كراتشوفسكي ، أغناطيوس يوليانوفتش كراتشوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي العربي (نقله إلى العربية طلاح الدين عثمان هاشم) - القسم الأول ص 279 وما بعدها.  
— هذا ويشير بعض الكتاب إلى الشبه الكبير بين سيرة حياة كل من الإدريسي والحسن الوزان .  
انظر :  
Massignon L. : Le Maroc dans les premières années du XVI<sup>e</sup> siècle (Alger 1906) P.P. 32-37
- (39) ابن جبير : محمد بن أحمد بن جبير الكناني ( + 614 هـ - 1217 م ) وهو من أسرة عربية استوطنت بلنسية (Valencia) في الأندلس . وكان كاتباً لحاكم غرناطة الموحدية ، وقد قضى فترة طويلة من حياته متنقلاً بين مكة وبيت المقدس ومصر ، وتوفي في الإسكندرية .  
انظر : نصار ، حسين نصار : رحلة ابن جبير (1885) Wright : Ibn Jubayri
- (40) ابن سعيد : أبو الحسن علي الفرناطي - ولد حوالي (610 هـ - 1214 م) بغرناطة، زار شمال إفريقيا ومصر والعراق . وله الفضل في إتمام عدة مؤلفات تعالج تاريخ العرب والبلاد العربية منذ الجاهلية إلى عصره ، كان قد بداها جده وأبوه .

(41) ابن بطوطة : أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجسي . ولد بطنجة ( 703 هـ - 1304 م ) وخرج من طنجة في عام 725 هـ لحج بيت الله الحرام ، لكنه ظل متنقلا ولم يعد إلى وطنه إلا بعد أكثر من ربع قرن ، وقد وصل إلى فاس في عصر حكم السلطان المريني أبي عنان ( 751 - 759 هـ ) وقد كلفه هذا السلطان برحلة إلى ( تمبكتو ) زار فيها سجلماسة ، ومملكة مالي . وقام ( محمد بن جزى الكلبي ) - الذي كان يشغل منصب كاتب في سلطنة بني نصر حكام غرناطة ثم عمل في بلاط السلطان أبي عنان - بتدوين أخبار رحلة ابن بطوطة بتكليف من هذا السلطان - فرحلة ابن بطوطة التي نشرت باسم « تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار » تمثل الرحلة بأسلوب ابن جزى وليس بأسلوب الرحالة نفسه .  
— انظر : مقدمة ابن جزى لرحلة ابن بطوطة ( نشر دار التراث ببيروت 1968 ) ص 8 - ويوجد بالمكتبة الأهلية بباريس جزء من مخطوط ابن جزى بخط يده .

(42) ابن خلدون : أبو زيد عبد الرحمن بن محمد ، ولد في عام ( 732 هـ - 1332 م ) . عاش أيضا في رعاية السلطان أبي عنان ، وتنقل في بلاد شمال إفريقيا واستقر في منطقة منعزلة ضمن أعمال ( وهران ) حيث كتب مقدمته . وسافر إلى مصر في عهد السلطان المملوكي ( برقوق ) . وكتابه « العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر » يقدم لنا مادة وفيرة عن تاريخ البربر ، وتاريخ الدويلات المسيحية في إسبانيا .  
انظر : طبعة بولاق - مصر ( 1284 هـ ) - في سبعة أجزاء .

(43) كان هذا النمط من الكتابة قد أخذ يتقهقر في المشرق العربي ، ولعل المسعودي ( + 956 هـ م ) في كتابيه ( مروج الذهب ومعادن الجوهر ) و ( أخبار الزمان ) ، وابن حوقل ( القرن العاشر ) في كتابه ( المسالك والممالك ) - ( صورة الأرض ) يمثلان قمة هذه الظاهرة في المشرق .

ونحن نجد هذا المد الثقافي ينتقل إلى المغرب العربي فيقدم لنا دفعات قوية في هذا المجال ...

(44) لمن يريد التوسع في تتبع حركات الكشف الجغرافي للقارة - انظر : شوقي الجمل : تاريخ كشف إفريقيا واستعمارها ( القاهرة 1971 ) .

— وقائمة المراجع عن تاريخ القارة في ص ( 719 - 724 ) من الكتاب المذكور .  
ملاحظة : المقدمة التي قدم بها ( Pory ) لترجمة الكتاب عام 1600 هي نفسها تدل دلالة واضحة على مدى الجهل في ذلك الوقت بداخل القارة الإفريقية .

(45) Massignon, Le Maroc : OP. Cit. P.P. 36 et 40.

(46) نشرت هذه الطبعة في حياة ( الوزان ) نفسه ومنها نعرف أنه ( أي الوزان ) انتهى من كتابه بالإيطالية في ( 10 مارس 1526 م ) .

(47) الغريب أن بعض الكتاب بعد ذلك بمدة طويلة أشاروا إلى وجود النسخة الخطية - انظر :

— Mr. S. Cock : Narrative of Robert Adams (1816) p. 188

— Mr. Berbriegger : Revue Africaine (1858) p. 362

لكن لم يشر أحدهما إلى مكان هذه النسخة الخطية مما يشير الشك في كليهما .

(48) مقدمة Dr. Robert Broum — الطبعة السالفة الذكر P. XIV

(49) لذا نشر الكتاب تحت عنوان :

" A Geographical Historie of africa, written in Arabicke and Italian by John Leo, a More, borne in Granada and brought up in Barbarie (Londini 1600)

Schefer, Description de l'Afrique, I. P. XVI (50)

Massignon, Maroc P. 23 (51)

ويلاحظ أن هذا لا ينفي وجود مسودة عربية للرحلات ، فالكتاب هنا — أثناء كتابة كتابه بالاطالية يشير الى أن المراجع الاجنبية في متناول يده بعكس المراجع العربية التي اقتدها في اوروبا بينما كانت تحت يده في وطنه الاصلي .

(52)

Historiale Description de l'Afrique... Ecrite par Jean Leon African premièrement en langue arabesque, puis en Toscane, mise en français par Jean Temporal (Lyon 1556).

(53)

Joannis Leonis Africani, de Totius Africae descriptione... recens in Latinam Linguam conuersi Joan Floriono interprete.

(54) كان (John Pory) طالبا بجامعة كامبردج (Cambridge) في عام 1587 ، لكن يبدو أنه لم يستمر حتى يحصل على درجته الجامعية التي كان يريد التخصص فيها ، وقد اهدى الكتاب (الترجمة) الى السيد روبرت سيسل Sir Robert Cecil سكرتير الدولة وعضو المجلس الخصوصي .

(55) نشر هذه الطبعة الاسبانية معهد فرانكو (Institute General Franco) مع تحقيقات باللغة العربية والاسبانية — ونسخة من هذه الطبعة موجودة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم C/4869 ، وقد ظهرت ترجمة اسبانية اخرى في عام 1952 .

(56)

Description de l'Afrique truce Partie du Monde écrite par Jean Leon Africain, premièrement en langue arabesque puis en Toscane et à présent mise en français. Nouvelle Edition, annotée par Ch. Schefer I - III (Paris 1896-1998).

(57)

The History and Description of Africa and of the Notable Things There in contained — written by al — Hassan Ibn Mohammed al Wezaz al Fasi, A moor Babtised as Giovanni Leone, Better known as Leo Africanus, Done Into English in the year (1600), by John Pory (with an introduction and notes by Dr. Robert Brown).

وسيكون تحليلنا للكتاب على اساس هذه الطبعة .



(58) انظر مقدمة (Brown) للترجمة الانجليزية والمشار اليها سابقا (P. LXXI) وما بعدها .

(59)

— Langres de Tassy : Histoire du Royaume d'Alger (1725)

— Joseph Morgan : History of Algerie, to which is prefixed an epitome of the General History of Barbary from the earliest times (1728)

(60)

Massignon, Louis : Maroc dans les premières années du XVI<sup>e</sup> siècle. Tableau Géographique d'après Léon l'Africain (Alger 1906)  
Hartmann, J.M. : Idrisi Africa (1796) P. XX

(61)

(62) نشر (Barth) مشاهداته في خمس مجلدات :

Barth, H. : Travels and discoveries in North and Central Africa (1849-1855) 5 vols. (London 1857-1858)

وللدراسة المستفيضة لجهود بارث انظر :

شوقي الجمل : تاريخ كشف افريقيا واستعمارها ( القاهرة 1971 ) ص 100 ، 494 ، 498 ، 565 .

(63) يشير الرحالة (Shaw) الى ان المدينة البربرية بالذات تتسم بعدم الاستقرار نتيجة الظروف الطبيعية والبشرية ، انظر :

Shaw : Travels and Observations relating to Several Parts of Barbary and Levant (1757) P. 136

(64) اعتمدنا في ذلك على الطبعة الانجليزية التي ظهرت في ( 1896 ) اعتمادا على طبعة (Pory) الصادرة في لندن 1600 مع تعليقات (Dr. Brown) ونسخة هذه الطبعة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم A 80 (8881).

(65) استند الجزء الاول في هذه الاضافة على ما كتبه الرحالة والكتاب الآخرون الذين كتبوا عن هذه المناطق .

(66) انتشرت في أوروبا - خاصة في اوائل الكشوف الجغرافية - فكرة وجود امبراطورية مسيحية على رأسها امبراطور عرف باسم (القديس يوحنا) ، وكان من أهداف الكشوف الجغرافية الاولى الوصول لهذه المملكة المسيحية للاتفاق على تطويق العالم العربي الاسلامي .

(67) امبراطورية المونوموتابا - كونتها قبائل البانتو في شرق افريقيا في المنطقة التي تدخل فيها على الخصوص أراضي روديسيا ( الجنوبية ) حاليا - وكانت في القرن الخامس عشر تسكنها قبائل ( الميتابلي ) و ( الماشونا ) وظلت هذه الامبراطورية قائمة حتى قضى عليها المستعمرون الأوروبيون .



(68) يقصد بها المناطق الواقعة في جنوب افريقيا الى راس الرجاءة لم ارضى ( ناثال )  
ولفظ كافر (Kaffir) - كما يذكر جونسون اطلقه العرب على المستوطنين في  
جنوب افريقيا من الزنوج ( لعدم ايمانهم بالله ) وان الهولنديين ( البوير ) عند  
استيطانهم جنوب افريقيا اخذوا من العرب هذا اللفظ واطلقوه على قبائل البانتو  
بينما اطلقه غيرهم من الكتاب الاوربيين على الافريقين عموما .  
انظر :

Johnston, H.H. : A History of the Colonisation of Africa (Cambridge 1913) P. 130.

(69) كانت بالكنغو قبل الاستعمار الاوربي مملكة يمتد سلطانها على مساحة كبيرة من  
الارض وكان الحاكم يعرف باسم ( المانيكونجو ) (Mani Congo)  
انظر :

Duffi, James : Portuguese Africa(London 1929) P. 11

(70) افريقيا بالنسبة له - هي المناطق الواقعة شمال خط الاستواء فهو كم يتعرض لما  
هو جنوب ذلك .

(71) البعض شبه هذا التقسيم بما ورد في مقدمة ابن خلدون وبمنهجه في المعالجة ايضا .  
- انظر محمد المهدي الحجوي : حياة الوزان الفاسي واثاره - بحث قدم لمؤتمر  
المستشرقين بفاس ( 1933 ) - نسخة بالخرانة العامة في الرباط تحت رقم  
(C / 2162 )

(72) 151 - 161 P.P.

(73) 164 P. لا ندري هل كتب كتابا خاصا بهذا الموضوع ام لا ؟

(74) 166 P.

(75) 167 P.

(76) 175 P.

(77) P.179 ( ويلاحظ ان الاحصاءات الحديثة تؤيد صحة ما ذكره مثلا عن طول اعمار  
سكان الجبال ) .

(78) 180 P.

(79) 182 P.

(80) 185 P.

(81)

J. Morgan : A Complete History of Algiers (1731) Préface P. VII  
Chenier : Recherches Historiques sur les Maures vol. III (1787)  
P. 65  
وكذلك

(82) Vol. I.P. 187

(83) Vol. II P. 264

— منار الكتبية الذي يشير اليه يبلغ ارتفاعه 50 67 مترا ~ وقد شيده (الامير يعقوب المنصور) من خلفاء الموحدين الذي توفي ( 580 هـ - 1184 م ) أما مسجد اشبيلية فقد حوله الاسبان بعد استيلائهم على اشبيلية ( 1248 م ) الى كنيسة وحولت منارته العظيمة الى برج للناقوس وهي لا تزال قائمة الى الان مثالا رائعا للفن ويعرف ببرج ( الجيرالدا ) .

أما مسجد حسان بالرباط فرغم ما اصابه نتيجة حريق تعرض له ، وهزة أرضية في القرن الثامن عشر فلا زالت اطلاله ومنارته العظيمة التي تبلغ 66 مترا ناطقة بعظمته .

(84) P. 288 - 294

(85) P. 306

(86) P. 323

(88) يشغل الكتاب الثالث الصفحات ( 393 - 560 )

(89) P. 437

(90) P. 438

(91) P. 438

(92) P. 448

(93) P. 470

(94) P. 454

(95) P. 475

(96) P. 401

(97) P. 407

(98) P. 421

(99) P. 496

ملاحظة : لعبت هذه المدينة دورا هاما في تاريخ المغرب وذاعت شهرتها حين حدثت في السهل المجاور لها ( وادي المخازن ) في عام ( 1578 ) - معركة وادي المخازن او ( معركة الملوك الثلاثة ) التي قتل فيها الملك سبستيان ملك البرتغال .

— للدراسة التفصيلية للمعركة انظر : محمد الفاسي : موقعة وادي المخازن الخامسة ( مجلة البحث العلمي المغربية العدد التاسع - سبتمبر ، ديسمبر 1966 ) ص 213 وما بعدها .

(100) P. 502

— وقد ورد ذكرها مرارا في «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» - للدريسي باسم (أصيلا).

- (101) P.P. 504 ، 506  
وقد وصل البرتغالي للعرش سنة ( 1508 م ) .
- (102) يشغل الصفحات من 659 الى 689 .
- (103) بدأت سلطة الدولة الزيانية في تلمسان بحكم أبو يحيى ( يغمر اسن بن زيان ) ( 633 هـ - 1236 م ) وقد مر حكم هذه الاسرة بمرحلتين ، انتهت المرحلة الاولى بحكم ( أبو تاشفين ، عبد الرحمن الاول بن موسى ) لكن نجح المرينيون في القضاء على هذه الدولة 737 هـ - 1337 م . وانبثقت هذه الدولة من جديد على يد أحمد ابن موسى الثاني 760 هـ - 1359 م ونجح ( هروج ) أخيرا في أن يحتل تلمسان عام 1517 .  
انظر : ابن خلدون ج 7 ص 161 .
- Bargués : Complément de l'histoire des Beni Zeiyan (1887)
- (104) P. 683
- (105) أشار الى أن تشييد قسنطينة يرجع للنفوذ الفينيقي على الشمال الافريقي .  
كما شهدت صورا من الكفاح بين القرطاجنيين والرومان P. 704
- (106) يشير الى الاختلاف في الآراء حول تشييد قرطاج P. 715
- (107) تحدث بالتفصيل عن تاريخ تونس وقيام الدولة الحفصية ، وأبو زكريا يحيى الاول ( 627 هـ - 1229 م ) ويتحدث عن المجتمع التونسي ، والتقاليد المتبعة في قصر حكام تونس وحاشية الحاكم ونظام وراثة العرش .
- (108) يشير الى بناء ( عبد الله المهدي ) الخليفة الشيعي مؤسس الدولة العبيدية لمدينة المهدية في موضع بين ( سوسة ) و ( صفاقس ) وانتقل اليها واتخذها مركزا لحكمه في عام ( 308 هـ ) وحصنها ، وبنى بها الجامع ، ودارا للصناعة .
- (109) أشار الى بناء ( عقبة ابن نافع الفهري ) في سنة 50 هـ لمدينة القيروان في قلب البلاد التونسية ، وكانت هذه هي الخطوة الاولى نحو ظهور ولاية اسلامية بهذه البلاد ، وأحاطها عقبة بسور بسيط ، وجعل في وسطها الجامع الذي نسب اليه ، وابتنى بها دارا للامارة ، وقد عاد عقبة بن نافع الفهري لامارة افريقية في خلافة ( يزيد بن معاوية ) فتدارك أمر القيروان بعد أن كان قد أصابها الإهمال (P. 716 — 722)
- ملاحظة : عن بناء القيروان انظر : التويري . وانظر :
- Rae : The country of the Moors P.P. 215-313
- Broadley : Tunis Past and Present vol. II. P. 127 : وانظر
- (110) P. 734 - 735
- (111) P. 822
- يذكر ( بارث ) أنها بنيت ( 435 هـ - 1033 م ) وانتشر الاسلام بين أهلها في القرن 13 الميلادي .

— انظر :

Barth, H. : Travels and Discoveries in North and central Africa (1845-1855) vol. IV P. 582

— وكذلك :

Park : Travels in the interior districts of Africa (1799) P. 191-200

(112) وصلت مالي الى درجة عظيمة ايام منسى موسى الذي اعتلى العرش سنة (706 هـ - 1307 م) وقد كانت رحلته للحج سنة (725 هـ - 1324 م) مشار حديث الناس في القاهرة لمدة طويلة .

فقد ذكر ابن فضل الله العمري ( + 724 هـ - 1341 م ) : مسالك الابصار في الممالك والامصار ( القاهرة 1924 ) ... والذي زار القارة بعد زيارة منسى موسى لها بائنتي عشرة سنة « ان ما طرح من ذهب في أسواق القاهرة أدى الى هبوط قيمته هبوطا شديدا وذلك لسنوات » .

(113) P. 824 - 825

يذكر (Barth) ان تمبكتو بنيت في نهاية القرن الخامس الهجري ، وان الطوارق هم الذين بنوها وأن جامعها العظيم والقصر يرجعان الى ( منسى موسى ) الذي كلف أحد المهندسين من الاندلس وأسمه ( الساحلي ) بهذا العمل ، وانها أصبحت مركزا رئيسيا للتجارة يلد اليها التجار من درعة ، وسوس ، وسجلماسة ، وفاس ، ومن غدامس وفزان بل ومن مصر .

Barth, H. : OP. Cit. IV P. 403-480 and P. 584 — انظر :

(114) P. 826

— وقد بلغت صنفاي القصى درجة من الشهرة ايام حكم ( اسيكا ) .

(115) P. 828

— يلاحظ أن جوبير هي وطن الامام عثمان بن لوديو - الزعيم الفولاني المشهور .

(116) اشار الى ( كاتو ) الرحالة

(Oudnev), (Denham), (Clapperton) : D. Denham, H. Clapperton and W. Oudney : Travels and dicoveries in Northem and Central Africa in 1822 - 4 (1826)

— كذلك Barth : OP. cit. vol. II P. 110

(117) P. 834

(118) تلاحظ هنا انه يطلق لفظ ( النوبة ) كتعبير جغرافي على منطقة واسعة رغم وجود ممالك مستقلة او على الاقل ادارات مستقلة في ذلك الوقت في كردفان ، ودارفور ، ودنقلة .

— من يريد التوسع والحصول على حقائق من شاهد هيان من بلاد النوبة ، انظر : Burckhardt : Travels in Nubia (1822)

وهناك ترجمة له باشراف ( الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ) .

(119) P.P. 895 - 905

- P. 937 (120)
- P. 939 (121)
- P.P. 972 – 996 (122)
- P.P. 997 – 999 (123)
- P.P. 1001 – 1030 (124)
- P.P. 1052 – 1053 (125)
- P. 1048 (126)
- P. 1074 – 1105 (127)
- P. 1106 – 1119 (128)
- Schefer : Description de l'Afrique, I : P. XXV (129)
- Ibid P. XXV (130)
- Massignon : Maroc P. 65 (131)
- (132)
- Walckenaer : Recherches Géographiques sur l'intérieur de l'Afrique septentrionale (1821)
- (133) ك. شكوفكسي : تاريخ الادب الجغرافي العربي (الترجمة بالعربية) قسم 1 ص 454  
عن 71 ( 1908 )
- Kramers, J.H. : Enzklopaedie des Islam (Lepzig 1908) P. 71
- (134) جمال زكريا قاسم : الحسن بن محمد الوزان مجلة العربي – يونيو 1972 ص 94 .
- Morgan : A complete History of Algiers (1731) P. VII
- Chenier : Recherches historiques sur les Maures (1787) V. III P. 65
- Massignon : Leo Africanus P. 24 (135)
- (136) في مكتبة الاسكوريال تحت رقم 598 – لها ( كاسيري ) فهو علامة لبناني وضع  
فهرسا جامعا باللاتينية لمجموعة المخطوطات العربية الموجودة بقصر الاسكوريال في  
مجلدين عام ( 1760 ) 6 ( 1770 )
- Casiri : Bibliotheca Arabico. Hispana Escorialensis  
( 1760 – 1770 ) —
- (137) انظر : محمد المهدي الحجوي : حياة الوزان الفاسي – بحث مقدم لمؤتمر  
المستشرقين بفاس 1933 .
- P. 412 (138)
- Vol. I. P. 164 (139)
- Vol. II. P. 172 (140)
- Vol. III. P. 886 (141)
- Vol. II. P. 127 (142)
- P.P. 904 – 905 (143)



# براء

عمر بها والدين الأميري

لصفاء عينيك العذاب  
يحلو العذاب فلا عذاب  
ولثغرك الزاهي الرقيق  
وقد تفتح عن حباب  
تتهنأ النفس العنا  
ويلذها خوض الصعاب  
يا بسمه بفم الزمان  
ودرة من غير عاب

يا زهرة قدسية التكوين  
عابقة المسالاب .  
ما أنت الا نعمة  
وافقت على غير ارتقاب  
الأهل أنت أنيسهم  
لك في قلوبهم رحاب  
دهما أتيت فلا جناح  
ولا ملام ولا عتاب  
كم ذا بللت ثيابهم  
بل كم تخطيت الثياب  
فتضاحكوا .. وتلاثموك  
كأن فعلتك الصواب

\* \* \*

ان تبسم .. شاع السرور  
.. وان بكيت .. البشر غاب  
واذا ثغوت بحضن أمك  
زغدت فيها الرغاب

فاذا رنوت الى الشدى  
تدفق الروح المذاب

\* \* \*

أبراء يا بردا لروحي  
لاح في لفحات « آب »

يا من أراه خلال طيف  
الغيب .. يرفل في الشباب

وأراه — بالآمال — خلقا  
نيرا .. غض الاهباب

وأراه خاض الى العلى  
والمجد .. أغوار العباب

وأراه بالايمان والعرفان  
.. مرفوع الجناب

يتقدم الصف الابى  
.. ولا يحيد ولا يهاب

هذا سؤال محبتي  
لك ، فلتكن أنت الجواب

أبراء ، هذا الدهر من  
صفو ومن كدر يشاب  
فاصبر اذا شد الزمان  
عليك في ظفر وناب  
واشكر اذا بسمت لك  
الايام ، وانقشع السحاب  
جانب بحالك التغالى  
والتمس حسن المآب  
بين الفضيلة والرديلة  
في صراع العزم قاب  
فأثبت لاغراء الحياة  
وكن قويا في المصاب  
واحرس على التقوى تفرز  
فمآل دنيانا .. تراب  
أبراء ما في الخلق لى  
من حيلة فذر العتاب

الله قدر أن تكون  
وحكمه أمر عجاب  
لك أن أمدك يا بني  
وأن أعدك للغلاب  
وأظل أمحضك الهدى  
والحق والرأى اللباب  
فعسى تميز الصدق في  
سبل الحياة .. عن السراب  
وعسى تكون موكلا  
بالخير في أم الكتاب

\* \* \*

أدعو لك الرحمن من  
قلب يكن لك الحباب  
لكن في عزمات روحك  
والنهي ... فصل الخطاب

**الرباط    عمر بهاء الدين الاميرى**



# حول انتحار العلماء المختصين في الانتحار

د. رشدي فكار

ظاهرة الانتحار من الظواهر التي عرفتھا المجتمعات البشرية في مراحلها المختلفة وبدرجات متفاوتة حسب حركية العوامل المساعدة أو المهيئة لها عند الافراد واثار البيئة الاجتماعية وطبيعة التنشئة ومدى الالتزام باطار قيم محدد وفاعليته في ردع المجازفة بالحياة في مرحلة التأزم واليأس .

ولقد لعبت الاديان السماوية دورا اصيلًا في الحد من انتشار هذه الظاهرة حينما صنفتها بين الظواهر المحرمة والمنوعة ، وربطت منح الحياة وعظائنها بخالق هو المسير لها لما فيه خيرها وهو قابضها واليه مآلها . وهكذا كانت احكام الاديان صارمة بالنسبة لقداسة حياة الانسان ، وان من تسول له نفسه ان يتخذ طريق الانتحار مسلكا يفقد بعد دنياه آخرته ، وتطبق عليه احكام خاصة حين هلاكه ، نلاحظ هذا بوضوح في تعاليم ديننا الاسلامي الحنيف وشعائره .

ولقد كان موقف الاخلاق والمثل المعنوية والانسانية السامية في العصور الماضية نفس موقف الاديان من الانتحار « اللهم الا ما ندر لدى بعض الفلاسفة ساعة تأزم الحياة او أزمة الضمير » ، وصنف المنتحسرين تصنيفا سلبيا على اى حال الا عند قلة من ذوى المشارب الفكرية الخاصة بل والشاذة في بعض الاحيان .

ومع العصر الحديث وتطور البحث العلمى فى ميدان العلوم الاجتماعية والنفسية خضع الانتحار كبقية الظواهر للدراسة تحليلا وشرحا وتفسيرا فى محاولة لمعرفة جذوره ونشأته والعوامل المشكلة لسبببته اجتماعية او اقتصادية او نفسية عاطفية .. الخ ، وتصنيفها بين عوامل رئيسية وثانوية بين عوامل مانعة او دافعة ، وساعدت الدراسات الاحصائية خصوصا منذ مطلع القرن التاسع عشر على توضيح معطيات ظاهرة الانتحار ومقارنتها بهدف الوصول الى بعض النتائج « كمثال دراسة دوركايم عن الانتحار » ، ثم تعددت بعد ذلك البحوث وتنوعت اوجه البحث ميدانيا ونظريا وشكلت هذه الظاهرة مادة من المواد الهامة فى حقل السوسولوجيا والسيكولوجيا على حد سواء بعد ان زاد انتشارها اتساعا فى المجتمعات الصناعية المتقدمة خصوصا فى الوحدات الحضرية الكبرى « المدن الكبرى » ، بل واخذها طابعا وبائيا الى حد ما لدى بعض الفئات كمجرد مثال فنائى السينما ، وكذا ارتباطها ببعض الظواهر الاخرى وتداخلها معها كظواهر الادمان على تعاطى المخدرات والجنس والخمر والميسر .. الخ ، وحتى ارتقائها لدى بعض فئات النخبة المفكرة المستلبة فى المجتمعات الاستهلاكية الى نوع من فلسفة الخلاص ودعوة بعض المتشائمين من مسيرة الحضارة المعاصرة وتأزمها وافلاس بعض مناحيها الى ما يشبه الانتحار الجماعى بابرارهم للجوانب السلبية « ماركوز » واصرارهم مع ذلك على السير فى نفس المسيرة الاستلابية ، كما لاحظنا ذلك بوضوح فى بعض اللقاءات الدولية والمؤتمرات العالمية « اللقاء الدولى فى جنيف تحت شعار الى اين تسير الحضارة ؟ والمؤتمر الدولى منذ عام تحت اشراف اليونسكو فى باريس عن الهيستيريا ونقل الظواهر النفسية المرضية » . ومن ثم تكافئت العوامل وتكاملت لتجعل من هذه الظاهرة ظاهرة العصر وهى التى كان ينظر اليها كمجرد ظاهرة عرضية منعزلة فى العصور الماضية .

غير انه مما يدعو الى مزيد من الملاحظة والتأمل فى هذه الظاهرة ان العدوى والوباء لم يقفيا عند حد المرضى بها ، بل تجاوزهم الى

المعالجين لها ايضا ، بمعنى انتحار العلماء المختصين في دراسة الانتحار  
واحدث مثال يذكر انتحار احد كبار عمداء الدراسات الاجتماعية والنفسية  
في الولايات المتحدة الامريكية ونعنى به العالم الكبير « جاكوب مورينو »  
مؤسس المدرسة السوسيومترية اى القياس الاجتماعى ، وهو العالم الذى  
لا تخلو دراسة جدية فى حقل البحث الاجتماعى والنفسى دون الاشارة اليه  
عبر مؤلفاته وابحائه المتعددة عن الظواهرات بما فى ذلك الانتحار والعلاج  
النفسى الاجتماعى لها ولغيرها من الظواهرات .

انتحر مورينو فى مايو الماضى .. بعد ان قرر الامتناع عن لقاء الاتباع  
والاصدقاء وعن الطعام حتى الموت ، ومات مورينو منتحرا ، واصبح  
لفزا جديرا بالدراسة حتى فى اطار نظريته السوسيومترية نفسها . لقد  
قطع مورينو طريقا طويلا من البحث بعد ان ترك موطنه الاصلى رومانيا ،  
 واصبح طبيبا معالجا فى المستشفيات العقلية والعصبية بالنمسا ، ثم هاجر  
الى الولايات المتحدة الامريكية سنة 1927 ، وتجنس بجنسيتها سنة 1935  
وانشأ المدرسة السوسيومترية وتابع دراساته وابحائه الهامة المتشعبة حتى  
وفاته ، وساهم فى علاج كثير من الظواهرات وتعرض لظاهرة الانتحار  
بالدرس والتمحيص فى اطار هذه الدراسات الواسعة .

وكنا جميعا نقدره فى المؤتمرات واللقاءات الدولية لاتساع افقه ، وعمق  
تحليلية وشمولية نظريته العلمية . ومنذ اعوام جمعنا به ندوة حول الظواهرات  
المهترزة وكيفية قياسها على مستوى العلاقات ، وكنا ننظر اليه وهو  
يتحدث ونتأمل ملامحه فى شيخوخته وكان يبدو لنا ان قلقا دفينا يهز  
اعماق هذا الشيخ ، وان معرفته العلمية رغم عمقها وفيضانها لم تعطه  
الثقة فى الحياة بقدر ما عمقت لديه عوامل الشك فيها وفى قيمتها . ونذكر ،  
ان وعت الذاكرة الان ، مادار فى حديث ودى معه على هامش الندوة عن  
حقيقة النفس وواقعها وعن الاهتزاز النفسى ، وعن العصاب والذهان  
وقدرات القياس والملاحظة ... ان اجاباته كانت دائما اجابات رزينة ومختصرة  
ولكنها تعطى للنسبية مكانا بارزا .

وحينما وصل الى سمعنا نبأ انتحاره كان التساؤل : اما دار بخلد  
مورينو ايضا ان الحياة بمنطوقها الاجوف حينما تحلل من خلال مجرد اقيسة  
عادية عارية عن كل مضمون روحى هى نسبية فى بقائها او عدمه ؟ وان  
هذا العراء عن المضمون الروحى جعلها عارية اساسا عن علة  
استمرارها وباتت مجرد تكرار ممل فى مرحلة الشيخوخة وتفتت الخلايا  
وتاكلها .

لقد راح مورينو ضحية لاقبيسته فى تقييم القيم ، وفى تقرير الانسبية

في النسبية ، ولرؤيته في العلاقات كمجرد فعل ورد فعل له ، كما راح غيره ضحية لذلك من قبل من الذين اعطوه للاهلية الفكرية « مع اعترافهم بنسبيتها على مستوى الجوهر » قدرة الغائية في الاحكام ، وما نلاحظه بالنسبة لمورينو نلاحظه على مستوى حضارة العصر وتأزمه ، كقضية تطرح الآن باصرار وقد تعرضنا لبعض جذورها في المجلد الخامس من نظرية **المراهنة الصناعية** تحت عنوان : الصناعة وازمة الحضارة — مطبوعات كلية فرنسا « كولج دي فرانس » ، كما اشرنا أيضا في لقاء أخير عن **التربية وأسسها في هذا العصر** الذي انعقد بجنيف في سبتمبر الماضي ، وكان منطلقنا دائما في تفسير الازمة أزمة الانسان ، أزمة المجتمع ، أزمة العصر ، ان الانسان ليس فقط فم يأكل ، ومعدة تهضم ، جسد مادي يتلذذ ويتذوق حسيا ، وانما استمرار لرسالة سامية تتوارثها الاجيال وقيم اصيلة خالدة يتدافع البشر من أجل بقائها لا من أجل تدميرها واستهلاكها .

ان الانسان الذي اتخذ من ارضاء رغباته ، واشباع غرائزه المادية هدفا ، لا شك سينتهي بانتهائه ، اما الانسان الذي يرى انه يعيش لما هو اسمى وان معرفته مهما تعمقت وفاضت فهي قطرة من محيط المعرفة الغائية والتسليم بهذه الغائية الى جانب التسليم بنسبية معرفتنا هو الانسان المتعادل المتوازن الذي استطاع ان يوازن بين رغباته وقيمه ، ويعادل بين غرائزه ومثله . ان التسليم بنسبية المعرفة لا يعنى التسليم بها في اطار دون اطار آخر ، نسلم بنسبية المعرفة العلمية ولكن نمنع تطبيقها بالنسبة للروحانيات ، ان نسبية المعرفة كل لا يتجزأ ، اما اننا على معرفة غائية بسببية الظاهرات وعلية الكون ، وهنا يحقق لنا ان من ذاتنا المادية نبدا وبها تنتهى ، واما ان المعرفة نسبية على كل مستوياتها « وهو الراى الذى سلم به الجميع مظهريا على الاقل بما في ذلك اصحاب النظرية التلورية العضوية انطلاقا من سبنسر » وعليه فعلة وجود الانسان ومآله وخالفه وروحانياته لاتحدد الا على مستوى غائية المعرفة التى لم تدرك بعد ، والتى هى رمز لعلم الله وكماله العارف بكل شىء لانه هو الخالق لكل شىء ، كما اشرنا الى ذلك في خاتمة مؤلفنا : **تأملات في الاسلام** وصدق العلى العزيم حين قال « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » بهذا يستريح الانسان ويريح ، ولا يجهد روحه في اخراجها عن جسده قبل حلول الاوان .

ان انتحار علماء الانتحار ، كوفاة علماء طب القلب بالقلب «العلامة البروفسور لونيغرا اخيرا» يقيم لنا دليلا جديدا على ان الانسان لم يؤت من العلم الا القليل ، وان اصلته الحققة في تواضعه مهما اعطى من المعرفة ومهما حاز من الالقاب والتشريف العلمى ، وانه ان كان سيدا لمعركة على

مستوى الجزئيات في فهم بعض معطيات الوجود من خلال الاكتشافات والاختراعات والخلق العلمي قد تدفعه الى الكفر بخالقه واحلال نفسه محله ، فهو على اية حال اراد ام لم يرد مازال مسودا ومسيرا بقوانين الكون الخالدة التي تلهم ذوى العقول الواعية الشاكرة ، عظمة المحرك والمسير لها ، وصدق العلى العظيم حين قال : « انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا هدينا السبيل اما شاكرا واما كفورا » .

### الرباط

### رشدي فكار

#### ولادة بنت المستكفي

« وكانت من نساء اهل زمانها واحدة اقرانها ، حضور شاهد وحرارة اوابد ، وحسن منظر ومخير ، وحلاوة مورد ومصدر ، وكان مجلسها بقرطبة منتدى لاحرار العصر ، وفناؤها ملعبا لحياد النظم والنثر ، يعيشو اهل الادب الى ضياء غرتها ، ويتمالك افراد الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها ، الى سهولة حجابها ، وكثرة منتابها ، تخلط ذلك بعلو نصاب ، وكرم انساب ، وطهارة اثواب » .

الذخيرة - لابن بسام

المجلد 1 ص : 379



# فدريكو كشرشالوركا

1898 - 1936

شاعر . مؤلف مسرحي . ناقد . موسيقى . رسام .  
محاضر . ولد بقرية فوينطى فكورو ، بضواحي غرناطة ،  
وفيها شهد مصرعه الدامي . من عائلة فقيرة . احرز  
شهادة الحقوق . ادار مسرحه المعروف باسم ( الكوخ )  
الذي كان يجول به في مختلف الاقاليم الاسبانية .

يعتبر لوركا من اكبر شعراء اسبانيا قاطبة ، لقى  
مسرحه حظوة كبيرة في العالم ، فترجم ، وشخص في  
اكبر المسارح العالمية . وفي آخر حياته تحول الى شاعر  
سوريالي ، بعد سفره الى نيويورك ، لالقاء محاضرات  
هناك . صودرت جميع اعماله الادبية من التداول في  
اسبانيا ، ولم يفسح لها المجال الا في اوائل الخمسينات .

وفي ما يلي ترجمة لثلاث قصائده بتصريف :

# أنشودة

قرطبة

بعيدة ووحيدة .

يا ألما أسود ، وقمرا مكتملا ،

وحزنا كميننا في قلبي .

على معرفتي بالطريق ،

فلن أصل قط اليك ، يا قرطبة .

يا للعويل ، يا للرياح

يا ألما أسود ، وقمرا أحمر .

الموت يرنو الى

من صوامعك ، يا قرطبة .

آد ! ما أطول الطريق !  
ما أشد لوعتى .

آد ! والموت ينتظرنى ،  
قبل أن أصل اليك يا قرطبة .

قرطبة  
بعيدة ووحيدة .

## حقيقة

كم من عناء بذلت  
لأحبك ، كما أحبك !

لحبك يوجعنى الهواء  
والقلب  
والقبة .

ألا ، من يشتري منى  
شريطتى السوداء  
وهذا الحزن  
المذلول خيطا  
أبيض ، لأنسج منه المناديل ؟

كم من عناء بذلت  
لأحبك ، كما أحبك !

## أغنية للأطفال

— أمـاه  
أريد أن أتحول الى فضة .

— سيصيبك برد  
شديد ، يا بنى .

— أمـاه

أريد أن أتحوّل الى ماء

— سيصيبك برد

شديد يا بني .

— أمـاه

ارقميني في وسادتك

أجل !

في الحال

ترجمة الشاعر



# أَبُو حَيَّان

## ناقد تخريجات قراءات الزمخشري

د. الراجي التهامي الهاشمي

ملخص ما سبق أن نشر في الحلقة الاولى :

تعرضت في الحلقة الاولى التي نشرت بالعدد الثامن من مجلة الثقافة المغربية ( 38 / 51 ) الى نقد تخريجتين ؛ التخريجة الاولى انصبت على قوله « أنذرتهم » في الآية 6 / 2 ، تلك التخريجة التي لحن فيها الزمخشري الامام ورش الذي قرا هذه اللفظة مبدلا الهمزة الثانية الفا . وانصبت التخريجة الثانية على قراءة يزيد بن قتيب للفظ « اظلم » في الآية 20 / 2 الذي جعل هذا الفصل في قراءته هذه ، متعديا منقولا من ظلم ؛ وهو امر اعتبره الزمخشري ، ورفضه ابو حيان الذي رأى انه يتعدي بحرف جر لا بالنقل ؛ واليوم اتابع نقد هذه التخريجات القرآنية .

3 - أما التخريج الثالث الذي لم يقبله أبو حيان من الامام الزمخشري ، فردّه وبين وجهة نظره فيه ، لكن بلطف وادب ، فيتعلق بقراءة « والذين من قبلكم (1) » في الآية الكريمة : « يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون (2) » . قال الزمخشري « وهي قراءة مشككة ، ووجهها على اشكالها ان يقال اقحم الموصول الثاني بين الاول وصلته تأكيدا كما اقحم جرير في قوله (3) .

يا تيم تيم عدي لا ابالكم (4)

تيمما الثاني بين الاول وما اضيف اليه ، وكأقحامهم لام الاضافة بين المضاف والمضاف اليه (5) لا ابالك (6) » .

قال أبو حيان مصوبا هذا الكلام : « وهذا التخريج الذي خرج الزمخشري قراءة زيد عليه هو مذهب لبعض النحويين . . زعم انك اذا اتيت بعد الموصول بموصول آخر في معناه مؤكد له لم يحتج الموصول الثاني الى صلة نحو قوله :

من النفر اللائي الذين اذا هم يهاب اللئام حلقة الباب قعقعوا

فاذا جوابها صلة اللائي ولا صلة للذين ، لانه انما اتى به للتأكيد . قال اصحابنا وهذا الذي ذهب اليه باطل لان القياس اذا اكدت الموصول ان تكرره مع صلته لانها من كماله . واذا كانوا اكدوا حرف الجر اعادوه مع ما يدخل عليه لافتقاره اليه ، ولا يعيدونه وحده الا في ضرورة . فالأحرى ان يفعل مثل ذلك بالموصول الذي ؛ الصلة جزء منه (7) » .

وقضية تعدد الموصول بنوعيه ، الاسمي والحرفي مطروقة في كتب النحو (8) . وما اعتقد ان الزمخشري تخفى عليه منها خافية وهو الذي طرقها بتفصيل في « المفصل (9) » .

4 - يتساءل الامام الزمخشري في بعض الاحيان عن السبب الذي جعل النطق بلفظة ما على شكل معين دون غيره ، فينبه معتمدا على

معلوماته الواسعة فى النحو واللفظة ؛ فادا اُجاد سكت عنه العلامة ابو حيان او اثنى عليه ، ولكن اذا اهمل شيئا او ذهل عن امر مهم تصدى له رادا تاويلات ، ناقدنا تخريجاته .

واحسن مثال يمكن ان اعزز به ما اقول ما ذكره الترمخشري آن تفسيره لكلمة « نزلنا » فى قوله تعالى « وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله ، وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين (10) » .

وقبل ان نذكر ما قاله فى شأن هذه اللفظة يحسن ان نشير الى ان الترمخشري لم يتعرض ، وهو بصدد شرحها ، الى قراءتها متعدية بالهمزة ، وهي القراءة التي قرا بها يزيد بن قطيب (11) ، فهل لم يطلع جـار الله عليها ؟ او اطلع عليها وشق عليه ذكرها لانها تخرجه عن الصيغة التي اعطاها لهذه المفردة فى تفسيره . ذلك ما لا يمكن الجواب عنه بشكل قطعي ، وقد طواه التاريخ الى غير رجعة .

اقول تعرض الترمخشري لقراءة هذه المفردة فقال : « فان قلت : لم قيل « مما نزلنا » على لفظ التنزيل دون الانزال ؟ - قلت لان المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم ، وهو من مجازه لكان التحدي . وذلك لانهم كانوا يقولون : لو كان هذا من عند الله مخالفا لما يكون من عند الناس ، لم ينزل هكذا نجوما سورة بعد سورة وآيات عقب آيات على حسب النوازل وكفاء الحوادث وعلى سنن ما نرى عليه اهل الخطابة والشعر ، من وجود ما يوجد منهم مفرقا حيناً فحيناً وشيئاً فشيئاً حسب ما يعين لهم من الاحوال المتجددة والحاجات السانحة ، لا يلقي الناظم ديوان شعره دفعة ولا يرمي النائر بمجموع خطبه او رسائله ضربة ، فلو انزله الله لانزله خلاف هذه العادة جملة واحدة (12) ... »

فلم يرض ابو حيان بهذا التأويل ورد على صاحبه قائلا : « ونزلنا التضعيف فيه هنا للنقل وهو المرادف لهمزة النقل ويدل على مرادفتها فى هذه الآية قراءة يزيد بن قطيب مما انزلنا بالهمزة وليس التضعيف هنا دالا على نزوله منجما فى اوقات مختلفة خلافا للترمخشري » .

وبعد أن يورد كلمته يعقب عليه فيقول : « وهذا الذي ذهب اليه  
الزمخشري في تضعيف عين الكلمة هنا هو الذي يعبر عنه بالتكثير أي  
يفعل ذلك مرة بعد مرة فيدل على هذا المعنى بالتضعيف ويعبر عنه بالكثرة  
وذهل الزمخشري على أن ذلك إنما يكون غالبا في الأفعال التي تكون قبل  
التضعيف متعدية (13) » .

وحتى تلك الفوائد التي أتى بها الزمخشري وهو يخرج قراءة هذه  
اللفظة لم ترق أبا حيان الذي قال عنها : « وقد تعرض الزمخشري هنا  
لذكر فائدة تفصيله وتقطيعه سورا ، وليس ذلك من علم التفسير ، وإنما  
هو من فوائد التفصيل والتسوير (14) » .

5 - أما التخريج الخامس فقد انصب على الآية الكريمة : « واذ  
قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا  
وقولوا حطة تففر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين (15) » .

تناول الامام الزمخشري هذه الآية او بالاحرى كلمة « حطة » فقال  
عنها : « حطة فعلة من الحط كالجلسة والركبة ، وهي خبر مبتدأ محذوف ،  
أي مسألتنا حطة ، وأمرك حطة . والاصل النصب بمعنى : حط عنا ذنوبنا  
حطة (16) .. »

تأمل أبو حيان هذا التخريج فأعجبه وقال بعد أن أورده برمته ،  
« انتهى كلامه وهو حسن ، ويؤكد هذا التخريج قراءة ابراهيم بن أبي  
عبلة ... (17) »

لا شك أن هذه الشهادة التي يقدمها أبو حيان لصالح الزمخشري  
لها أبعادها العظيمة التي لا تخفى على كل ملاحظ . ذلك أن أبا حيان الذي  
ينقد عادة جار الله نقدا لاذعا كلما حاد عن خطته في تخريج قراءة ما  
يشيد بذكره هنا وينقل عنه قراءة يعتمدها ويستشهد بها .

ولكنه وقد أتى على تخريجة لكلمة حطة واعتمد قراءة قارئ روى  
قراءته الزمخشري ، عاد مرة ثانية لكلمة « حطة » مقروءة بالنصب - وهي

قراءة ابراهيم بن أبي عبله التي رواها الزمخشري ونقلها عنه أبو حيان ليرد كلمه .

قال الزمخشري : « فان قلت : هل يجوز ان تنصب حطة في قراءة من نصبها ب « قولوا » على معنى قولوا هذه الكلمة ؟ قلت لا يبعد ، والاجود ان تنصب باضمار فعلها ، وينتصب محل ذلك المضممر بقولوا (18) » .

فيرد عليه أبو حيان قائلا : « وما جوزه ليس بجائز لان القول لا يعمل في المفردات انما يدل على الجمل للحكاية فيكون في موضع المفعول به الا ان كان المفرد مصدرا نحو قلت قولاً او صفة لمصدر نحو قلت حقاً او معبراً به عن جملة نحو قلت شعراً وقلت خطبة (19) » .

ولكن هذا الكلام ، الذي يظهر وكأنه كله صواب لم يكن في حقيقة عار من خطأ . لذلك تكفل القنوي الرد عليه في حاشيته التي وضعها على البيضاوي (20) .

ذكر هذه اللفظة الباحثة جلال الدين السيوطي فقال : (21) « حطة قال الراغب : قليل معناه قولوا صواباً . قلت وينبغي ان يكون معرباً . ثم رأيت مصرحاً به في تفسير الاصبهاني ما نصه وقيل ان هذه اللفظة من الفاظ اهل الكتاب لا يعرف معناها في اللغة العربية والله اعلم (22) » .

6 — اما التخريج السادس فقد دار حول قراءة « لا ذلول » في قوله تعالى : « قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث ، مسلمة لاشية فيها . قالوا الآن جئت بالحق ، فذبوها وما كادوا يفعلون (23) » .

احب قبل ان اتعرض لنظرية الزمخشري في تخريجه لقراءة ذلول وقبل ان اورد رد أبي حيان عليه أن اؤكد — مرة أخرى — انني ، رغم ما



يمكن ان يظهر لبعض الناس من خلال قراءتهم لهذا البحث من الميل الى التعقيد فى القواعد اللغوية والرغبة فى الفوص الى عمقها والتتبع لتأويلات جافة متضاربة ، لست من انصار المطالبين باحياء هذه الدراسات وتعميمها بين سائر الناس بل ارى انه يجب ان تبقى وقفا على ذوي الاختصاص الذين عليهم ان يستغلوا اختصاصاتهم فيها ومعرفتهم بخفاياها لتيسيرها تيسرا يسهل ما عسر منها ويوضح ما غمض فيها لاغين كل ما يحول دون تبسيط هذه اللغة العربية ويوقف فى وجه الراغبين فى التحدث بها .

ورغم ايماني بضرورة الابتعاد عن مثل هذه الدراسات التي تثبط العزائم ولا تقويها وتؤخر لغتنا ولا تقدمها ، فانني مضطر مع ذلك ان اوردتها رغم تعقيدها ، والا ما اتضح لنا تخريج الامام الزمخشري وما استفدنا من رد ابي حيان عليه . وسأحاول جهدي تبسيط ذلك اعتمادا على ما صرحت به اعلاه .

قال الزمخشري دارسا هذه اللفظة : « لا ذلول صفة لبقرة بمعنى بقرة غير ذلول ، يعني لم تذلل للكراب واثارة الارض ولا هي من النواضح التي يسني عليها لسقي الحروث ، و « لا » الاولى للنفي ، والثانية مزيدة لتوكيد الاولى . لان المعنى : لا ذلول تشير وتسقى ، على ان الفعلين صفتان للذلول ، كأنه قيل : لا ذلول مثيرة وساقية . وقرا ابو عبد الرحمن السلمي . لا ذلول بمعنى لا ذلول هناك : اي حيث هي ، وهو نفي للذلول ؛ ولان توصف به فيقال : هي ذلول ونحوه قولك : مررت بقوم لا بخيل ولا جبان ، اي فيهم ، او حيث هم (24) » .

يفهم من هذا التخريج امور كثيرة منها ان :  
— « لا » الثانية مزيدة .

وعلى هذه النقطة رد ابو حيان فقال : (25) « ووافقه على جعل لا الثانية مزيدة صاحب المنتخب ، وما ذهب اليه ليس بشيء لان قوله لا ذلول صفة منفية بلا . واذا كان الوصف قد نفي بلا لزم تكرار لا النافية لما دخلت عليه تقول مررت برجل لا كريم ولا شجاع ، وقال تعالى « ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب (26) » وظل من يحموم لا بارد

ولا كريم (27) » ، « لا فارض ولا بكر (28) » . ولا يجوز ان تأتي بغير تكرار لان المستفاد منها النفي .

ثم بعد ذلك يتصدى ابو حيان للقراءة التي رواها الزمخشري وهي قراءة ابي عبد الرحمن السلمي فيقول : « فعلى ما قدره يكون الخبر محذوفا ويكون قوله « تثير الارض » صفة لاسم لا وهي منفية من حيث المعنى ولذلك عطف عليها جملة منفية وهو قوله « ولا تسقي الحرث » . واذا تقرر هذا فلا يجوز ان تكون تثير الارض ولا تسقي الحرث خبرا لانه كان يتنافر هذا التركيب مع ما قبله . لان قوله : « قال انها بقرة يبقى كلاما منفلتا مما بعده اذ لا تحصل به الفائدة الا على تقدير ان تكون هذه الجملة معترضة بين الصفة والموصوف ويكون محط الخبر هو قوله « مسلمة لا شية فيها (29) » .

وبعد ان يرد كلام الزمخشري كما رايت يعطي نظره حول تخريج قراءة لا ذلول بالفتح وهي القراءة التي يرجع الفضل في نشرها بين الناس الى الامام جار الله . يقول ابو حيان مخرجا هذه القراءة :

« لا ذلول في قراءة السلمي تخرج على وجهين احدهما ان تكون معترضة وذلك على حذف خبر والثاني ان تكون معترضة وذلك على تقدير ان يكون خبر لا تثير الارض ولا تسقي الحرث (30) » .

## الراجي التهامي الهاشمي

## الدار البيضاء

### مصادر البحث

- (1) بفتح ميم « من » جاعلا منه موصولا ثان .
  - (2) السورة الثانية ، البقرة ، الآية 201 .
  - (3) اتم هذا البيت الشيخ محمد عليان أسفل صفحة الكشف المشار اليها اسفله ثم شرحه شرحا سهبا .
  - (4) اورد هذا البيت القاضي بهاء الدين عبد الله بن عقيل في شرحه على الفية ابن مالك ان شرحه للبيت .
- في نحو « سعد سعد الاوس » ينتصب \* ثان ، وضم وافتح اولا تصب وهو في احكام تابع المنادى - انظر شرح ابن عقيل ، الجزء الثاني ، صفحة 211 من الطبعة الحادية عشرة - القاهرة سنة 1380 الموافق ليناو 1960 ، الشاهد رقم 311 ، السطر الخامس .

- (5) لاحظت أن النص الذي نقل عنه أبو حيان في أوائل القرن الثامن الهجري يزيد عن النص الحالي المعروف في طبقات الكشاف - قارن النص الذي استشهدت به أعلاه مع نص البحر .
- (6) الكشاف ، الجزء الاول ، صفحة 66 ، السطر 11 .
- (7) البحر المحيط ، الجزء الاول ، صفحة 95 ، السطر الخامس .
- (8) انظر على سبيل المثال ملخصا لهذه القضية عند عباس حسن ، النحو الوافي ، الجزء الاول ، الطبعة الثالثة ، ابتداء من بداية الصفحة 303 .
- (9) المفصل ، الطبعة الاولى بالقاهرة سنة 1323 هجرية ، صفحة 141 ، السطر الخامس عشر .
- (10) السورة الثانية ، البقرة ، الآية 23 .
- (11) يزيد بن قطين السكوني له اختيار في القراءة . انظر ترجمته في غاية النهاية لابن الجذري ، الجزء الثاني ، صفحة 383 .
- (12) الكشاف ، الجزء الاول ، صفحة 73 ، السطر السابع .
- (13) البحر المحيط ، الجزء الاول ، صفحة 103 ، السطر العاشر .
- (14) البحر المحيط الجزء الاول ، صفحة 104 ، السطر 16 ، انظر أيضا السطر 26 .
- (15) السورة الثانية ، البقرة ، الآية 58 .
- (16) الكشاف ، الجزء الاول ، صفحة 106 ، ابتداء من السطر السابع عشر .
- (17) البحر المحيط ، الجزء الاول ، صفحة 222 السطر 20 .
- (18) الكشاف ، الجزء الاول ، صفحة 107 ، السطر الثالث .
- (19) البحر المحيط ، الجزء الاول ، صفحة 222 ، السطر 27 .
- (20) انظر ذلك في الجزء الاول ، صفحة 92 ، السطر 20 .
- (21) المذهب فيما وقع في القرآن من المغرب ، مخطوط بالاسكوريال رقم 1928 اللوحة 44 ابتداء من السطر 21 . ومما تجدر الإشارة اليه أن مخطوط الرباط الذي يحمل رقم ك 1032 والموجود في مجموع خال من هذه اللفظة ، وهو بتر غريب ، ذلك أن الصفحات وإن كانت متتابعة في ترقيمها ، فقد سقطت نصوص تعلق بالحاء برمتها وباكثر الجيم .
- (22) أعاد السيوطي ذكرها في الاتقان ، الجزء الاول 139 ، السطر 11 .
- (23) السورة الثانية ، البقرة ، الآية 71 .
- (24) الكشاف ، الجزء الاول ، صفحة 113 ، السطر 13 .
- (25) البحر المحيط ، الجزء الاول ، صفحة 255 ، السطر الخامس عشر .
- (26) السورة 88 ، المرسلات ، الآية 30 .
- (27) السورة 56 ، الواقعة ، الآية 44 .
- (28) السورة الثانية ، البقرة ، الآية 68 .
- (29) البحر المحيط ، الجزء الاول ، صفحة 236 ، السطر 6 .
- (30) المصدر السابق ، صفحة 286 ، السطر 33 .

سمعتها

أحمد عبد السلام البقالي

سمعتها  
سمعت تلك الكلمة ،  
الملهمة  
سمعتها ،  
من نظراتك الطوال ،  
بلا انفعال ،

ومن رموشك الثقال بالجمال

سمعتها

من بسماتك العذاب ،

بلا حساب

سمعت تلك الكلمة ،

الحالمة ،

العذبة المنسجمة

لكنها ، واحسرتاه !

ما نطقت بها الشفاء

فهي غير ملزمة !

فهل أسأت الانتباه ؟

أم هل أسأت الترجمة ؟

سمعتها

من حركات يدك الرشيقة ،

والأنمل المترفة الأنيقة ،

هل قلتها ؟

هل قلتها حقيقة ؟ !



يا ليتنى سمعتها من شفّتك  
فما عليك

لو قلتها ؟  
لو قلت تلك الكلمة !  
الحاسمة !  
بشفة مبتسمة  
ونظرة مستسلمة

فهل امد يا حبيبتى يدي ؟  
الى اقتطاف موعد ،  
أم حبنا بلا غد ؟

تكلّمى — لن تندمى  
ان حروف الكلمة ،  
الناعمة  
مرسومة على فمى  
بقطرات من دمى  
تكلّمى ....

احمد عبد السلام ابقالى

الرباط :

# النظام الضريبي المغربي

## بين الماضي والحاضر

د. ابراهيم دسوقي أباطة

ان البحث في النظام الضريبي المغربي يستلزم دراسة تحليلية تمكن من تحديد اصوله والاحاطة بتطوره . ومن هذه الزاوية يمكننا تقسيم البحث الى ثلاثة مراحل رئيسية :

1 - مرحلة ما قبل الحماية .

2 - مرحلة الحماية

3 - مرحلة الاستقلال

1 - تميزت مرحلة ما قبل الحماية بسيادة التشريع الضريبي الاسلامي بصورة رئيسية ، اذ كانت الزكاة تعتبر اقدم ما عرفه المغرب

من فرائض مالية ، ويسجل التاريخ أن المرابطين والموحدين كانوا يطبقون الزكاة فعلا في العمل .

والى جانب الزكاة فرضت العشور التي تناولت دخل الارض ، فقد استخدمت حصيلتها شيئا فشيئا لتمويل خزينة الدولة بالاموال الضرورية ، فى الوقت الذي اخذت الزكاة تفقد مكانتها الى ان اصبح ادائها يتوقف على الوازع الديني للمسلم دون اكراه او قسر من جانب ولي الامر وفى القرن السادس الهجري عرفت بالمغرب ضريبة الخراج فى عهد عبد المؤمن بن علي من دولة الموحدين ، لكنها اختفت بسبب صعوبات الجباية لتحل محلها ضريبة عقارية وهي الناية (LA NAIBA) التي تعود الى عهد السعديين (1) .

اما الجزية فقد كانت سارية المفعول بالمغرب على حد قول بعض المؤرخين منذ القرن الثاني للهجرة ، حيث اجاز السلطان ادريس بن ادريس لليهود الاستقرار فى مدينة فاس ، شريطة اداء الجزية . وقد ظلت الجزية معمولاً بها حتى نهاية القرن التاسع عشر ، حيث تدل الشواهد التاريخية على أن يهود حي الملاح بمدينة فاس ، كانوا يؤدونها حتى هذا التاريخ .

غير أن الجزية لم تلبث أن اختفت لتفسح المجال لضريبة جديدة ذات طابع سيادي وديني فى آن واحد وهي « الهدية » (LA HEDYA) وهي عبارة عن عطاء يمنح للسلطان فى الاعياد الدينية من جانب المـدـن والقبائل دليلاً على الولاء الديني والدنيوي .

والى جانب هذه الأنواع من الضرائب ، عرف المغرب ضرائب أخرى ذات طابع مباشر أو شبه مباشر وهي :

(1) المؤنه (LA MOUNNA) والسخرة (LA SOKHRA) ، والاولى عبارة عن امدادات عينية تؤديها القبيلة لموظفي الحكومة ( المخزن ) الذين يقيمون على اراضيها . اما الثانية فهي عبارة عن عمولات نقدية او مقابل

نقدي تؤديه القبيلة لصفار مكلفي الحكومة نظير الخدمات التي يؤدونها  
كعون القاضي وعون الباشا وعون المحتسب . وقد ألقى السلطان عبد  
العزيز في عام 1901 هذه الضريبة بعد أن تقرررت مرتبات ثابتة لموظفي  
الدولة .

(ب) الحركة (LA HARKA) وهي تمثل اسهام القبائل في  
تمويل الحملات العسكرية ، وكانت في البداية تأخذ شكل اسهام عيني ،  
ولكنها انتهت الى اسهام نقدي .

(ج) الفرامة (LA GHORAMA) وهي تؤدي على اساس المسؤولية  
الجماعية للقبيلة ، في حالة ما اذا قامت اضطرابات أو ارتكبت جرائم  
على أراضيها .

(د) الذعيرة (LA DHEIRA) وهي تؤدي من المنصب الذي  
ارتكب جنحة لا تدخل في اختصاص القاضي . وتحصل لمصلحة المجنى  
عليه .

وقد عرف المغرب ما قبل الحماية الى جانب الضرائب السالفة ،  
أنواعا أخرى من الضرائب ، وهي الضرائب التجارية ، وتنقسم الى نوعين:  
المكوس والضرائب الجمركية .

(i) والمكوس تعتبر أيضا من أقدم الضرائب التي عرفها المغرب ،  
اذ كانت مطبقة فعلا في القرن السابع الهجري ، ثم توقف العمل بها  
خلال بعض العهود التي توالى على المغرب ، الى ان ظهرت من جديد في  
القرن الثامن عشر . وفي عهد السلطان مولاي الحسن الاول ، حددت  
ضرائب المكوس على الوجه التالي :

— ضريبة تؤدي عند ابواب المدن .

— ضريبة السوق التي تقتضي بمناسبة تبادل السلع المحلية .

وهذا النوع الأخير من الضرائب ما زال ساري المفعول فى العمل حتى اليوم ، وتذهب حصيلته لفائدة الجماعات المحلية .

وقد خضع الهيكل الضريبي المغربي لتدهور كبير فى السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر ، وبدأت الضرائب المباشرة تختفى تدريجيا فى الوقت الذي تضاعفت فيه الضرائب غير المباشرة . ويلاحظ هنا أن الضرائب فقدت طابعها الديني وأصبحت تستمد شرعيتها من السلطات الدنيوية التي يمارسها ولي الأمر .

غير أن هذه السلطات كانت تحدها من الخارج المعاهدات الدولية . فقد كان الأوروبيون مثلا معفون إعفاء كاملا من الخضوع لأي ضرائب مغربية ، وقد نصت المعاهدات المبرمة بين المغرب وكل من إنجلترا وإسبانيا وفرنسا صراحة على هذا الإعفاء بالنسبة لرعاياها .

وقد عملت الحكومة المغربية منذ عام 1881 بالاتفاق مع الممثلين الدبلوماسيين على إخضاع الأوروبيين للضرائب المغربية مقابل اعترافها بملكياتهم ، ومن هنا ولدت أول محاولة لفرض الضريبة المسماة بالترتيب .

(ب) أما الضرائب الجمركية ، فيعود تقريرها لأول مرة فى المعاهدات التي أبرمتها المغرب مع الدول الأجنبية خلال القرن التاسع عشر ، وهي على التوالي :

- المعاهدة المغربية البريطانية 1856 .
- المعاهدة المغربية الإسبانية 1861 .
- المعاهدة المغربية الألمانية 1890 .
- المعاهدة المغربية الفرنسية 1892 .

فقد تقرر فى جميع هذه المعاهدات ضرائب جمركية بنسبة 10 ٪ على الواردات ، أما الضرائب على الصادرات ، فتتغير تبعا للظروف .



وقد لاحظ عدد من الخبراء أن تطبيق الضريبة الجمركية خلال تلك الفترة اتسم بالتصور والاضطرابات ، إذ كان الموظفون المكلفون بالتنفيذ يستخدمون طرقا بدائية في احصاء الصادرات والواردات ، بالإضافة الى أنهم لم يعرفوا الطرق المحاسبية وكان التقدير يتم دون أدنى خبرة مما سبب تفاوتاً فادحاً في تحمل عبء الضريبة بين مختلف التجار والمستوردين . ولم يكن الموظفون المكلفون بالتنفيذ يخضعون في الواقع لأي نظام ، ولم تكن تشملهم أدنى رقابة (2) .

وتعتبر اتفاقية الجزيرة المبرمة في 7 أبريل عام 1906 نقطة تحول هام في عناصر الهيكل الضريبي المغربي ، إذ نصت في فصلها الرابع على الاعلان عن تحسين حصيلة الضرائب ، وخلق دخول جديدة . كما نصت على تطبيق ضريبة الترتيب على المغاربة وعلى الاجانب في جهات معينة من المغرب وبالشروط والظروف التي تحددها الهيئة الدبلوماسية بطنجة .

وقد قررت الاتفاقية ضريبة على البناء في المدن للاتفاق من حصيلتها على تحسين وصيانة المدن . وضريبة التبر على تصرفات العدول ، وضريبة على انتقال الملكية العقارية بالبيع بسعر اقصى مقداره 2 ٪ . وضريبة بسعر اقصى مقداره 1 ٪ تفرض على السلع المنقولة بالسفن الساحلية ، وضريبة على المرور .

وفيما يتعلق بالجمارك ، فقد فرضت الاتفاقية ضريبة خاصة بسعر 2ر5 ٪ على السلع الاجنبية الواردة من الخارج ، تضاف الى الضريبة الجمركية المفروضة بسعر موحد 10 ٪ على جميع السلع ، وذلك بهدف تمويل الاشغال العامة .

وقد مكنت الاتفاقية لاحتكارات الدولة بالنسبة للأيون والكيف ، كما قررت احتكاراً جديداً وهو احتكار الدخان .

وقد تميز الهيكل الضريبي المغربي خلال فترة ما قبل الحماية بسيادة ضريبتين مباشرتين هما الترتيب التي احتلت مكان ضريبتين النائية والخراج والضريبة الحضرية .

أما الضرائب غير المباشرة ، فقد تشكلت أساسا من الضرائب الجمركية والمكوس وبعض الضرائب المتعلقة بالتسجيل والتبوير .

## 2 - مرحلة الحماية :

استند النظام الضريبي المغربي منذ بدء الحماية وإلى نهاية الحرب العالمية الثانية إلى النظام الضريبي الفرنسي ، الذي كان سائدا في القرن التاسع عشر ، غير أنه لم يلبث أن تناولته يد الإصلاح منذ الحرب العالمية الثانية .

والواقع أن معاهدة الحماية لم تات بتنظيم ضريبي جديد ، ولكن كل ما فعلته هو أنها جددت اتفاقية الجزيرة ولاءمتها مع مصالح فرنسا وحدها .

وقد اتسم الهيكل الضريبي المغربي خلال الفترة ما بين فرض الحماية عام 1912 وعام 1945 بالصفات العامة التالية :

- 1 - سيادة الضرائب غير المباشرة ، ويمكننا أن نذكر منها :
  - الضرائب الجمركية ( 10 ٪ بالإضافة للضريبة الخاصة 25 ٪ )
  - ضرائب على المشروبات الكحولية
  - ضرائب على السكر
  - ضرائب على السلع الواردة من المستعمرات
  - ضرائب على الشمع
  - ضرائب على الجعة

- ضرائب على البترول
- ضرائب على الكبريت
- ضرائب على الزيت
- ضرائب على الشحومات
- ضرائب على المساحيق
- ضرائب على الاسطوانات
- ضرائب على الراديو
- ضرائب على القذاحات

والى جانب ذلك :

- ضرائب للفقراء
- ضرائب التسجيل والتبر
- ضرائب المراقبة وتكرير السكر

## 2 - استمرار العمل بالضرائب المباشرة :

ويمكن تعداد ثلاثة ضرائب مباشرة رئيسية استمر العمل بها خلال تلك المرحلة :

- (أ) ضريبة الترتيب
- (ب) الضريبة الحضريّة
- (ج) ضريبة المهنة (Patentes)

وعلى الرغم من العمل بهذه الضرائب المباشرة ، فقد ظلت السيادة والتفوق للضرائب غير المباشرة ، حتى انه يمكن التاكيد بان النظام الضريبي المغربي الذي كان معمولاً به ابان تلك المرحلة ، يقترب كثيرا من النظام الضريبي الفرنسي ، الذي كان ساريا خلال القرن التاسع عشر ،

وان كان يتصف بنوع من الاستقرار النسبي بسبب طريقة تركيبه والظروف الهيكلية المحيطة به .

وقد شهدت فترة الحرب العالمية الثانية وما بعدها تطورات جذرية فى النظام الضريبي ، فقد فرضت ضرائب مؤقتة ابان الحرب العالمية الثانية ولكنها لم تلبث ان استقرت من بعد فى النظام الضريبي بصفة نهائية . وهكذا فرضت الضرائب فى شكل استقطاعات على المرتبات والاجور عام 1939 كما فرضت الضريبة الاضافية على المهنة (Patentes) عام 1941 . وهذه الضريبة الاخيرة تعتبر خطوة هامة لانها تمس ارباح المشروعات ، ولكنها لم تعترف بمبدأ شخصية الضريبة ، وظلت تطبق بنسبة 15 ٪ على شرائح الارباح بغض النظر عن كل اعتبار يتعلق بشخصية المكلف ، وكان لهذه الضرائب الجديدة نتائج هامة على الهيكل الضريبي فى مجموعة ، فقد غيرت النسب بين الضرائب المباشرة وغير المباشرة، اذ ارتفعت نسبة الضرائب المباشرة بدرجة ملحوظة ، فوصلت حصيلتها فى عام 1948 الى 3997 مليون فرنكا بالقياس للضرائب غير المباشرة التي وصلت حصيلتها الى 7308 مليون فرنكا ومعنى ذلك ان الضرائب المباشرة اصبحت تشكل اكثر من نصف الضرائب غير المباشرة ، بينما لم تكن تتعدى قبل اجراء هذا الاصلاح الضريبي اكثر من ثلثها .

هذا وقد انتهى الاصلاح الضريبي بإبدال ضرائب « الابواب » Des Portes بضرائب على المبادلات عام 1948 .

وهكذا يمكن القول بان النظام الضريبي لما قبل الاستقلال مباشرة، كان يقوم فى جانب كبير منه على اساس قيمي ، اي فرض الضريبة تاسيسا على قيمة السلعة او الشيء الخاضع لها ، بغض النظر عن اي اعتبار آخر

### 3 - مرحلة الاستقلال :

تمتد هذه المرحلة حتى يومنا هذا ، وتنقسم بدورها الى فترتين :

الاولى : فترة التلاؤم والمران مع الوضع الجديد، الذي نشأ بالاستقلال .

الثانية : فترة الاصلاح الشامل للنظام الضريبي .

#### ( ١ ) الفترة الاولى :

واجهت المغرب عشية الاستقلال ، مسؤوليات جسام ، اذ كان عليه ان يعيد تنظيم شؤونه الاقتصادية والمالية بالصورة التي تسمح له بتدارك التخلف العظيم الذي سببته عوامل كثيرة ، على راسها عناصر القهر الاستعماري .

وقد اتجهت الجهود اول ما اتجهت الى اصلاح النظام الضريبي اصلاحا شاملا ، فرفعت اسعار الضرائب القائمة من ناحية ، وفرضت ضرائب جديدة من ناحية اخرى .

فقد نص ظهير 24 مايو 1957 على فرض تعريفية جمركية متفاوتة تستهدف حماية الصناعة الوطنية ، وذلك بعد ان كانت التعريفية الجمركية موحدة بسعر 12ر5 ٪ من قيمة جميع السلع المستوردة ، كما فرضت ضريبة على تصدير المعادن الخام والحوامض وضريبة احصائية على جميع المنتجات المصدرة تعتبر مكملة للضرائب الجمركية .

يضاف الى ذلك ضرائب على الاستهلاك ( النبيد - الكحول - البترول ... الخ ) تأتي بحصيلة وفيرة .

وبالاضافة الى ما تقدم فرضت ضرائب جديدة ذات اوعية ضيقة ،



وهي ضريبة « DEDILITE » التي فرضت بمقتضى ظهير 24 يولييه عام 1956 ، حيث استبدل بها الضريبة البلدية على الصيانة والكنس ، ورفع النفقات ، وخصص حصيلتها لصالح ميزانيات البلديات . يضاف الى ذلك ضريبة السيارات التي تقرر بمقتضى ظهير 13 يولييه عام 1957 والتي تتناول ملكية السيارات التي لا يزيد وزنها عن ثلاثة اطنان ، وتتغير تعريفة هذه الضريبة تبعا لقوة السيارة وتبعا لعمرها .

#### (ب) الفترة الثانية :

وتتميز هذه الفترة التي تمتد الى اليوم ، بالاصلاحات الجذرية التي تمت في 30 دجنبر عام 1961 والتي تحتويها ثمانية ظهائر . فقد قررت هذه الاصلاحات ضرائب جديدة ، اذ استبدلت الضرائب على المبادلات بضرائب على المنتجات والخدمات كما ألغيت ضريبة الترتيب وحلست مكانها الضريبة الفلاحية ، التي لا تنصب على عائد الارض الحقيقي ولكن على عائدها التقديري .

وقد استهدف هذا الاصلاح الضريبي ، تحقيق المرامي التالية :

- 1 - استخدام الضريبة كأداة للتنمية الاقتصادية
- 2 - تشجيع الاستثمارات الخاصة
- 3 - توزيع الاعباء الضريبية بصورة افضل
- 4 - تبسيط اجراءات الربط والجباية بصورة تواكب ضرورات التنمية الاقتصادية .

ولعل الضريبة التكميلية على الدخل الاجمالي للأشخاص الطبيعيين، التي تقرر في نهاية عام 1971 كانت تستهدف ادراك بعض الاهداف السالفة فقد ظلت فروع الدخل خاضعة لضرائب متعددة ، بينما بقي



الدخل الاجمالي للممول بعيدا عن الضريبة ، وقد اراد المشرع الضريبي تطبيق ضريبة تصاعدية على الدخل الاجمالي لفئات المولين ، الذين تزيد دخولهم عن 20.000 درهم بنسبة 3 ٪ تتصاعد تدريجيا حتى 100.000 درهم ، ثم يتزايد التصاعد بعد ذلك ليصل الى 30 ٪ بالنسبة للدخول التي تتجاوز مليون درهم . والامل معقود ان يؤدي تطبيق هذه الضريبة الى توزيع افضل للاعباء الضريبية وتوازن افضل لمالية الدولة.

ابراهيم دسوقي اباطة

الرباط :

---

(1) راجع في شان الجانب التاريخي للضريبة المغربية ، مؤلف البروفسور :  
Marchal : Législation Financière, Maroc 1948. P. 71.

(2) راجع في هذا الشأن :  
M. MARIANI : « Le Bulletin de l'Economie et des Finances », Janvier-Mars, 1970 BARDINET : « Le Régime Douanier du Maroc. CATTENO : La Fiscalité Marocaine.

وراجع أيضا :  
M. LOZE « Les Finances de l'Etat », Ed. Laporie. Rabat, 1971.

# ابن سيدة المري

(2)

بقلم: المستشرق الاسباني  
الدكتور داريو كابرانيلاس رودريغس  
ترجمة وتعليق: حسن الوراقلي

ينبغي ان ننبه منذ الان ، الى حياة ابن سيدة التي خلت مما يبهـر  
ويباغت ، انسابت غالبا ، يحوطها شيء غير قليل من الاتزان ، ويكتنفها  
حظ غير يسير من الهدوء ؛ ولعل هذا هو السر الى جانب ما قلناه في اول  
الفصل السابق — في ضالة التفاصيل الدقيقة عن سيرته فيما كتبه مترجموه  
وفي هذا الفصل سنستعرض الشطر الاول من الحياة ابن سيدة معتنين  
بدراسة جوانب ثلاثة منها ، وهي :

## (1) النسب والوطن :

عرف مؤلفنا بين معاصريه ، كما عرف بين اللغويين والادباء والمؤرخين  
الذين جاءوا بعده بكنيته « ابن سيدة » فنسى الناس بسبب ذلك اسم ابيه  
وتضاربت اقوال مترجميه حين نصوا على هذا الاسم ؛ وهكذا نجد

ياقوت — وعنه سينقل الصفدى — يتحدث عن نسب ابن سيدة فيقول :  
هكذا قال الحميدى « على بن احمد » وفي كتاب ابن بشكوال « على ابن  
اسماعيل » وفي كتاب القاضى صاعد الجيسانى « على بن محمد » فى  
نسخة ، وفى نسخة « على بن اسماعيل » فاعتمدنا على ما ذكره الحميدى  
لان كتابه اشهر . (1) ، على اننا لا نعدم من بين مترجميه من حاول رفع هذا  
الالتباس كما فعل ، مثلا ، الضبى (2) حيث نص على ان اسم والد ابن سيدة  
احمد ، وان اسم جده اسماعيل . وتمشيا مع الراى الارجع فان اسم ابن  
سيدة الكامل هو : ابو الحسن على بن اسماعيل المرسى « او الاندلسى »  
المعروف بابن سيدة الاعمى .

وكل مترجمى ابن سيدة يشيرون الى اصله الاندلسى ، لكن بعضهم  
يكتفى بالتمليح الى ذلك ، على حين يستعمل بعضهم الآخر هذه العبارة :  
« من اهل الاندلس » وينفرد ابن بشكوال — وعنه سينقل ابن خلكان  
والصفدى — بالتصريح بنسقط راسه اذ يقول : « من اهل مرسية » (3)

وعلى عكس ذلك لا تلقى عند مترجميه جميعا تحديدا لسنة ميلاده  
لكن جلهم ينص على تاريخ وفاته ويحدده بسنة 458 هـ / 1066 م ، وهم  
يعقبون على ذلك بأنه عاشر ستين سنة او نحوها ، واعتمادا على هذا  
نستطيع القول بأن ولادته كانت ، على وجه التقريب ، سنة 1006 م ،  
او ربما قبل ذلك بقليل (4) .

ومن نحو آخر ، نجد مترجميه جميعهم ، بلا استثناء يشيرون الى  
عماه ، ويذكرون بأنه كان ضريرا كما كان أبوه ضريرا ، غير اننا لا نجد  
عند احدهم ايضاحا بما اذا كان ابن سيدة قد ولد بأفة العمى او انه  
اصيب بها بعد ذلك .

ومهما يكن من الامر فان طفولة ابن سيدة ، بناء على تاريخ ميلاده  
التقريبى ، تقترب بالاعوام الاخيرة من الخلافة « الشكيلة » لهشام  
الثانى والحكم الفعلى فى الاندلس لثانى العامرين سيف الدولة ابنى  
مروان عبد الملك المظفر الذي كان تولى مقاليد الامور فى الاندلس على اثر  
وفاة والده المنصور بن ابي عامر ( منصور الاخبار والقصائد المسيحية ) .  
وقد ظل عبد الملك فى الحكم حتى عاجلته المنية سنة 399 هـ / 1008 م .

وقد خلفه اخوه أبو المطرف عبد الرحمن بن أبي عامر الملقب بشنجلو Sanchuelo وهو تصغير اسم جده لأمه ملك « بنبلونة » شانجة بن غرسية الثاني المعروف بـ أباركا Abarca على أن اندفاع عبد الرحمن شنجلو وتهوره ساقاه حثيثا إلى نهاية محزنة ، إذ قتل بعد توليه منصب الحجابة بأشهر معدودة (5) (مارس 1009 م) ، وبمقتله بدأت أزمة سياسية بالغة الخطورة ، شأهت فيها الاندلس ثورات متتابعة — تسميها المصادر العربية بالفتنة — أدت بعد عشرين سنة ونيف إلى سقوط الخلافة الأموية بالغرب الإسلامي نهائيا وظهور ممالك الطوائف على مسرح التاريخ .

على أنه إذا كان قيام هذه الممالك يعنى تفككا وانقساماً منيت بهما السياسية الإسلامية في اسبانيا فانه ، من نحو آخر ، سيدفع بالعلوم والآداب في طريق الرقى والازدهار نتيجة لتعدد حماتهما واجزالهم العطاء للعلماء والادباء ، وهان بين أولئك حماة من تنافس في ذلك وفي غير ذلك من ضروب أخرى للنشاط ؛ وهذه الظاهرة شبيهة إلى حد ما بما عرف في ظل ملوك الطوائف بالشرق .

وعلى أية حال فإن ابن سيدة أمضى طفولته وشبابه المبكر في ظل هذه الفترة العاصفة ، فترة الفتنة باضطراباتهما وفواجعهما ، تلك التي لم يعرف تاريخ اسبانيا الإسلامية نظيراً لها .

### ب) أشهر الشيوخ

يبدو أن أول من تلمذ عليه ابن سيدة من شيوخه كان هو والده بالذات وهذا أمر غير قابل للنقاش والجدال ، فقد نص عليه ابن بشكوال والقفطى وابن خلكان والصفدى والسيوطى ويتفرد ابن خلكان من بين هؤلاء جميعاً بتفصيل الخبر على هذا النحو : « وكان أبوه قيماً بعلم اللغة وعليه اشتغل ولده في أول الأمر (6) .

ثم بعد ذلك قصد ابن سيدة إلى قرطبة ليتابع هناك دروس اللغوى المشرقى الشهير أبى العلاء صاعد بن الحسن البغدادي الذي كان وفد على الاندلس عام 380هـ/990 م بحثاً عن الجاه والثراء ؛ ثم لم يلبث أن أصبح أحد الشعراء المرموقين في بلاط المنصور العامري ، ويشير ابن بشكوال إلى رواية ابن سيدة عن صاعد البغدادي ، وعن ابن

بشكوال نقل فيما بعد ياقوت والقفطي ، ونص ابن خلكان والسيوطي بدورهما على تلمذ ابن سيده على صاعد ؛ على أنه تجدر الإشارة الى ان المدة التي قضها ابن سيده يسمع عن صاعد لم تطل كثيرا ، فلقد لفظ هذا العالم المشرقى أنفاسه الاخيرة فى جزيرة صقلية سنة 1026 م وسن ابن سيده لم تتجاوز يومئذ العشرين ربيعا ؛ ومع ذلك فان تبصر صاعد فى علوم اللغة وتمكنه منها خلف اثرا عميقا فى ميولات الفتى الاندلسى وتوجيهه فى دراسة اللغة ؛ بل ان هذا الاثر امتد فيما بعد الى الاراء التى سيتصدى ابن سيده للدفاع عنها على أنها آراءه (7) .

وكان لصاعد البغدادي ، الى ذلك ، تأثير فى جانب آخر من شخصية ابن سيده ، ليس دون الجانب الاول أهمية ، ونعني به جانب تكوينه الادبي ، فبفضل صاعد أتبح لابن سيده الاطلاع على الحركات الثقافية الهامة فى الشرق والتى كانت — باستثناء حالات قليلة — فى الآن عينه موضع اعجاب ومصدر الهام لمثقفى الاندلس ، ولعله من المناسب أن نذكر ؛ هنا بأن صاعدا كان استمع فى بغداد الى استاذين متمكنين فيمن استمع اليهم ، هناك من الاساتذة والشيوخ ، وهما : أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي (8) الذي يذكره ابن سيده ضمن مصادر رئيسية فى « المحكم » و « المخصص » وأبو سعيد الحسن بن عبد الله المرزبانى السيرافى الذى امدنا بأخبار قيمة عن نحوى البصرة ولغويها فى كتابه « أخبار النحويين البصريين » (9) .

وتلمذ ابن سيده ، بعد ذلك ، على أبى عمر بن محمد الطلمنكى (10) المولود بطلمنكة عام 340 هـ / 951 م ، وقد روى عن أبى بكر الزبيدى والعباس بن أصبغ (12) ، ثم رحل الى الشرق ، فلما عاد من رحلته تصدر للاقراء والتدريس فى قرطبة — حيث سمع عنه ابن حزم الحديث — كما كانت له حلقات دروس فى المرية ومرسية وسرقسطة ، وكان معروفا بورعه وشده على البدع .

وكانت وفاة أبى عمر الطلمنكى بمسقط رأسه عام 428 هـ / 1036 م (13) وينص ابن بشكوال على تلمذ ابن سيده للطلمنكى فى هذه الحكاية ، وعنه تناقلها فيما بعد ابن خلكان والصفدى وياقوت ، كما أوردها مترجمون متأخرون مثل المقرئ : ( وذكر الوقشهى عن أبى عمر الطلمنكى ، قال : « دخلت مرسية فتشبت بى أهلها يسمعون على الغريب المصنف فقلت لهم : انظروا من يقرأ لكم وامسك انا كتابى ، فأتوني برجل اعمى يعرف



ابن سيده ، فقراه علي من اوله الى آخره ، فعجبت من حفظه ،  
وكان اعمى بن اعمى ( 14 ) .

وسأعود للحديث عن « الغريب المصنف » للغوي المشرقي ابي عبيد  
الهروي وهو الكتاب الذي درسه ابن سيده على صاعد البغدادي ،  
وتصدر فيما بعد كتب مصادر ابن سيده الرئيسية التي افاد منها في تأليف  
معجميه المحكم والمخصص وان اتصال ابن سيده بكتاب « الغريب المصنف »  
خلال سنوات الدرس والتحصيل ليزيح لنا الستار عن احد الروافد — التي  
ظلت باستمرار تمد ابن سيده فيما يؤلف ويصنف — ، غير ان هذا لم يمنعه  
— رغم ذلك — من انتقاد لا يخلو من قساوة احيانا ، للأراء التي يقول بها  
ابو عبيد الهروي على نحو ما سنرى فيما بعد .

اما الصفدي فيجعل من بين شيوخ ابن سيده صالح بن الحسن  
البغدادي ، واغلب الظن ان هذا خطأ وقع فيه الصفدي نفسه او وقع فيه  
ناسخ كتابه ؛ ذلك انه بالاضافة الى خلو معاجم الرجال والتصانيف عن اسم  
« صالح بن الحسن البغدادي » فان التشابه الجزئي بين اسمي صالح  
وصاعد في الكتابة العربية ، وكلاهما ابن الحسن البغدادي ، ليؤكد ان  
الصفدي انما يعنى صاعدا بن الحسن البغدادي ، وهو الذي ذكره جل  
مترجمي ابن سيده باعتباره أحد شيوخه الرئيسيين ، ولكن ابن سيده لا  
يذكره ضمن شيوخه في ارجوزته ، يضاف الى ذلك ان الصفدي ينتقل في  
ترجمته لابن سيده عن ابن بشكوال وياقوت ، وهما — ومعهما ابن خلكان  
والسيوطي — اللذان يذكran في جملة شيوخ ابن سيده اللغوي الكبير  
صاعد ابن الحسن البغدادي ( 15 ) .

وفي ابيات من ارجوزة ابن سيده — وسنوردها في آخر هذا  
الفصل — يطالعنا شيخ آخر من شيوخ ابن سيده ، يبدو أنه تلمذ عليه  
وقد تقدمت به السن ، وهو أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني ، وقد  
كانت ولادته في قرطبة عام 371 هـ / 981 م ، وقام برحلة الى الشرق سنة  
347 هـ / 1006 م استغرقت عامين ، سمع خلالها بالقيروان والقاهرة  
لاشهر الشيوخ والمقرئين يومئذ في الحاضرتين ، حتى اذا فرغ من اداء فريضة  
الحج عاد الى الاندلس وجلس للتدريس في المرية أولا ثم في دانية ، وبها  
سمع عنه ابن سيده ، واشتهر أبو عمرو الداني ببراعته في التفسير  
واجادته لعلم القراءات ، وقد شمله الامير مجاهد العامري برعايته  
وتقديره ، وكان مجاهد شديد التعلق بالقراءات القرآنية ، وتوفي أبو  
عمرو الداني عام 444 هـ / 1053 م ، وتذكر الاخبار ان الامير اقبال  
الدولة ابن مجاهد وخلفه سار في تشييع جنازته ( 16 )



### ج ( التصانيف المدروسة .

في حرف الزاي من أرجوزة ابن سيده التي أسلفنا الحديث عنها ، نقع على أبيات في غاية الأهمية ، يتحدث فيها ابن سيده عن أول عهده بالدرس والطلب ، ويسمى الشيوخ الذين اغترف من علمهم ، ثم يعقب بذكر التأليف والمصنفات التي درسها والعلوم التي تمكن من تحصيلها .

شرع ابن سيده ، وعمره أربع سنوات فقط ، في قراءة القرآن الكريم — على ما كانت العادة جارية به على عهده — وقبل أن يبلغ السادسة من عمره كان قد حفظ القرآن عن ظهر قلب ، فتوج بذلك المرحلة الأولى مما يصح تسميته بالتعليم الأولي .

بيد أنه لم يلبث ، بعد أن شعر بعدم الاطنان إلى هذا اللون من التعلم الذي يعتمد ، أساسا ، على الحفظ ، أن قرر دراسة أصول التفسير المعتمدة ، فأكب يقرأ ما كتبه حول ذلك أمثال ابن عباس وأبي عبيد بن سلام الهروي وأبي عبد الله محمد الحميدى (17) .

واذ يحس ابن سيده بأن قدراته الفكرية قد نضجت واستوت ، يشرع في قراءة مصنفات كبار العلماء والشيوخ الذين كانت شهرتهم قد طبقت الآفاق عهدئذ ، فيبدأ بمؤلفات أبي يوسف يعقوب ابن اسحاق بن السكيت وقد أعانته على فهم مشكل القرآن ، وأكب ، من ناحية أخرى ، على تلك الثروة الكبيرة من الحديث الشريف الذي سمعه من أحد أساتذته وهو أبو عمر الطلمنكي ، وقرأ في شيء من التؤدة والتأني موطأ الإمام مالك بن أنس المتضمن للمذاهب الفقهية ، وتوج قراءته للحديث بدرسه البخاري وروايته ، وكان ابن سيده يخصص كتب أبي عبيد الهروي بإشارته فكان يصحبها معه دائما .

ثم يستهل ابن سيده بعد ذلك مرحلة ثالثة من مراحل الطلب والتحصيل بدراسة كتاب سيبويه الذي يعد أشهر ما ألف في النحو العربي والذي يصفه ابن سيده نفسه بأنه « لب الفؤاد فهما عليه » وكان أبو عثمان بن سعيد الداني المعروف بتمكنه العلمي ووفرة إنتاجه ، هو الذي أقرأ ابن سيده كتاب سيبويه .

ويأتي بعد هذا دور أشهر شيوخ ابن سيده وهو صاعد ابن الحسن البغدادي ، وقد روى عنه أول الأمر كتب الصفات والأسماء

ثم تلقى عنه شرحه الذى تميز بدقة ووضوح بالغين على كتاب الغريب المصنف لابي عبيد وكتاب اصلاح المنطق لابن السكيت ، وفى هذه الفترة أستظهر ابن سيده الكتابين المذكورين ووعاهما ، ثم قرا عليه كتاب تهذيب الالفاظ لابن السكيت ايضا ، كما قرا عليه مصنفات فى الاستعارة والمجاز ، وكان سبق له سماعها عن العالم النابغة احمد الطلمنكي .

ثم بعد ذلك عنى ابن سيده عناية خاصة بدراسة مؤلفات ابي الحسن علي بن اسماعيل الرماني ومؤلفات ابي علي بن احمد الفارسي ومؤلفات ابي الفتح عثمان المعروف بابن جنى ، ومن المعلوم ان ابا علي الفارسي كان تبناه فأنشاه وعلمه على نحو ما ينشئ الاباء الابناء ويعلمونهم .

ويعقب ابن سيده على كل ما تقدم بأن يذكر فى رضى واطمئنان استظهاره كل كتب اللغة وحفظه كل الاشعار التى تضمنتها ، وكان المنطق وحدوده هو ما ختم به ابن سيده حياته فى الدرس والطلب — كما يبدو من الارجوزة — وهو يعد المنطق اداة ضرورية للوصول الى معرفة الحقيقة .

وفيما يلى نقدم للقارىء الابيات (18) التى امدتنا بكل تلك المعلومات :

قرات بالوحى وسنى اربع	وقبل ست تم عندى اجمع
حتى اذا حليت بالتنزيل	نظرت فى حقائق التأويل
ولم ادع لمالم تحبيرا	الا وقد ظلت بها خبيرا
فلا ابن عباس اضعفت وضعه	ولا ابن سلام تركت جمعه
ولا كتاب ابن حميد عبد	الا ادخرت كل ذاك عندى
حتى اذا استضلعت بالحجاج	قرات كتب كل خبر ناج
كتب ابى اسحق ذى المعانى	اوضح به لمشكل القرآن
وكل ما احمله من سند	عن الفقيه الطلمنكى احمد
ثم قرات كتب الموطأ	عليه دون كل مستبطأ
ثم اشبعست من البخارى	رواية ، فتم لى فخارى

ولم اضع كتب ابى عبيد  
ثم قرأت علم سيبويه  
على ابى عثمان شيخى نافع  
ثمت فاوهت ابا العلاء  
روانى الغريب والاصلاحا  
ثمت رقانى الى اللفاظ  
وقد قرأت كتب المجاز  
بعد سماعه عن الفقيه  
ثم قرأت كتب الرماني  
اعنى ابن جنى فانه بن  
فائه خرجته وادبته  
وغير قوما هذه البنوة  
سبحان ذاك الواحد العدل الصمد  
كل كتاب لغة وعيت  
ثم تأملت حدود المنطق  
تطوان

جميعها فى ربتى وقيدى  
لب الفؤاد فهما عليه  
وكان فيه جد حبر بارع  
فى كتب الصفات والاسماء  
حتى انار فجرها ولاحا  
رواية ، فعدت فى الحفاظ  
عليه ، من قرموطة الشيرازى  
احمد ذى التفهيم والثقفيه  
والفارسي وابنه عثمان  
له وان كان اباه الحسن  
وقد تقول للشقيق : يا ابيه  
فمنحوا الهنا الابوه  
لم يتخذ صاحبة ولا ولد  
وكل شعر لهم رويت  
ومن يرم حقيقة فلينطق  
حسن الوراكلي

### مصادر البحث

- (1) انظر ، الضبي . بغية الملتمس ، طبعة كوديرا وريبيرا . رقم 1205 . ص 405 .
- (2) انظر ، الضبي . بغية الملتمس ، طبعة كوديرا وريبيرا . رقم 1205 . ص 405 .
- (3) انظر ، ابن بشكوال : كتاب الصلة ، طبعة كوديرا وريبيرا ، رقم 889 ، ص 410 .  
ومع ذلك فليس من الميسور الجزم بولادته فى هذه المدينة ؛ ذلك ان ما لدينا من  
اخبار عنه لا تذكر صراحة - كما يقول الاستاذ البير مطلق - البلد الذي ولد فيه ،  
كما ان ما انتهى اليانا من اخبار عن والده لا يتضمن النص على انه من مرسية ؛ غير  
اننا برغم هذا لا نستطيع القول بولادته فى غير مرسية لانعدام الدلائل على ذلك .  
- المترجم -

(4) يحدد بروكلمان ( الملحق 1 ، ص 542 ) تاريخ ميلاده بعام 398 هـ / 1007 م ، وكذلك فعل ا. هايود ( انظر ،

Actas del Primer Congreso de Estudios Arabes e Islámicos de Córdoba (P. 410)

أما محققا المحكم ( ج 1 ، ص 5 ) فلم يحددا التاريخ الميلادي لمولده اكان في سنة 1007 م ، أم في 1008 م ؛ لأن عام 398 هـ يوافق التاريخين معا .

(5) لم ينعم عبد الرحمن بحكم الاندلس الا قرابة شهرين ، ذلك ان اندفاعه وتهوره حملاه فعلا ، وهو لم يرس بعد أسس دولته ، على ان يطلب من هشام اسناد ولاية المعهد اليه فاستجاب له هشام ؛ فاغضب ذلك الامويين اذ راوا ، وهم قرشيون مضربون ، ان الخلافة ستنتقل منهم ( شرعيا ) الى بني عامر ( اليميين ) ، كما حملاه اندفاعه وتهوره على الخروج غازيا ممالك النصارى في الشمال على نحو ما كان يفعل قبلا ، أبوه واخوه ، فاعتنم محمد بن هشام بن عبد الجبار الاموي غيابه عن قرطبة فاعلن الثورة ونادى بنفسه خليفة ( جمادى الاولى سنة 399 هـ / فبراير 1009 م ) .  
- المترجم -

(6) انظر ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج 1 ، ص 431 ؛ الترجمة الفرنسية لدى سنان ج الثاني ، ص 272 .

(7) انظر ، عن حياة هذا اللغوي المشرق الذي كان له تأثير ملموس في التطور الثقافي بالاندلس

R. Blachère, « Un pionnier de la culture arabe orientale en Espagne au Xe siècle, Saïd de Bagdad, en « Hespéris », X » (1.930), 13-36.

(8) انظر ، عن حياة وآثار أبي علي الفارسي المتوفى عام 377 هـ / 987 م ، بروكلمان ، ج 1 ، ص 116 ، والملحق ج 1 ، ص 175 - 176 ؛ ودائرة المعارف الاسلامية - الطبعة الجديد - 2 ص 821 ( مادة الفارسي ) .

(9) طبعة ف - كرنكو ، الجزائر ( 1936 ) ؛ انظر عن حياة وآثار السيرافي المتوفى عام 368 هـ / 978 م ، بروكلمان ، ج 1 ، ص 115 ، والملحق 1 ص 174 - 175 ؛ ودائرة المعارف الاسلامية ج 4 ، ص 463 - 464 ( مادة السيرافي ) .

(10) الواقع ان ابن سيده - على تصريحه في أرجوزته بالرواية عن الظلمكي - لم يختلف الى دروس الظلمكي اختلاف المبتدئين والشداة ؛ ذلك انه حين سمع (( الغريب المصنف )) بمرسية كان على حظ من النضوج العلمي لافلت للنظر ؛ والحكاية التي تناقلها المترجمون - وسيوردها المؤلف ، على لسان أبي عمر الظلمكي نفسه تدلنا على ذيوع صيت ابن سيده يومئذ باعتباره عالم مرسية وحافظها الذي تفاخر به العلماء الذين يقدون عليها (انظر ، البير مطلق : الحركة اللغوية في الاندلس ص 353)  
- المترجم -

(11) انظر عنه P. Boigues المصدر السابق ، رقم البحث 50 ، ص 90 - 93 ؛ وبروكلمان الملحق الاول ، ص 203 .

(12) انظر عنه P. Boigues رقم 55 ، ص 95 .

(13) ابان فترة الازدهار العلمي الذي عرفته ظلمكة خلال القرن العاشر والحادي عشر الميلاديين انتعشت الدراسات الفقهية بها على نحو ما انتعشت بقرطبة وطليطلة ؛

فاصبحت بذلك تحتضن مدرسة فقهية تذكر بجانب المدرسة القرطبية والمدرسة  
الطليطلية . انظر ٦ Miguel Asín  
Palacios, « Abenházam de Córdoba, 1 » (Madrid, 1.927), p. 100  
وعن دور ظلمنكة الهام في فترة حروب الاسترداد ، انظر ٦

Torres Balbás, « Talaman  
ca y la ruta del Jarama, en « Boletín de la Real Academia  
de la Historia » CXLVL (1.960), 235-266.

(14) انظر ابن بشكوال : الصلة رقم 889 ، ص 410 ٦ وانظر المقرئ : النسخ الثاني ،  
ص 258 . وانظر عن أبي الوليد هشام بن أحمد الوقيشي المولود ببوشقة باقليم  
طليطلة والمتوفى بدانية عام 489 هـ / 1095 م ٦ وقد روى عن الظلمنكي فيمن روى  
عنهم من شيوخ .

Pons Boigues R.M. Pidal, « Sobre alaucaxi y la ELEGIA arabe de  
Valencia », en el Homenaje a D.F. Codera » Saragoza, 1.904).  
393-409.

(15) انظر ٦ الصفدي : نكت الهميان ، ص 204 .

(16) انظر ٦ Pons Boigues رقم 91 ، ص 120 - 121 . بروكلمان 1 ص 516-517 .  
والملحق 1 ، ص 719 - 720 . ودائرة المعارف الاسلامية - الطبعة الجديدة الثانية  
ص 112 ٦ ( مادة الداني ) .

(17) تجنبا من مله هذا القسم بكثرة التعليقات والاحالات على المؤلفين المذكورين فيه ،  
ونظرا الى ان ذكرهم سيرد من جديد عن الحديث عن مصادر « المخصص » و  
( المحكم ) فقد خصصت لهم الملحق الثاني عشر الذي يجده القارئ في آخر  
الكتاب ، على انه يجب ان نستثني من اولئك المؤلفين عبد الله ابن عباس ؛ ( رضي  
الله عنهما ) لان اسمه لن يرد مرة أخرى ٦ وهو عم الرسول صلى الله عليه وسلم ،  
ويعتبر أول مفسر للقرآن ( بعد الرسول بطبيعة الحال ) وقد دعا له ( ص ) وبه بان  
يعلمه التأويل ٦ توفي عبد الله بن عباس حوالي ( سنة 68 هـ / 88 - 687 م )  
انظر ، 38 R. Blachère Introd. au Coran, ودائرة المعارف الاسلامية ٦  
الطبعة الجديد ج 1 ص 41 - 42 - ( مادة عبد الله بن عباس ) .

(18) مجلة المشرق ، العدد 36 ، ص ٦ 190 - 191 .

## أبحاث أندلسية

# ذيلٌ وتعليقٌ حول "قضية" المعتمد بن عباد القسم الثاني

عبد الرحمن الفايبي

جنحت في هذه الفصول الى الاسهاب عرضا وتحليلا لاحداث ما قبل عهد قضية المعتمد بن عباد ، تطبيقا لمفهوم « الذيل والتعليق » حتى تتكون عند القارئ نظرة شاملة على جذور المؤثرات ونشأة العوامل التي وجهت الاحداث وتصرفات الناس كما وعدت ؛ وبذلك فان النقاط التي اختلف فيها مع الاستاذ عباس الجراري نظرا ونظرة ترد في غضون ذلك ومركزة على الخلاصة التي ستنتهي اليها هذه الفصول .

وهذه الخلافة في الاندلس ، انما كان سقوطها لضعف الجيش ، وانعدام الاستعداد للحرب ، كما سجل الظاهرة ابن حوقل ؛ ومن آثار ذلك



فى توهين العاطفة القومية ثم الانحراف تبعاً لذلك بسوم الاوطان ، قبل داعي التفرقة والانقسام ، أن هشاماً المؤيد بن الحكم ( وهو سلاله الأئمة ، وبقية الدين والحشمة ، والبعيد المرمى من الدنيا ) سلم للعدو مائتي موضع بالتثنية ( البيان المغرب ج 3 ص 103 ) فى مقابل نصرته على فتنة ابن عبد الجبار ، وحاز العدو وما وفى ، ! وجاء بها بعده سليمان المستعين حمراء نكراء كما قدمنا ؛ وعن عهد هشام هذا يقول ابن الخطيب فى اعمال الاعلام : ( والخلافة قد بلغت المشتبهى ، وادركت الجنى ، ... ورسم الخلاف قد امحى ، والدولة المروانية قد بركت وسط المرعى ، والدعوة قد انتشرت فى المغرب الأقصى ، والمصر قد خرج فى العمارة عن المعتاد ) .

وحالت الحال ، ووقع ما كان وبان ، ونشا عن ذلك الضعف الحرسى الذى عرضت بعض مظاهره فى فصل سابق ، ضعف نفسى ، اخذ يتسرب رويدا رويدا ومع تصرم الايام الى الاعماق ، وجرى من بني الاندلس مجرى الدم ، فقد كان سيل الفتنة الكبرى فى مطلع القرن الخامس مبيرا ، يجرف المفاهيم ، ويقلب القيم ، ويعطل الطاقات ، ويهدر المقدرات ، فعادت العصبيات جذعة الى الساحة ، وثارت الاحقاد ، واستحرت الاحن ، وذر قرن الطمع فى الاحتواء والانتزاع والامتلاك ، واذا مجتمعات ملوك الطوائف ، ينخر فيها الضعفان ، وينكسف فيها الازهران : المنعة والعزة بالتوالي والانتظام ، وكانهما - وانسفاه - لم يشرقا على ظهرها فى يوم من الايام ، واصبحوا فى ظلام هذه العمياء يخبطون خبط عشواء ، ويستنظرون فى تطاول بعضهم على بعض بملوك وامراء النصارى فى الشمال ، ويتبارون فى ابتياع المناصرة من هؤلاء الاعداء الذين ظلوا حربا على الاسلام فى السر والعلن ، وفى بحبوحه الرغد والحياة الكريمة التى افاءها على تلك الأرجاء ، فكانت للعدو الظهير سانحة لاستغلال الضعف ، فخطط واحكم التقدير والحساب ، واتخذ منها موردا ثرا لجباية الاموال ، واحتججان النخائر والاعلاق ، وقد باع احد هؤلاء الاعلاج مساندته فى اشتباك واحد لخصمين اثنين من ملوك المسلمين ، فظاهر هذا فى جولة اليوم ، وظاهر خصمه فى الجولة الانتقامية التالية (1) .

وهكذا تجلى النصير الممين شيئا فشيئا خصيما عنيدا ، ينادور  
بارسال الفرقاء بعضهم على بعض ، ويداور للزج بهم فى مضاييق  
ومنعرجات ، تضطربهم الى الاستنجد ، وتريفهم قنائص فى شباك ممالك  
وامارات الشمال .

وتصرمت السنون ، وتناولت عليهم بهذا المقدور ، وهم فى اتون  
هذه الحاقة ، يدفعون المال ، ويتزلفون بالهدايا ، ويلطفون بالاحتيايل ،  
وتلج عليهم المطالب القاهرة التي اصبحت جزى مفروضة ، ومغارم  
مسنونة ، فاذعنوا لروادفها ومختلف احجامها ، واحيانا تتجاذب احدهم  
المطالبة بها من غير ما واحد من الامراء المتطاحنين على  
استحقاقها ، حتى اذا تكسر على ظهورهم نصل على نصل ، وكبس خبايا  
نفوسهم الوهن والضعف ، اخذ العدو يكيدهم بشن الفارات على اراضيهم ،  
وبسائط بقاعهم ، ويمكر بالعيث والفساد فى حرثهم وضرعهم .

وتوالت الفارات اثر الفارات ، فما تنقطع الا لقاء جزية ، وتمهد  
بالولاء والتبعية ، وتوالت معها عمليات حصار الحواضر وبنياتها على نفس  
المنوال ، الهادف الى توهين المنة ، واستئصال الهمة ، واستنزاف ما فى  
الخزينة .

ولعل هذا الذي قصصته مقتظا من افادات الرواية التاريخية عن  
هذه الفترة ما يفتح العيون على ضعف ، يبدو انه نشأ فى نفوس  
الاندلسيين رويدا رويدا ، ثم استغلظ فاستوى مطبقا على العقول ، تبعا  
لتصاعد اوجه القهر ، ومع فورة الاستعلاء واستشرائه على الوجه الذي  
تسراه .

ويبدو ان مشهدا واحدا لهذه الافادات ، نسجله ماثلا فى اطار  
احداثه ، كفيل بان يزودنا بتلك الانطباعات التي توحى بها الحركات  
والسكنات ، ويجلى لنا من زاوية اخرى ارتعاشات هذا الضعف النفسي فى  
حال تطوره من علقه ، الى مضغة ، الى ان استوى خلقا سويا متحركا  
بالتأثير فى نفوس وعقول واجسام الناس ، وفى معاشهم ثم فى مصايرهم  
بوجه عام .

وتعترضنا المشاهد الكثيرة المتشابهة بواقعة حصار اشبيلية عام 455 على يد فرناندو الكبير ، وعلى عهد المعتضد عباد ، وهما كبيراً قومهما في ذلك الحين .

وقد جاء حصارها حسب تخطيط هذا الطاغية رابع عملية في نطاق تحركه لاحكام القبضة على الاربعة الكبار اصحاب بطليوس ، وسرقسطة ، وطيطة ، واشبيلية ؛ فبعدما انتزع من المظفر ابن الافطس صاحب مملكة بطليوس وصاحب كتاب المظفرى ( عام 449 - 1057 مدينتى (بازو) و ( لمقية) على نهر التاجو في قاصية بلاد المسلمين آخر الثغر الجوفى ، شمال غرب الجزيرة ، وشمال بلاد البرتغال الحالية ؛ وبعد ما اتجه شرقا عام 452 لغزو الحدود الجنوبية الغربية لسرقسطة واستولى على المعافل والحصون ، وفرض الجزية على صاحبها المقتدر ابن هود ؛ وبعد ما كر مرة اخرى ملحا على الغرب ، بعد اربعة اشهر فنظ ، وحاصر في نفس مملكة ابن الافطس مدينة شنترين على نهر التاجو شمال لشبونة ، حيث اكتفى بفرض الجزية ، كما سمعت خبره في الفصل الماضي كشاهد على الضعف في الحرب الذى صورنا ، ثم بعدما ولى وجهه عام 454 - 1062 للعيث والفساد والسبي في البسائط والمدائن الواقعة في الشمال الشرقى لمملكة طليطة ، من مدينة سالم الى قلعة النهر مما اطار صواب صاحبها المامون ابن ذى النون ، واثار جزعه وهله ، فما تمالك ان خرج عن مكنوز الذهب وفاخر الاعلاق ، واهطع - كما قالوا - الى معسكر الطاغية ليعلم الطاعة والولاء .

وبهذه السوابق ، وبهذه الصولات والجولات من الثغر الجوفى ، الى الثغر الادنى ثم الى الاقصى ، وبظاهرة احتلال التراب ، كما سمعت عن مدينتي بازو ولميقة ، وبملاحظة اهتمامه باجتياح القلاع والحصون شرقا وغربا وفي النهاب والجينة ... ( والقلعة غير الحصن فى الاصطلاحات الاندلسية ) استطاع بهذه السلسلة من الضغوط ان يغزو من بعيد نفسية قاعدة بني عباد ، تلك التي ظلت متايبة على الرضوخ والانقياد ، ممتعة بالعدة والعتاد ، مشتتة فى الصولة والسطوة ، والاعتداد بالامتداد .

ونزل اليها الطاغية عام 455 مخربا قراها ورساتيقيها ، ومحرقا بسائطها وحقوقها ، ثم اجلب بخيله ورجله معسكرا بظاهرها ، محكما حصاره عليها ، وهمه قص جناح الباشق (( الجبار )) المعتضد عباد ، والد المعتمد صاحب فضية الباب ، وهمك به من ( أسد الملوك ، وشهاب الفتنة ، وداحض العار ، ومدرک الاوتار ) كما يقول عنه ابن بسام ، ومن كنت جيوشه كما يعبر مطمح ابن خاقان ( تفتك فتكات بالآساد ، وتنتزع الارواح من الاجساد ، وتثمر بالجماجم ذوابله ، وتقتنص العرب والعجم حباله (2) ) وهو زعيم جماعة امراء الاندلس كما اخبر ابن حيان ، والمتحفز للاحتواء عليها بالتمام والكمال .

وتان شرك فرناندو على مستوى فراهة الفنيصة ، هاسع عليه بمطالب مأكرة تجاوزت ما في اليد والجيب من جزية يتحيف حجمها المتمول والمال ، الى شهوة قاهرة تدوس السيادة الترايبية ، وتجرح الشمم والكبرياء ؛ والقابض على علم بقصة طلبه فسح المجال في تراب المملكة للقسيسين والرهبان ليرودوا في غيابتها بحثا عن رفات القديسة خوست العذراء ، وتالها الى ثرى القديسين والاملاك في الشمال .

وفي هذه القصة ما يكفي لاستجلاء عناصر الصيال ، ومقاصد اظهار التحكم والاستعلاء ، وغرض الاجهاز على الضمائر ، وتطوير العقول ، قبل حصار المدائن والحصون .

ودارى المعتضد القارعة في نفسه ، وتجاه رعاياه ، وتلقاء زعامة العاصمة ، وامام من يسمع ويرقب من الملوك والامراء ، فما قدم ولا اخر حتى رجع الى استشارة الفقهاء ، وكان هؤلاء عند السمع والطاعة ، مقدودين على حال اهل الزمان ، كما سنسمع عنهم في قولة تالية لشيخ المؤرخين ابن حيان ، فصدرت الفتوى طبق التوجيهات المعتضدية المفهومة سلفا من المقام ، فقد كان انطق ما يكون حين لا ينطق في مثلها عند كل ما يتزل من اقضية ، وما ينبغ من احداث .

وتحمل الاسد الجريح على نفسه ، وجر خطاه متوكئا على فتوى الفقهاء ؛ وسالت البطائح بمطي احوال الفضة والذهب ، ونفائس ذخائر قصور بني عباد ، ومن ورائها المعتضد يحدو لها بانفاس زافرات ،



ويحبوها الى ساحة معسكر ذلك الرابض فى انتظار ما سيسفر عنه الاختيار .

وقد كان المعتضد عندها لا يتجاوز الثامنة والاربعين وكان قبلها موسوما بما ( اوتي من جمال الصورة ، وتمام الخفقة ، وفخامة الهيئة ، وسباطة البنان ، وثقوب الذهن ، وحضور الخاطر ، وصدق الحس ، ما فاق به على نظرائه (3) ) ولكنه بدا فى عهده هذا وفى لحظات وقوفه بين يدى غريمه فرناندو ، كسيرا ، متهلما فانيا ، واهيا ، جل الشيب هامته ، والجسم الهم خاطره ، وناءت النازلة على حواسه ، حتى تقول الرواية ان فرناندو قد خامرته الشفقة فرثى لحاله ، وحركته الانسانية ، فرضي بمجرد التعاقد على الاتاة ، وعلى نقل رفات القديسة ؛ ثم فك عن المدينة الحصار ، واستنبرها للجلاء ، وقد اسر حسوا فى ارتقاء .

ونفذ الطلب الماكر ، وحملت رفات القديس (( اسيدور )) الى كنيسة ليون ، حيث لم يعثر على رفات العذراء ، وكانت لوادع المحمل قصة اخرى ذات شؤون وشجون ، فى باب الاستخذاء والخنوع حسبما يتضح مما تخيلوه وسطروه .

وخضع لها المعتضد جزية سنوية ، خفيفة فى اللسان ، ثقيلة فى الميزان ، هوجاء تكراء ، على كواهل من ستتحيفهم فى المعاش والارزاق .

وهذه الصورة المشجية بما فيها من وفادة المعتضد بنفسه على الطاغية ، وحالة الانهيار (الجسمانى) ، و (النفسانى) التي كان عليها ، حتى رثى له فرناندو واشفق ، انما هي تسجيل لمضمون ما دونه الرواية القشتالية التي نقلها الاستاذ محمد عبد الله عنان فى كتابه (( دول الطوائف )) وذلك كتابه فى تقريب الروايات الاجنبية الى الباحثين الذين يعنون بمقابلة الروايات ، تقصيا لاطراف الموضوع ، وتطلعا الى الاحاطة والشمول ؛ مثلما نجدها عند المستشرق ( دوزي (4) ) مكتنفة بوضر القول ، مائلة فى صيغ تنضح بحقد اصيل ، وتحامل مكشوف .

اما الرواية العربية فقد تجافت التعريج على هذه الصورة المشجية ، فشيخ المؤرخين ابن حيان ، على ما عرف عنه من نشر معاصريه فى

مبازلهم وسوءاتهم ، الاحياء منهم والاموات ، وهو هو الذى لا يجد شفرة ولا يريح ذبيحة بحال ، نراه قد اقوى واحجم تجاه صولة ذلك الجبار ، ولو بعد الفوت والادبار ، فلم يدر فى حسبانته أن يتسرب الضعف فى يوم ما الى الشخصية المهيبة التي كانت ملء الاسماع والابصار ، فى الحقيقة والخيال ، والحضور والغياب ؛ على انه لم يتهيب أن يقول عنه بملء اللسان : ( حمل عن المعتضد على مر الايام فى باب فرط القسوة وتجاوز الحدود والابلاغ فى المثلة ، والاخذ بالظنة ، والاخفار للذمة ، حكايات شنيعة ؛ (5) ثم داخله الاحتراس فعاد يقول : ( انه لم يقم دليل على اكثر هذا عند من يصدق ، وان القول ينسأغ فى ذكرها ؛ ) لم يخرج عن احتراسه ليقول : ( ومهما برىء من مغبته ، فلم يبرأ من فظاعة السطوة ، وشدة القسوة ، وسوء الاتهام على الطاعة ، سجايا من جبلته ، لم يحاش فيهن نوى رحم ، ولاغلبهن بحيلة ) ، ويعود الى احتراسه بصيفة اخرى حسبما ينقل عنه ابن بسام (6) فيقول فى معرض اشارته الى تقييل المعتضد سيرة احمد بن ابي احمد ابن المتوكل ( وطالع بفضل نظره اخباره السياسية ، التي اوضحت عند اهل النظر امثلة هادية ، اذ الاحتواء على مد الرياسة فى صلابة العصي ، وصناعة الشطى ، فجاء منها بمهولات تدع من سمع بها ، فضلا عن عاينها ، نسبوا الى هذا الامير الشهم امتثالها ، من غير دلالة ، وقد انطوى علم الله عليها ) .

وهناك سطور اخرى له من هذا القبيل الذي يرد فيه ذكر ما اشتهر عن المعتضد من شب الحروب ، وكياد الملوك ، وفضاظة السلوك ، والاستهانة بالدماء ، قد وردت عند ابن البار (7) ، وينقلها ابن الخطيب من غير أن ينسبها الى (8) ابن حيان .

ومن مجموع هذه النصوص العربية غرف المستشرق دوزي فرفاته المفعمات ، التي صاغها فى فصوله عن المعتضد غمزات ماكرات .

وعلى اى حال فقد ارسل الامام ابن حزم فى رسالة ((التلخيص لوجوه التخليص (9) شواظا من نار لسانه على ملوك عصره ، فنند باستخذائهم وتزلفهم الى النصارى حتى بيع الدين والدنيا وماء الوجه فقال : ( والله لو علموا ان فى عبادة الصليبان ، تمشية امورهم لبادروا اليها ، فنحن نراهم



يستمدون النصارى فيمكنونهم من حرم المسلمين وابنائهم ورجالهم ، يحملونهم اسارى الى بلادهم وربما يحمونهم عن حريم الارض ، وحشروهم معهم ءامين ، وربما اعطوهم المدن والقلاع طوعا ، فأخلوها من الاسلام ، وعمروها بالنواقيص ، لعن الله جميعهم ، وسلط عليهم سيفا من سيوفه ) .

ويبدو ان هذه الافادات تقرنا الى الاخذ بالقصة ، ولو فى مضمونها لا فى تفاصيلها . كما سنرى بعد لحظات ، فهناك من جهة أخرى دلالات موحية تقع عليها فى النصوص التي ينقلها ابن البار (10) وابن عنارى عن ابن حيان وابن بسام ، وذلك كعادة ادمان معاقرة الكاس ، التي لا يعدم الباحث صورة عنها فى اشعار المعتضد عباد ، ومثل كلفه بالنساء (11) ، والتوسع فى اتخاذهن والتخليط فى اجناسهن ، ثم ظاهرة التطير التي لازمتها فى اخريات عمره (12) ، ومسحة الكمد والنكد التي خيمت على طلعتة ، وتلك الجهامة (13) التي كانت ترهب غاشيته ومساعديه ، منذ قتل ولده الاكبر ولى عهده اسماعيل صبورا بيد نفسه (14) ، وقد كان ذلك منه منذ سنة تسع واربعين او خمسين ، مما يلفت النظر الى ان الحالة النفسية العصبية اخذت تهيمن على اعصابه منذ وقت بعيد .

وتلك كلها افادات تعطي للرواية الاسبانية وجها تحمل عليه قصة الرجل الهيكل الذي حميت مرته ، واستفلظت شجونه ، وأظلم خاطره ، ودهمته الشيخوخة ، وفح ارنل العمر فى طلعتة الشابة .

على ان الباحث اذا قبل - على هذا - ملامح الصورة ومضمون القصة ، لا سيما والمفرد مفروض ، ورفات القديس قد حملت بالالتماس ، او بموجب النصر المشهود ، فان اطار الصورة المشينة المهينه فى حضرة فرناندو كما لم تسجله الرواية الاسلامية ولم يتندر به ذلك الامام المعاصر ، الذى لم يكن يخشى لومة لائم ، او يرهب سطوة ظالم ، فان ذلك لا يثبت على محك النظر الفاحص .

فوفادة المعتضد عباد بنفسه على معسكر فرناندو حتى ولو كانت لها سابقة بالنسبة الى ابن ذي النون ، الذي كان لملكته وضع جغرافي خاص ، ومقومات ، واستعدادات دون مستوى عباد .

والصيغة الفمازة التي صنع بها المستشرق دوزى اطار الصورة مطمعا بالتحامل على المعتضد، فقرفه بالدعارة (15) واللؤوم ، ثم تقول عليه زاعما انه ( توسل الى فرناندو ان يبقيه على ملكه (16) ، وان هذا ( رحمه واثرت شيخوخته فى نفسه ) استجابة لصوت انسانيته !!

كل هذا يحدو الباحث الى استبعاد هذه الوفاة الشخصية (17) وذلك الاسترحام ، والى ان يضع نصب العين معطيات شخصية ذلك الملك العربي ومقوماته الحضارية والسلالية والفكرية وزعامته الدينية ، فكلها مفردة او مجتمعة ترجح كفة رفض هذا البهتان ، لا سيما وهناك نصوص من رسائل واشعار هذا العصر ( القسم 2 من ذخيرة ابن بسام ) تستقطبه ، وتنبيه للجهد ، وتصطفيه لحركة الانقاذ .

وبتلك الروح يقول ايضا دوزى : (18) ( انما احال لونه واضفى على معارف وجهه معالم الشيوخه ، همومه ، واحزانه لفرط الظلم وتانيب الضمير . )

وعن نفس تلك المعطيات والمقومات العبادية نصدر فنقول : ان هذا ان صح فى التوجيه صحة ما اسلفته عن الادمان ، والكلف بالحسان ، فان عامل اباء النفس - وهو جماع تلك المقومات والمعطيات - التي فجأها فرناندو بنذر الاستعلاء ، وبخطوات الاحتواء والامتلاك فى الشرق والغرب على السواء ، قد اراث ثورة المعتضد النفسانية ، وهوى باعصابه الى الانهيار ، ثم تلح عليه الفاجعة حين يرقب انحدار الموجة النصرانية سيلا عارما من قواصي الثغور ، لتكبس على الاسد عرينه ، وتقض مضجعه فى العريسة ، وانها لفجیعة لن تفصم بوطاتها عن الازهان ، ولا تنثني ثير التوقعات ، والتخوفات ، التي يشتعل لها الراس ، وينحني معها الظهر ، وتصطك الركب ، وتتعلل آلات الازهان ، فضلا عن تغيير معالم الوجوه واحالة الالوان .

وبعض هذا ، او قريب منه مما لم يسلم منه ملوك طليطلة والشرق والغرب ، الذين فرضت عليهم الجزية والطاعة فى نطاق تحرك هذا الطاغية ، فكانت من قاصمات الظهور ، ودامغات العقول ، مما اورث بعضهم خبالا ، ولفت انتباه الناس الى ما نزل بهم ثم بغيرهم فيما بعد من ادواء ملازمة

وما ظهر على تصرفاتهم من حدة عارمة ، وقد سجل المؤرخون ذلك  
كمواقب لما جروا على انفسهم واوطانهم من فواجع ، وكاملة لما قدره الله  
عليهم من سوء الخواتم (19) .

فالذا كان المشرق دوزي قد غفل عن هذا العامل في احالة الالوان  
واضفاء معالم الشيخوخة على معالم الوجوه ، فالمؤرخ العربي لم يفته ما  
يخلفه ضرب المفرم والجزية في النفوس ، ولكن دوزي قد غفل عن هذا  
لعنايته بتوجيه ذهن القارئ الى ظلم عباد وقسوته ، وتانيب ضميره ،  
كموامل لشيخوخته المبكرة ، وتغير معالم وجهه ، وبذلك يسدل فيما  
يخيل له الستار على دموية فرناندو وقسوته المتوحشة ، التي لم يسترها  
حجاب الايام ، مثلما نراه عمد الى تركيز ذهن القارئ على صورة عباد وهو  
في مبادئ اللغات (20) والشهوات ، ليجلي لنا فرناندو في نفس المقام  
وهو في مسوح الرهبان ، والقوام على روح الدين والعدل والصلاح ،  
الباسط يديه بالهبات .

وعلى اي حال ، فسواء صحت الصورة المشجبة كما تعرضها الرواية  
القشتالية او لم تصح فهي في الحالتين تعرض مظهرا من تطور الضعف  
النفسى امام العيان ، او من خلال الاستضعاف كما يمارسه او يامله  
الاعلاء .

وهكذا اصبح المعتضد في قلب عاصمته وعلى دست عريسته  
كسيرا حزينا ، فلندعه لهواجسه ، ريثما نلقاه مرة اخرى في اخريات  
ايامه ، مشوش الخاطر مهدم الاعصاب ، وهو يذلف الى نهايته المحتومة  
والقدر المتاح .

وانالاب فرناندو عن اشبيلية مرفوع الهامة ، مهلل الطلعة ، ممتطيا  
مكسبه المطهم نحو خطوة فارعة في مخطط التوسع والانسياب ؛ وبروح  
الواق من الانهيار النفسي والسابر لاغواره في هذه التحركات ، انطلق  
عام 456 تجاه خط حدود الثغر الغربي ليستولي على اهم مدنه البالغة  
الحصانة والامتناع ؛ ويوطئ ابن عذارى لهذه الانطلاقة فيقول (21) : ( ولم  
يزل عدو الله فرذلند يقوى ، والمسلمون يضعفون بفرم الجزية للنصارى

الى ان نزل اللعين على مدينة (22) قلمرية ( كويمبرا ) وهي المرة الثالثة التي يزحف فيها نحو مملكة بطليوس ، بعد نفوذه اليها عام 449 ، وبعد حصار شنترين ( سنتارم ) في نفس المنطقة عام 452 كما عرفنا في معرض سابق منذ قريب ؛ وقد اضفى فرناندو على وجهته نحو قلمرية صبغة دينية ، فقام بطقوس خاصة قبل ان يزحف بنفسه لحصارها ، وواكبته الملكة الى ساحة هذه المعمة ، ويبدو انه جاء بها للتفرج على منظر بقر البطون ، واسترقاق الذرية والصبايا ، وذبح الاسارى ، وتقتيل السكان ، واجلاء من نجا عن الاوطان ، وكان هذا على مشهد ايضا من القسيسين والرهبان ، الوالفين فى دم هذه المجزرة التي لم يتخرج بعدها دوزي من ان يسبغ على فرناندو الرحمة والاشفاق ، ويضفي عليه الانسانية والحنان .

وما قدر كان !! ولم يستطع المظفر ابن الافطس ( 437 هـ - 461 ) ان يبدي حراكا ، لا فى الاولى ولا فى الثانية ، ولا عند هذه الداهية ، وبقي امر الدفاع ، ومعاناة شدائد الحصار مدى ستة اشهر كاملة لشهامة سكان المدينة ، فطحنتهم الرحي ، واغرقوا فى حمامات من الدماء .

وباستيلائه على هذا الحصن ، تاملت له حرية النزول الى عمق التراب الاسلامي ، والضرب فيه يمئة ويسرة ، فلم ينشب ان انطلق عام 457 اي فى العام الموالي نحو بلنسية (23) ، كما سبق القول فيه فى صفحة ماضية ؛ وفى طريقه اليها انقض على اراضي سرقسطة مخربا كدابه ومحرقا ، وقالوا انه ادب بها المتندر ابن هود ( 438 هـ - 478 هـ ) لما ظهر من مراوغته فى اداء واجبات الجزية ؛ وقد كانت بلنسية مطمع تحركه لما يعلم من ضعف صاحبها آخر بني عامر عبد الملك بن عبد العزيز ( 452 هـ - 457 ) ولما كان عليه سكان هذه المنطقة من الفسولة ، وليونة الترف والنعومة ، حتى قال فيهم الشاعر (24) :

لبسو الحديد الى الوغى وليستم  
حلل الحرير عليكم الوانـا  
ما كان اقبـحهم واحسنكم بهـا  
لو لم يكن بـطرنة ما كانـا



ولكن سرعان ما فتح عينيه على حصانة اسوار المدينة ، وطالبت عليه بمناعتها ، فارتد عنها الى حينها ، واكتفى بنصب الكمين الذي عبرت عنه في فصل مضى بنصب الاحبولة ، وذلك عند ذكر هذه الحادثة التي عرفت بموقعة « بطرنة » كما اسلفنا .

وتحت اسوار هذه المدينة احس بعوارض للمرض تتهجم عليه ، ولم يفصم عنه الداء ، حتى اودى به عام 458 هـ - 1065 / 12 / 27 .

ويبدو من تحركات فرناندو هذه التي استعرضناها (25) انه سار وفق مخطط محكم ، وبخطوات موزونة وموفوتة ، مستهدفا الحصول على مكاسبه بأقل ما يمكن من الجهد ، ومن الكلفة ، وبتفادي التضحية بالرجال ما وسعته الاحوال ، فلم يكن يزعج بجيشه في مواجهه يعلم انها سابعة لاوانها ، او انها لا تعود على مخططة بعائدة ؛ وهو المخطط الذي تبناه ولده وخلفه في تزعم حركة الاسترداد بعده ، الفونسو السادس ، فسار على دربه في الاقوال والافعال ؛ وقد نلت فيما بعد هذا التاريخ على لسان الكنت ششندو ( مستشار الملك الفونسو السادس ومولي اسرة بنى عباد من قبل ) كلمة في اثناء حديث له مع ملك غرناطة عبد الله بن بلقين فقال له (26) : ( وانما كانت الاندلس للروم في اول الامر ، حتى غلب عليهم العرب والحقوهم بأبخس البقاع جليقية ، فهم الآن عند التمكن ( طامعين - كذا ) بأخذ ظلاماتهم فلا يصح ذلك الا بضعف الحال والمطاولة ، حتى اذا لم يبق مال ولا رجال اخذناها بلا تكلف ) .

وما بعد هذا البيان والتبيين زيادة لمستريد ؛ فقد كان التركيز في الخطة على مراقبة مستويات ضعف الحال ، وعليها الاعتماد في الحركات والسكنات ، ولنتذكر - على سبيل المثال - ما قدمناه عند نزوله على اشبيلية ، فما تحرك اليها الا بعد تصفيته قضية تامين الجزية المفروضة على الكبار الثلاثة على الوجه المذكور آنفا ، وذلك استغلالا منه لضعف الاذعان الذي يخنى على الهمم ، ويخلق نوازع النفوس ، فانحدر بعدها الى اشبيلية وهو متأكد من ان خطوطه الخلفية آمنة محصنة بهذا الخط من ضعف النفوس الذي لا يترقب من ورائه بأسا بوجه من الوجوه .



وبما يلاحظ عن الضعف المشار اليه في افادة الكونست ، يقال في بقية المعتمديات ونجده مطبقا تطبيقا في جميع خطرات قرابندو ، على نفس المنوال .

فعندما انتزع من ابن الافطس عام 449 بازو ولميقة في منطقة (( لشدانية (27) )) خرب المنطقة واجلى عنها السكان المسلمين وعمرها بالنصارى تلافيا لمفبات مجابهات يومية مع السكان .

ثم انه وافى هذه المنطقة بالذات علما منه انها منطقة منعزلة او كما عبروا في قاصية تراب الاسلام ، فلا كثافة السكان هناك ، ولا وسائل الحماية موفورة وانما كانت تعتمد على نفسها في الدفاع ، (دول الطوائف : محمد عبد الله عنان ) وهذا هدف خطته القائمة على تفادى التكلفة والتضحية فيما ينهد اليه من احتلال وامتلاك .

وكذلك كانت فعلته بعد ذلك عند فتح قلمرية ( كويمبرا ) فقد طرد المسلمين المقيمين في المنطقة الممتدة من جنوب نهر (( دويرة )) الى نهر (( منديجو )) .

وهذا ولا ريب مصداق ما اشير اليه من انه كان يتفادى التضحية بالرجال والمعاناة المتواصلة التي يفرضها الاستقرار في منطقة قريبة العهد بالاحتلال ، او في مدينة كثيفة السكان وذلك لما ينبغ فيها من ثورات ، وانتفاضات ، تفسد عليه جنده ، وتعتنه بالكلفة .

ومن باب هذا ، ان فاجعة قلمرية الدامية في غرب الجزيرة ، قد حلت في نفس السنة التي نزلت فيها فاقرة احتلال الرومانيون (النورمانديين ) واهل غاليش ( الفرنسيين ) لمدينة (( بريشتر (28) في شرقها ، وهي الحادثة الاليمة التي ما زالت تتكا جراحها فينا همزة ابن العسال ، والصفحة الباكية من تاريخ ابن حيان ؛ وما من شك في ان الواقعة كانت من تدبير وتآليب ومساعدة فرناندو بالذات ، فمن تراب مملكته تسرب المهاجمون الى شرق الجزيرة ، وايضا فالمدينة من حصون

الثغر الاعلى المعروفة بالامتناع ، فهي فى عداد مخططة لضرب الحصون واجتياح انقلاخ .والصليبية بصفتها المعلنه ، وطبيعتها الدموية ، كانت شعار المعركتين ، وملحظ التوقيت لهما مما يتوخى فرناندو تكاته التي يعتمد عليها فى تحركه لحصار او احتلال ، وهي استغلال ذلك النصف الذي يتوقع ان يلم بجانب المسلمين اثر هذه المعركة او تلك ، فيسهل عليه الايقاع هم الثانية ، والمكسب للصليبية ان فى الاولى او من الثانية التي تعاقبها على اي حال .

وقد اتبه الملك عبد الله بن بلقين صاحب غرناطة على عهد الفونسو السادس الى هذه الظاهرة فى مخطط حركة الاسترداد فقال (29) : ( وكذلك كان من شأنه فى اخذ البلاد اذ كان مذهبه الا ينازل معقلا ولا يفسد اجناده على مدينة ، لبعد مراميها ، ومن فيها من مخالفى ملته وانما كان ياخذ منها الجزية عاما بعد عام ويعنف عليها بما شاء من اصناف التعدى الى ان تضعف وتلقي بيدها ) .

وبهذا نستطيع ايضا ان نفسر ارتداد فرناندو عن اسوار مدينة بلنسية مع علمه بضعف صاحبها عبد الملك بن عبد العزيز العامري ، فقد تغادى المواجهة علما منه انها ليست قلعة من القلاع مثل قلمرية فى الغرب ، فتقتضى الخطة منازلها وانما هي مدينة كثيفة السكان فلا ارب له فى الوقت الحاضر فيها ، وقد اتجه اليها فيما يظهر ، ليؤكد وجوده كطرف يعنيه امرها ، وذلك ان المامون ابن ذى النون صاحب طليطلة كان يتحضر للانتزاء عليها ، وهذا ما يعطى وجها للرواية الاجنبية التي نقلها الينا الاستاذ محمد عبد الله عنان حول واقعة بلنسية هذه المعروفة بواقعة (( بطرنة )) اذ يفهم من الرواية بطريقها المرويين فى كتاب الاستاذ انه كان هناك اتصال بين فرناندو والمامون فى تبليت هذا الحصار (30) وهذا مع العلم بان الرواية العربية تضع نهوض المامون الى بلنسية (31) عام 458 اى بعد سنة موالية لموقعة بطرنة ، كما لا تشير الرواية العربية الى تدخل ملك قشتالة وليون فى نهوض المامون ابن ذى النون .

وهكذا انتهى الى القول بان الضعف بشقيه الحربى الذي عرضت مظاهره فى الفصل السابق ، والنفسى الذي حلته هنا فى مراحل نشوئه

وارتقائه ، قد كان له اكبر الاثر فى اتاحة الفرص لتطور حركة الاسترداد ، وانطلاقها من مرحلة فرض المغارم الى التوسع والانسياح فى تراب ممالك الاسلام فما ادير فرناندو عن دنياه ، حتى اجتاحت شرقا وغربا اكثر المعقل والحصون ، واحتلت المدائن التي اعدّها المسلمون قلاعاً وحصونا او خطوطاً حربية فى حدود الثغور ، وان اطلالة سريعة على ما سنعرفه فى فصل تال من خطوات خلفه الفونسو فى هذا المجال ، لتفتح اعيننا على أن المخطط قد قام على عملية تطويق التراب الاسلامي تطويقاً محكماً من جميع الجهات ؛ ومن طبيعة المخطط هذه التي اكنهها المؤرخون المعاصرون وغير المعاصرين ، تتجلى لنا أن أسسه اعتمدت على التغيير الآني للطاقات والمقدرات ، وعلى تحسس النفسيات ، وسبر اغوارها على امتداد الصراع مع الايام .

اما الاكتفاء بالنظر الى الانقسام والفوضى - وأمرهما ما سمعته فى فصل ماض من انهما مشهودان ، مذكوران حتى فى رسائل الاستنجد ، معروفان فى سير الاحداث ، سواء فى الجنوب او فى الشمال ، - فلا ينفذ بالباحث الى العوامل الاساسية والمباشرة التي عادت على حركة الاسترداد بهذه العائدات ، واثرت كما سنرى بعد - فى السير والاخلاق ؛ وعنها يبرزت الظروف التي احاطت بقضية المعتمد بن عباد .

واحسب ان الفوضى والانقسام اللذين ظهرا بوضوح وجلاء بعد معركة الزلاقة وعند محاولة محاصرة حصن (( ليط )) بالذات ، وكان لهما اكبر الاثر فى توجيه الاحداث ، وفى تغيير نظرة أمير المسلمين الى اولئك الاقوال ، قد استغرقا نظر القارئ وبعض المؤرخين كما استبدا بنظرهم ، فاعتدوا بهما كعاملين اساسيين حتى فيما نزل بمسلمي الجزيرة منذ البداية .

وقد كان أمير المسلمين يوسف بن تاشفين - نصر الله وجهه - اعرف العارفين بتلك الاحوال ، وبما ظهر منها وما بطن ، فنراه فى كتابه المسهب (32) الذي وجهه باثر معركة الزلاقة الى تميم بن المعز بن باديس وقد وصف فيه المعركة ، واصل جوازه الى الاندلس ودواعيه ، وفيه أكثر

من بساط ومقام للذكر او للتلميح الى افتراق الكلمة والانقسام ، ولكن كل ذلك لم يكن ، وانما انصبت نظره وتركزت على عوامل الضعف بشقيه ، فقال في طوالع ذلك الكتاب ( ان النصارى استحوذوا على بلاد الاندلس ومعاقلها ، والزام الجزية لرؤسائها ، واستئصال اقاليمها ، وايطائهم البلاد دارا فدارا ، لا يتخوفون عسكريا يخرج اليهم فيبدد جمعهم ، ويقل حدهم ) .

### وهذه اشارة واضحة الى الضعف العسكري

ثم بعد ما اشار الى جوازه ووصوله الى بطليوس في انتظار وصول الرؤساء قال ( وصح عندنا ان كل واحد منهم مشتغل مع قطعة كثيرة من النصارى ، وقد تغلبوا على حصونهم ، واذلوه في بلادهم ، واضعفوهم وقد ينتجعونهم على مرادهم ) .

وهذه اشارة او تحليل الى الضعف النفسي بكامل اليقين .

وما بعد نظرة امير المسلمين زيادة لمستريد .

وقد كان حقيقا بصديقنا الدكتور عباس الجراري ان يشير الى هذا ؛ واذا لم ير ان يعده اساسيا في المقام فقد فاته كما ترى قصده الى اظهار ( اهم الظروف التاريخية التي احاطت بقضية المعتمد بن عباد ) لا سيما وقد كان للضعف بشقيه اكبر التأثير في اخلاق الناس ملوكا ورعايا ، كما سمعت وكما سنرى في فصلات ، وعنه نشا وانبثق ذلك الاستعداد عند جيل المعتمد بن عباد لاختيار اليد العليا النصرانية على اليد العليا الاسلامية ، سواء في الضراء او في السراء ، وذلك فيما ارى يتصل بموضوع الدكتور وهو موضوع قضية وحكم يتطلبان النظر في الظروف الراهنة الظاهرة والخفية والتي على وفقها يجنح الى التشديد او التخفيف في الاحكام .

فالى عدد تال بحول الله .

عبد الرحمن الفاسي

الرباط



## المصادر والتعليق

- (\*) تصحيف اسم « تظيلة » الى طليظلة في القسم الاول من هذا البحث في العدد الماضي بالصحيفة 231 فممنذرة .
- (1) البيان المغرب لابن عذارى ج 3 ، ص 277 - 283 - أعمال الاعلام القسم الخاص بالاندلسي ص 178 .
- (2) انظر ايضا المعجب للمراكشي ، ط - سلا ص 55 .
- (3) من كلمات ابن حيان بواسطة البيان المغرب ج 3 ، ص 207 - الذخيرة لابن بسام ج 2 مخطوط الخزنة الملكية بالرباط 7753 . - الحلة السيرة ج 2 ص 42 - أعمال الاعلام ، القسم الخاص بالاندلس ص 155 .
- (4) ملوك الطوائف الطبعة الاولى ، ترجمة كيلاني ، ص 170 وما بعدها .
- (5) الحلة السيرة ج 2 ص 41 - المعجب للمراكشي ، ط سلا ص 56 - 57 .
- (6) هذا النص وكذا جل النصوص الواردة عن المعتضد في هذا المقام نقلا عن ابن حيان كلها بواسطة ابن بسام في القسم الثاني من الذخيرة ، انظر مخطوط الخزنة الملكية بالرباط رقم : 7753 .
- (7) الحلة السيرة ج 2 ، ص 40 - 41 .
- (8) أعمال الاعلام ، الجزء الخاص بالاندلس ص 156 .
- (9) انظر النص الكامل لرسالة ابن حزم ابتداء من الصحيفة 177 من مجموعة رسائله التي نشرها الاستاذ احسان عباس ، مصدرة برسائله الشهيرة ( الرد على ابن النفلة اليهودي ) .
- (10) الحلة السيرة ج 2 ص 53 .
- (11) الحلة السيرة ج 2 ص 43 .
- (12) الحلة السيرة ج 2 ، ص 42 - 43 - 53 .
- (13) الذخيرة لابن بسام بواسطة البيان المغرب ج 3 ، ص 153 .
- (14) البيان المغرب ص 244 - 248 - 249 - المعجب للمراكشي 54 - 55 .
- (15) ملوك الطوائف ترجمة كيلاني ص 95 ، والاحظ ان الدعارة لم ترد لا منظومة ولا مفهومة في دلالات النصوص العربية التي اعتمدها دوزي .
- (16) ملوك الطوائف ص 170 .
- (17) والمعجب ان الاستاذ الكبير محمد عبد الله عنان بالرغم من انه سجل الرواية النصرانية من غير توهين او تصحيح كعادته في احتراسه المستجاد ، وفي ترك الحرية لقارئه ، فقد عاد مرة أخرى في نفس كتابه ( دول الطوائف ) وأشار الى هذه الوفادة وكأنها من المسلمات - انظر دول الطوائف ص 48 .
- (18) ملوك الطوائف ، ترجمة كيلاني ص 171 .



(19) يقول ابن عذارى فى البيان المغرب ج 3 ، ص 229 : ( ولم يزل المقتدر بالله ابن هود يضعف والروم يتقوون عليه الى أن رماه الله بعله فى جسده ، اذهبت حسه وعقله ، فيقال انه ما مات حتى كان ينبع كما ينبع الكلاب ) وانظر الذخيرة لابن بسام القسم الرابع ، مجلد 1 ، ص 117 - وانظر أعمال الاعلام ، جزء الاندلس ، ص 198 .

(20) كرر دوزي فى فصل واحد معاقرة المعتضد للخمر فقال فى الصحيفة 95 ( كان مدمنا للخمر ) ، وفى الصحيفة 100 ( كان مولعا بالخمر ) ، وفى الصحيفة 103 قال ( وكان يتعاطى الخمر بطريقة غير معتدلة ) ، وفى الصحيفة 104 قال ( مع ادمانه للشراب ) وهذا أوضح ما يكون عليه الاسلوب المفرض ، ثم تهافت دوزي فوصف المعتضد تارة باللؤم فى الصحيفة 95 ، وتارة بالجود فى الصحيفة 98 . بل انه تطاول حتى الى الحكم على ادبياته ولغة شعره .

(21) البيان المغرب ج 3 ، ص 238 - 253 .

(22) الروض المعطار ( صفة جزيرة الاندلس ) طبع بروفانسال ، ص 164 - الادريسي ،

صحيفة 183 - أعمال الاعلام ، الجزء الخاص بالاندلس ، الصحيفة 184 .

(23) البيان المغرب 252 .

(24) نفح الطيب ج 2 ، ص 449 ، ط اربا .

(25) لا تذكر الرواية العربية زائدا على هذه الانتصارات التي حققها فرناندو ابتداء من عبوره الى مملكة بطليوس عند فتحه بازو ولميقة عام 449 ، ولكن المستشرق يوسف اشباخ يقول فى كتابه ( تاريخ الاندلس على عهد المرابطين والموحدين ) ج 1 ، ص 15 ، ( أن فرناندو اخذ من يد المسلمين مدينة ( سمورة ) فى طريقه الى هذه المملكة ، وقد تابعه المرحوم الطود فى كتابه ( بنو عباد فى اشبيلية ) وكما أشار رحمه الله فى الهامش الى اشباخ أشار ايضا الى الصحيفة 170 من كتاب دوزي عن ملوك الطوائف ، وهذا وهم منه فان دوزي لم يذكر مطلقا سمورة من بين ما استولى عليه فرناندو ، وانما سجل فى تلك الصحيفة انه ( اخذ للمظفر ابن الافطس مدينتين ) ويعني بهما طبعاً بازو ولميقة .

والمعروف أن سمورة وهي على نهر دويره قد كانت منطقتها بين مد وجزر فتوح المسلمين واستردادات النصارى ( ليون ونبرة ) منذ عهد عبد الرحمن الداخل ( لا منذ عبد الرحمن الناصر كما عند الدكتور حسين مؤنس فى تعليقه على الحلة السيرة ) وحتى بعد تمصيرها عام 288 ، وآخر من غزا المنطقة عبد الملك ابن المنصور عام 395 ، ومنذ استقلال الفتنة وتفرق الجماعة لم يرد لها ذكر فى المصادر العربية مما يوحي بانها دخلت مرة أخرى فى حوزة ملوك الشمال ، وظلت كذلك فيما يبدو حيث نجدها فى الرواية النصرانية على عهد الفونسو السادس من بين ممتلكات اخته أوركا التي انجزت لها بالارث من القسمة التي وضعها فرناندو بين أبنائه وبنتيه قبل وفاته . وتقع الآن سمورة ( ثاميرا ) على ستة وستين كيلومترا من الحدود البرتغالية ، انظر صفة جزيرة الاندلس ، ص 98 - 99 - تاريخ ابن خلدون ج 4 ، ص 80 - 81 .

وأيضا - ورد فى تاريخ ابن خلدون ج 4 ، ص 182 ، أن فرناندو هذا ( احتوى على شنت برية وعلى كثير من عمل ابن الافطس ) وشنت برية تقع الى شمال شرق طليطلة ، ومن واديه منابع نهر التاجو ، وقد كانت عاصمة كورة تمتد من حدود كورة

سرقسطة الجنوبية الغربية الى كورة وادي الحجارة وطيطة ؛ وتذكر سهلة بنسي  
 ذين من أكبر معاقليها ؛ ويظهر أنها أصبحت في وضعية ثانوية على عهد الطوائف ،  
 وقد كانت مستقر بني ذي النون على عهد المنصور ، ومنها نودي على ابن ذي النون  
 لتولي حكم طليطة فارس ولده اسماعيل إليها ، وكانت من ثم بداية مملكتهم فيها ؛  
 كما كانت مسكن هواره ومديونة من البربر ؛ وكان ابن خلدون اراد ان ينص على  
 غزو فرناندو لمملكتين ؛ وفي جهتين ؛ لكنه انفرط بالتنصيص على شنت برية ، ويمكن  
 توجيه هذا بان شنت برية متصلة بحوز مدينة سالم كما عند ياقوت ؛ ومن هذه ابتدا  
 فرناندو غارته على الناحية الشمالية الشرقية من مملكة طليطة كما في صلب هذا  
 البحث ، واذا تذكرنا انه استهدف في زحوفه اجتياح المعاقل والحصون وأن ياقوت  
 يذكر ان « بلاط عوسجة » حصن من اعمال شنت برية ، فسنعق بهذا على ان ابن  
 خلدون اعتبر فيما يبدو اجتياح هذا الحصن في شنت برية استيلاء على المدينة  
 او الكورة - انظر معجم البلدان لياقوت في مادة شنت ؛ ثم في مادة بلاط - وانظر  
 الجهرة لابن حزم ؛ ص 498 ، المسالك والممالك للاصطخري ص 36 ، ط وزارة  
 الثقافة بمصر .

- (26) كتاب التبيان ص 75 .  
 (27) كذا هي في النطق العربي بضم اللام ؛ وعند لسان الدين ابن الخطيب « لجدانيا »  
 بالجيم ، واكثر الباحثين بما فيهم العرب يسجلونها بالنطق الروماني « لوزيتانيا » .  
 (28) صفة جزيرة الاندلس ( الروض المعمار ) ص 39 - البيان المغرب ص 53 ، ابن  
 حيان بواسطة ذخيرة ابن بسام ونفح الطيب ج 2 ص 752 ، طبع أوروبا .  
 (29) كتاب التبيان ص 101 .  
 (30) كتاب دول الطوائف محمد عبد الله عنان ص 100 - 214 .  
 (31) البيان المغرب ج 3 ، ص 266 - 267 - 303 .  
 (32) نشر الاستاذ ليفي بروفانسال ، رسالة امير المسلمين ؛ هذه في مجلة الاندلس  
 الفرناطية بعدد سنة 1950 ؛ وادرجها الاستاذ محمد عبد الله عنان في كتابه دول  
 الطوائف ؛ في القسم الاخير منه المتعلق بالوثائق والملحقات ص 424 وهو ينقلها  
 عن المخطوط 488 من مكتبة الاسكوريال .

### وصف ابن زيدون لولادة من خلال شعره

كانت بيضاء الوجه ، صفراء الشعر ، ممتوكة  
 القوام ، طويلة العنق ، بارزة الصدر ، دقيقة الخصر ،  
 رابية الردف ، حوراء العينين ، وطفاء الهدبين ،  
 رقيقة البشرة ، بيضاء الاسنان ، بخدها خال اسود .

# في مكتبة المناهل

## الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية

هذا كتاب صدر في المغرب عن دار الثقافة خلال الصيف الماضي ؛ وهو يقع في عشر وثلاثمائة صفحة ، منها أربع عشرة ومائتان للدراسة ، وخمسون لدليل يعرف بالشعراء ، والباقي لملحق شعري والفهارس .

ومؤلفه هو الزميل الدكتور ابراهيم السولامي الاستاذ المحاضر بكلية آداب فاس ؛ وكان قد تقدم به بحثا لنيل درجة دكتوراه الحلقة الثالثة من جامعة الجزائر في نوفمبر 1973 .

وقد قسم الدراسة الى ثلاثة ابواب :

**اولها :** عن الظروف العامة لعصر الحماية ، تناول في فصوله الثلاثة الظروف السياسية والاجتماعية والفكرية والادبية .

**وثانيها** عن أقسام الشعر الوطني ، وقد جعله أربعة فصول :  
الاول عن شعر الاصلاح وفيه تحدث عن الدعوة للوحدة الوطنية والتعليم  
والعلم والرجوع الى الدين . والثاني عن شعر المقاومة ، وفيه تعرض للدعوة  
للجهاد ، وشعر الحركات السياسية والاحداث والمنافى والسجون ، ورثاء  
الشهداء والتغنى بالوطن ، وشعر الرومانسية الوطنية ، وموضوعات أخرى  
وتناول في الفصل الثالث الاناشيد ، وفي الفصل الرابع تعرض لدعوات  
مضادة .

اما الباب الثالث فوضع فيه الشعر الوطني في الميزان ، حيث عرض  
خصائص عامة ، وتحدث عن الموضوعات واللغة والاشكال ، ثم طرح قيمة  
هذا الشعر .

ولست ادري اذا كان جائزا لي ان اتحدث مرة أخرى عن هذا  
الكتاب بعد ان شاركت في عضوية لجنة مناقشته وسجلت عليه عدة  
انتقادات ، وبعد ان كتبت له مقدمة تناولت فيها الاطار التاريخي والادبي  
الذي يمكن ان تطرح داخله هذه الدراسة او غيرها من الدراسات المرتبطة  
بالفترة الحديثة والمعاصرة من تاريخ ادبنا .

وقد تعمدت في هذه المقدمة الا اتعرض بأى نقد للكتاب ، طالما  
انى سبق ان فعلت اثناء المناقشة ، وطالما ان الصديق السولامى  
وعد بمراجعة بحثه على ضوء الملاحظات التي قدمت . ولكن تبين بعد  
صدور الكتاب انه لم يفعل الا بالنسبة لبعض تلك الملاحظات ؛ ولعله  
كان قد ضاق بالانظر في بحثه بعد ان عانى منه فترة غير قصيرة ولعله  
كذلك كان مستعجلا على اخراجه ونشره .

لذا فاني استسمح الاخ ابراهيم في ابداء بعض الانتقادات التي  
لا اخالها الا مكملات لعناصر القيمة والجودة التي تبرز لقارئ هذا البحث  
الذي لاشك في انه يغنى مكتبة الدراسات المغربية .

وتتصل اولى هذه الملاحظات بالمنهاج ، حيث يبدو الخلل واضحا  
في التصميم الذي خطط البحث على اساسه ولي هنا جملة انتقادات :  
**اولا** : ماكان ينبغي ان يخصص للظروف العامة للحماية — وهي  
مجرد مقدمات تمهيدية للموضوع — بابا مستقلا ، والرسالة كلها ثلاثية  
ابواب ، بل كان يكفي ان يجعله مدخلا .

**ثانيا : خصص للنشيد فصلا كبيرا داخل باب الموضوعات ، وكان**  
**اولى ان يكون فصلا خاصا في باب الاشكال ، وقد تحدث عنه فعلا في هذا**  
**الباب ، بل انه شعر بذلك فقال في ص 149 متحدثا عن موضوعاتها :**  
« بيد ان الاناشيد كانت تقتصر احيانا على احداث معينة مثل حرب الريف  
وقضية الظهير البربرى ، بينما تخوض اناشيد اخرى في التغنى بالوطن  
وتحبيه للقلوب . ومن الاناشيد ما يلهج بحب الملك وتمجيده ، وقد يلف  
مديحه بذكر آمال الوطن وترقبه ليوم النصر بقيادة الملك رمز الوحدة ،  
فالانشيد يمكن معالجتها في اطار شعر الاحداث والعرشيات والتغنى  
بالوطن وفي اطار الشعر الاصلاحى لانها تنادى احيانا بالحث على العلم  
وتدعو الى الوحدة وتمجد الماضى » ومع ذلك اقحمها في هذا الباب ، وكأنها  
موضوع مستقل بذاته .

**ثالثا : في الجزء الخاص بالحركات السياسية (105) تناول الاحداث**  
**وعمد الى تقسيم جعل منها نوعين :**

1 — الاحداث الشعبية

2 — الاحداث الرسمية او العرشيات .

ويبدو لي ان القسم الاول من هذا الجزء مقحم على شعر الحركات  
السياسية لارتباطه بالمقاومة المسلحة التى سبق للدراس ان تحدث عنها  
فى فصل سابق . فاذا كان فى الفصل الخاص بهذه المقاومة قد تناول ثورة  
الريف فانه هنا — وفى هذا الفصل الجديد — يكرر عنها الحديث ، كما  
يكرر الحديث عن الظهير البربرى . ويضيف الى ذلك احداثا دامية  
كحادث بوفكران والدار البيضاء ، ارى ان يتناولهما فى فصل المقاومة  
المسلحة لانهما يشكلان حلقات فى سلسلة واحدة . اما حديثه فى ص 111  
عن الغاء الرقابة الصحافية فلا اراه الا مقحما على فصل الاحداث . كذلك  
ارى ان الحديث عن الثورة التى قام بها الفدائيون على اثر نفي محمد الخامس  
فى غشت 53 ليس مكانه العرشيات ( ص 112 ) بل فصل المقاومة  
المسلحة والدعوة للجهاد .

**رابعا : ما سماه الباحث « شعر الرومانسية الوطنية » ( ص 133 )**  
**هو فى صميم الفصل السابق عليه والذى يحمل عنوان : « شعر التغنى**  
**بالوطن » فليست ادري لماذا فصله عنه وجعله مستقلا ؟ فبعد القادر حسن**  
**( ص 134 ) يتغنى بأمجاد الوطن ، وعبد الكريم بن ثابت ( ص 135 )**



وعلال بن الهاشمي الفيلاشي ( ص 136 ) وادريس العلمي ( ص 138 ) يستوحدون طبيعة بلادهم في تعبيرهم الوطني .

**خامسا :** فصل « موضوعات اخرى » ( ص 140 ) يمكن تسميته : « هجاء المستعمر واعوانه » لان كل الشعر الذي تناول الدارس فيه يدخل في اطار موضوع واحد هو الهجاء .

**سادسا :** عقد السيد السولامي فصلا للشعر المالمى للاستعمار بعنوان « دعوات مضادة » ( ص 161 ) وهو في رايي خارج عن الموضوع الذي تدور حوله الرسالة . وما كان منه صادرا عن ردود فعل او عن تجاوب مع بعض الموضوعات التي تناولها الوطنيون كالدعوة للتعليم ومدح السلطان يشار له في الفصول المخصصة لهذا الموضوع او ذاك ، ولكن دون ان يخصه بفصل في باب المفروض فيه انه باب لموضوعات الشعر الوطني .

**سابعا :** كنت أنتظر — بدلا من فصل عن الشعر المالمى للاستعمار — ان يعقد الباحث فصلا للشعر القومي بالمفهوم الاصطلاحي للقومية ، اي الشعر الذي قاله المغاربة في احداث عربية واسلامية ، ولكن ليس كل هذا الشعر ، وانما فقط ما ادمج فيه اصحابه قضايا المغرب الوطنية مستغلين مناسبة تلك الاحداث لطرحها والتوعية بها . ومثل هذه الظاهرة نلاحظها في بعض القصائد التي قيلت في التجاوب مع القضية الفلسطينية او الثورة الجزائرية . ونذكر مثالا عليها قصيدة لعلال الفاسي قالها اثر المظاهرات التي قامت بها النساء الفلسطينيات سنة 1932 ، فهو فيها يقول متحدثا عن بلاده ، رابطا بين النضال في المشرق والمغرب :

ان البلاد يعيث فيها المستبدون الشداد  
يتمتعون بخيرها ونظيل نحرم من سداد  
يأبون ان نسعى لعلم او لفكر في اتحاد  
والآن قد خطت فلسطين لنا سبل السداد  
حيا الاله فتاتها وحمى مواقفها الجياد  
كونى فتاة العرب رائدة لنا يوم الجلال  
ضمى الصفوف ووحدى لا تختشي اهل العناد  
لاتتركها فرقة ترمي بنا في كل واد

**ثامنا :** الباب الثالث الذي جعله الدارس للشعر الوطني في الميزان بداه بفصل عن « خصائص عامة » . وكنت اود ان يسبق هذا الباب باب عن أشكال هذا الشعر واساليبه يدرج فيه فصلى اللغة والأشكال . والفنت نظر الاخ السولامي الى الفصل الذي خصصه للغة فقد تحدث فيه عن الاسلوب وكان يجب الفصل . وفي رأى ان باب النقد يأتى بعد ذلك ، وفيه يضع الشعر للميزان . وحينئذ يغير عنوان « خصائص عامة » بعنوان آخر وليكن : « الشعر الوطنى بين الأصالة والتقليد او « بين الإبداع والتأثر » واشهد انه فصل جيد . يضاف اليه فصل يتناول فيه الشعر الوطنى بين الفردية والجماعية يدمج فيه فصل « الموضوعات » ( ص 195 ) مع بعض ما سبق له ان عرض في فصل « الرومانسية الوطنية » . ثم يختم هذا الباب بفصل عن قيمة الشعر الوطني .

الملاحظة الثانية منصبة على المصادر حيث ينقل احيانا بالواسطة في وقت يمكن الرجوع الى المصدر الاصلي ، ولي هنا مثالان :

**الاول في ص 24 :** قصيدة ابن ادريس الدالية التي مطلعها :

يا ساكنى الغرب الجهاد الجهاد      فالكفر قد شارككم في البلاد

ينقلها من كتاب شبه مدرسى ويشير الى اخرى في كتاب تاريخي ، وكان من الممكن الرجوع الى ديوان الشاعر والاستفادة منه في هذا الباب حيث ان له قصيدتين غير الدالية ، مطلع الاولى :

فرض على كل مسكين وسلطان      حمل السلاح على عباد اوثنان

ومطلع الثانية :

يا اهل مغربنا حق النفير لكم      الى الجهاد فما في الحق من غلط  
والديوان مخطوط بخزانة الرباط العامة ورقمه ج 845

**الثاني في صفحة 27 :** لجأ السيد السولامى في نقل بعض بنود عقد الحماية الى نص وارد في محاضرة موزعة على طلاب قسم التاريخ بكلية الآداب ، وكان عليه ان يلجأ الى النص الرسمي كما هو وارد في كتب التاريخ .

النوع الثالث من الملاحظات يتمثل في تكميلات اذكر منها ما يلي :

في ص 22 يقول عن احتلال الجزائر وما اعقبه من احداث : « هذه الاوضاع المضطربة شجعت الدول الأوروبية الطامعة على فتح اسواق جديدة والبحث عن المواد الأولية وتوسيع مناطق النفوذ » . والحق ان هدف الدول الأوروبية — وفرنسا خاصة — لم يكن فتح اسواق جديدة لها والبحث عن المواد الأولية فقط ، بل كان هدفها كذلك تحطيم القوة البحرية للمغرب العربي الذي كان يسيطر يومئذ على حوض المتوسط ، وكانت فرنسا وغيرها من الدول الأوروبية تضطر الى عقد معاهدات لكي تمر سفنها فيه ، تدفع بموجبها مبالغ وهدايا لولاة وحكام المغرب العربي وليس هذا فحسب ، بل كان الهدف ايضا تكسير شوكة هذه البلاد بصفة عامة ولعل في غير حاجة الى ان اذكر بأن السبب المباشر في الاحتلال ، وهو قضية المروحة — مرتبط بقضية الدين الذي تأخرت فرنسا في رده للجزائر التي كانت اقترضتها اياه . وهذا دليل على تفوق مالى واقتصادي لا يحق تجاهله . ومثل هذا السبب لا يمكن ان نمر عليه دون اعتباره وتسجيله ونحن نحى التراث ونبعثه وندرسه لنستكشف جوانب القوة فينا والضعف .

والتكميلات بعد هذا متعلقة بالنصوص :

1 — حين تحدث الدارس عن تجاوب الشعراء مع الاحداث التي عرف المغرب قبيل الحماية ( ص 24 — 25 ) اقتصر على نصين احدهما لابن ادريس والثاني لافيال ، واطال في ذكر نصوص المشاركة في التجاوب مع تلك الاحداث ، وكان من الممكن ان يضيف اسماء شعراء مثل محمد غريط الذي قال قصيدة على اثر احتلال الجزائر مطلعها :

مالى ارى جفن اهل الغرب وسنانا  
من بعد ما اخذ الرومى تلمسانا  
وهي موجودة بذيل رسالة الكردودي المعنونة « كشف الغمة » المطبوعة على الحجر وفي مصادر اخرى . وفي حرب تطوان كان عليه ان يضيف اسماء بعض الشعراء مثل محمد القيسي ومحمد السلاسي والمكي بن ريسون واحمد الجندي ومحمد اسنوس ومن اليهم من الشعراء الذين اورد شعرهم صاحب « تاريخ تطوان » في المجلد الخامس .

2 — في الدعوة للوحدة ( ص 71 ) ولاسيما على اثر الظهير البربري الفت نظر الصديق السولامى الى قصيدة للشاعر السوسى محمد بن عبد الله العثماني اولها :

سائلوا القوم أين ذاك اللواء اكذا العهد بيننا والوفاء ؟

وهو يشير هنا الى مظهر من مظاهر السياسة الاستعمارية التي اقتضت — في التفريق بين العرب والبربر وعزل هؤلاء عن أولئك وتجريدهم من مقوماتهم الوطنية — ان تزيل العلم المغربي من مختلف البنايات الرسمية في اقليم سوس وتضع مكانه العلم الفرنسي . كما الفت نظره الى قصيدة الوكيل التي مطلعها :

اي ذكرى للفكر في جولانه تستفز الشعور من جذلانه  
وقد قالها سنة 1937 في ذكرى الظهير .

3 — في الدعوة الى التعليم كان على الباحث ان يشير الى نصين :  
احدهما لمحمد المهدي الحجوى يقول في مطلعته :

الى متى نترك التعاليم مهجورا ونحسب العلم في الافرنج محصورا  
والثاني لعبد الكريم سكيرج يقول في اوله :

مابال قومي لم ينهض بهم عمل والناس كلهم بالعلم قد عملوا

وكذلك في التعليم والدعوة للعلم تذكر القصيدة التي قدمها المرحوم محمد المدني بن الحسنى الى تلاميذ مدرسة « والزهراء » وهى اول مدرسة حرة بالرباط ، ومطلع هذه القصيدة :

ابناء قومي اليكم ترسل الخطب ونحوتهديبكم تسلسل الكتب

كما تذكر قصيدته الى تلاميذ المدرسة الكتانية بالرباط ، وأولها :

بنى قومي افيقوا من منام وجدوا في المعالى باهتمام

ومثلها قصيدة المكي الناصري بمناسبة اختتام الشيخ ابن الحسنى جامع البخارى ، ومطلعها :

كم أنادي مستنهضا لبلادي وارى الكل سابحا فى رقاد

وهي كلها قصائد طويلة ومليئة بالنصائح والتوجيهات .

4 — في ص 103 عند الحديث عن ثورة الريف وتجاوب الشعراء معها قال الاخ السولامى انه لم يبق الا شىء قليل هو الذى أورده . وأود هنا ان اضيف قصيدة لـحمد بن اليمنى الناصرى قالها في حرب الريف بمناسبة عيد المولد ، مطلعها :

شهر النبي محمد قد وافى      يفشى السلام ويحمل اللطافا  
وعن ابن عبد الكريم يقول :

انظر لما تلقى فرنسا منه اذ      قصدت بشامخ مجده استخفا  
ثم ياخذ في استعراض المواقع التى الحق فيها هزائم بالجيوش الفرنسية والاسبانية —

5 — في العرشيّات ( ص 112 ) اتى الدارس بنماذج قليلة ومحدودة بالنسبة لهذا النوع من الشعر الذى يعد ولا شك محور الشعر الوطني بعد 1934 ، وهي السنة التى تقرر فيها الاحتفال الرسمي بعيد العرش . والسبب ان هذا العيد كان مناسبة يتاح فيها للشعراء والكتاب ان يعربوا عن عواطفهم وافكارهم في كثير من الحرية . ولم تكن تدور هذه الافكار وتلك العواطف الا في نطاق النضال الوطني من اجل الحرية والاستقلال واذا كان غير ممكن ان يستعرض الباحث جميع او معظم القصائد التى قيلت في هذه المناسبة ، فلا اقل من ذكر نماذج متعددة من اسماء اهم الشعراء الذين كانوا يبرزون فيها من امثال محمد العثماني والحسن البونعماني ومحمد بن المهدي العلوي وعبد السلام العلوي ومحمد المدني الحمراوي ، يضيفهم الى من ذكر .

اما الملاحظة الرابعة فتصويب لبعض التحريفات التي اذكر منها هذه النماذج :

1 — في ص 21 قال الزميل ابراهيم ان الجيش الذى ارسله المغرب لمساعدة الامير عبد القادر انهزم في ايسلي سنة 1844 . والحقيقة ان انهزام الجيش المغربي في ايسلي جاء متأخرا وكرد فعل للمساعدة التي قدم المغرب للجزائر ، حيث قامت فرنسا بحملة تأديبية للمغرب في اسلي ثم في طنجة والصويرة اللتين ضربتا بمدافع البحرية الفرنسية . والتاريخ يثبت ان المولى عبد الرحمن بعث في اول سنة للاحتلال جيشا من العبيد والودايا سار في ركاب ابن عمه علي بن سليمان الذي عقد له على اهل



تلمسان ، وكانوا قد جاءوا يقدمون البيعة ، كما بعث المغرب ، على اثر ايفاد الشريف ابي محمد عبد السلام البوعناني الى زعماء الجزائر ، جيشا آخر مع كميات هائلة من المال والعتاد . والتاريخ يثبت كذلك ان حملة الجيش الفرنسى على ايسلى كانت مباغته ، وكانت بعد ان تم استيلاءه على جميع بلاد الجزائر ، وبعد ان ضيق الخناق على الامير عبد القادر الذى لم يعد يستطيع التحرك الا متنقلا بين الصحراء وبنى يزناسن ووجدة والريف وما اليها من اقاليم المغرب الاقصى ، فأراد ان يحد من تحركه فلم يجد غير ضرب المغرب الذى يتيح له هذا التحرك .

2 — فى ص 177 قال انه « لا يمكن ان نفعل عن بذور للشعر الوطنى ، طلعت فى الاندلس ، اثر انهيار الفردوس المفقود وهجوم النصارى ، اذ تساقطت امارات الطوائف وهلك من هلك من المسلمين ، وفر منهم الى المغرب وغير المغرب » ولى هنا اعتراض :

**الاول :** ان تساقط امارات الطوائف لم يتم مع انهيار الاندلس ولم يكن سببا من اسباب هذا الانهيار ولا مظهرا له — كما يفهم من عبارة الكاتب — لان الوجود العربى الاسلامى قد تجدد فى الاندلس وتقوى بعد زوال امارات الطوائف على يد المرابطين الذين اطلوا عمر هذا الوجود بحوالى اربعة قرون .

**الثاني :** ان هذا الشعر الذى صدر عن الاندلسيين هو الى شعر النكبة والرثاء اقرب منه الى الشعر الوطنى لطغيان روح التحسر والانهازم والاستسلام عليه .

3 — قصيدة محمد الجزولى ( ص 205 ) ليست من الموشح ، كما اورد صاحب اليمن الوافر الذى نقل عنه السيد السولامى بل هي من المربع ، وتسير فى كتابتها على هذا النمط :

اهلا بمولد الكريم المنتظر      اهلا بشمس الكون اهلا بالقمر  
اهلا بعصر نجمك فيه قد ظهر      اهلا بليل عنك فجره قد سفر  
اهلا بمولد الذى منه ابتدا      تاريخ ارشاد العوالم للهدى  
من بعد ماقاد الضلال الى الردى      اما نشا التدجيل فيها وانتشر

بعد هذا ، وبعد الإشارة الى ان في البحث اخطاء لغوية ونحوية واخرى في كتابه الشعر لا شك انها مطبعية ، انظر في الدليل والملاحق فتبدو لى عليه ملاحظات هذه أهمها :

1 — ارى ضرورة ادماج دليل الشعراء في الملاحق ، اذ هو ليس في صميم تخطيط البحث وبذلك تصبح الملاحق قسمين :  
أحدهما خاص بدليل الشعراء  
والثاني بالنماذج الشعرية

2 — من الاخطاء الواردة في الملاحق ما وقع فيه الزميل ابراهيم من خلط بين الاخوين محمد العربي الناصري ومحمد ( فتحا ) الناصري حين ترجم لهذا الاخير ( ص 262 ) فنسب له تأليف صغيرة في تأسيس وزارة العدل وفي تاريخ الفقه الاسلامي ومذهب مالك . وهي ليست له بل لاختيه محمد العربي المتوفي سنة 1362 ( 1943 م ) .

3 — وفي آخر المطاف الفت انتباه الصديق السولامي الى انه في الدليل الخاص بالشعراء ، وعند ذكر المؤلفات ، لا يشير دائما ان كانت مطبوعة او مخطوطة او ضائعة . وكان ضروريا ان يفعل حتى يحتفظ للدليل بأهميته فيفيد منه الدارسون .

وبعد ، فهذه ملاحظات لم اقصد من ابدائها غير تكميل بعض جوانب النقص التي بدت لي في بحث الاستاذ الاخ السولامي والتي لا يخلو منها اي عمل مهما كان ، لا سيما اذا كان يدور في موضوعات مغربية ، وهي موضوعات لا يدرك صعوبة تناولها الا من جرب وكابد . ولعل في هذا ما يشفع للصديق ابراهيم مروره على كثير من القضايا دون تعميق البحث والتحليل . ثم انه لا ينبغي ان ننسى وضع هذه الدراسة في اطارها الحقيقي حتى لا نبالغ في النظر السلبي اليها ، فقد قدمها صاحبها للحصول على دكتوراة الحلقة الثالثة ، وهي مجرد مرحلة للوصول الى انجاز دكتوراه الدولة . وربما كان على الزميل السولامي ان يشير الى ذلك حين ذكر في واجهة كتابه انه « رسالة دكتوراه » ، ولو فعل لانصف نفسه ولاسكت كثيرا من الذين نصبوا أنفسهم للهدم والتعطيم .

عباس الجراري

الرباط

# من أدب الدعوة الإسلامية

من أدب الدعوة الإسلامية لمؤلفه : الدكتور  
عباس الجراري 23 x سم - 123 صفحة  
مطبعة دار الثقافة الدار البيضاء 1974

يضم هذا الكتاب محاضرات القيت على طلاب السنة الأولى بقسم  
الآداب العربية في كلية الآداب المفربية خلال العام الدراسي 66 - 67  
وفق المنهج المقرر للآداب الإسلامي .

ومقدمة الكتاب دراسة تمهيدية تعتمد السرد التاريخي لآحوال أهل  
الجزيرة العربية قبل الإسلام وبعده ، وتحلل ظروف الدعوة الإسلامية  
وشخصية صاحب الدعوة عليه السلام ، وتحدد بعض الجوانب النفسية  
والبيئية ، التي ساعدته صلى الله عليه وسلم على النجاح ، وتعرض إلى  
المبادئ التي تركز عليها تلك الدعوة .

وعند الحديث عن وضعية الشعر فى هذا العصر ، وعن موقف الاسلام منه ، ذكر المؤلف ان الرسول صلى الله عليه وسلم ذم شعر الكذب واللهو والمجون والمفاخرة العصبية ، وكرم وشجع الشعر كسلاح لنشر الدعوة ، ثم ابرز تطور بعض الفاظ الشعر ومعانيه ، دون اي تأثير عميق على الصورة القديمة للشعر العربى .

وظهور شعراء وشواعر فى المعسكرين الاسلامى والجاهلى ، اسلمه الى مقارنة بين الصور القديمة والجديدة ، محطلا الاهداف الجديدة للشعر الاسلامى مستدلا بنصوص من شعر حسان بن ثابت وكعب بن زهير رضى الله عنهما .

ثم عقد فصلا خاصا بشعر الفتوح الاسلامية وصنف شعراءه الى اصناف ثلاثة :

— القدماء ويمتاز شعرهم بطول النفس ، والفخر بجماعة المسلمين ، كشعر عمرو بن معدى كرب الزبيدي ، وابى محجن الثقفى ، وابى ذؤيب الهذلى واضرابهم .

— شعراء مغمورون اشتهروا فى الفتوح فكان ذلك مناسبة للتعريف بهم وبياناتهم كالقنقاع بن عمرو ، والاعور العبدى وضرار بن الخطاب وغيرهم .

— شعراء لم يكن لهم حظ فى الشعر قبل الاسلام واغلبهم من رجال الجيش من الذين فاضت قرائهم ، وتحركت مشاعرهم لمواقف الحرب المهولة ، كبشر الثعلبى ، وبشر بن ربيعة ، وجندب بن عمار ، وفيهم القواد والامراء كالمثنى بن حارثة وطليحة بن خويلد ، والاحنف بن قيس ، واضرابهم .

ولشعر الفتوح فى راي المؤلف خصائص :

**شكلية :** وتتجلى فى شيوع بحر الرجز ، والمقطوعات القصيرة بدل الطويلة ، ووحدة الموضوع - وهو الفتح - مع عزوف عن المقدمات التقليدية .

**موضوعية :** تتجلى فى أن الشعر ( بطولي يمجّد الشجاعة ويصور المعارك وأحيانا يكون سبيلا الى الفخر بنفس الشاعر أو حبيبته أو قائده أو قبيلته ، أما بتصويره قوة الاعداء ومدى صموده لهذه القوة ) أو باستخلاص حكمة من ممارسة الحروب وطول المعاناة . وتتجلى الخصائص الموضوعية فى ثلاث :

— الروح الاسلامية التي تتجلى فى ( فكرة الجهاد فى سبيل الله والاستشهاد رغبة فى ثواب الله وفى الجنة التي وعد بها المجاهدون) وفى الايمان بأن نعيم الدنيا زائل . ويبدو هذا واضحا فى شعر الرثاء ، ثم يستعرض المؤلف بعض النصوص ، محطلا ما جد من الافكار والاستعمالات فى مرثي الفتوح .

— ظهور بعض المعاني الانسانية المبرزة للصراع بين الواجب والعاطفة.

— حنين الشاعر الى اهله وقبيلته وتضايقه من الغربة . وفى فصل قصير يتحدث المؤلف عن النشر بين الجاهلية والاسلام مشيرا الى فقدان النصوص فى العصر الجاهلي ، لكون النشر اصعب فى الحفظ والرواية ، ولكون الكتابة لم تكن منتشرة . ويعدد أنواع النشر الجاهلي من قصص ، وأمثال ، وحكم ، ووصايا ، وسجع كهان ، ورسائل وعهود ، وخطابة . متعرضا لآراء الباحثين فيها من المحدثين كالمرحوم طه حسين والاستاذ شوقي ضيف .

ثم يذكر أن المسلمين وجدوا فى النشر متنفسا فازدهرت بعض الوانه ، واضمحل سجع الكهان أمام سحر بيان القرآن الكريم ، وقوة حديث رسول الله ، كما ازدهرت الخطابة . وكيف لا وهي الاداة الفعالة لنشر الدعوة .



وعن فن الترسل ذكر المؤلف انه يعتمد التقسيم الزمني لانيـسـ المقدسي . الـ ذاهب الى ما ذهب اليه المستشرق الالمانى سبيربر SPERBER

— فترة الهجرة الى غزوة الخندق فى السنة الخامسة ورسائل هذه الفترة سياسية تتسم بالايجاز .

— فترة ما بين السنة الخامسة وفتح مكة فى السنة الثامنة ، فغزوة تبوك ، ورسائلها تدعو القبائل الى اعتناق الاسلام .

— ما بعد تلك الفترة . وأهم ما تمتاز به الرسائل فى الفترتين الاخيرتين ، الايجاز والبساطة ، والخلو من التكلف والصنعة . ثم ختم الكتاب بدارسة تحليلية للنثر الفنى فى القرآن معززة بأراء البحاـث المحدثين من هرب ومستشرقين .

وفى الفصل الاخير عمد الى الحديث عن فن الخطابة فى الجاهلية والاسلام مثبتا المميزات والخصائص لكل من العصرين .

ومجمل القول فان ادب الدعوة الاسلامية كتاب يمتاز بالدقة والتركيز والشمول ويشيز كثيرا من التساؤلات التي يمكن أن تكون موضوعا لدراسات مستفيضة .

وقد اتبع مؤلفه طريقة قوامها المنهجية والتسلسل فى العرض والتحليل . والرجوع اليه يفيد الدارسين وهم على درب ثقافتهم الادبية . ويظهر أن الكتاب بداية لسلسلة من الكتب التي تستقطب محاضرات الدكتور عباس الجراري وقد طبعت أخيرا محاضراته فى الشعر السياسي ولا اخالها الا جيدة مفيدة .

**حبيبة البورقادية**

**الرباط**

## الحياة الفكرية على عهد الدولة المرينية

للدكتور محمد ابن شقرون 650 ص . 23 x 15 سم  
مطبعة جامعة محمد الخامس . فاس . رمضان 1394  
أكتوبر 1974 ، باللغة الفرنسية .

الكتاب عبارة عن أطروحة تقدم بها المؤلف لجامعة السربون بفرنسا،  
فأحرز بها على دكتوراة الدولة بدرجة الشرف العليا . ويسرنا أن نقدم  
لقراء « المناهل » عرضا موجزا عن هذه الدراسة الجامعية لأخذ فكرة  
عامة عنها . على أن ننشر في فرصة مقبلة بحول الله ، عرضا مفصلا  
وتحليليا ، اتما للفادة وتعميما لها .

تستغرق الفترة التاريخية التي اهتم المؤلف بإبراز جوانبها الثقافية  
والفكرية ما يقرب من أربعة قرون ( من السابع الهجري الى العاشر هـ )  
وهي حقبة طويلة تميزت بتطورات كثيرة ومتنوعة ، وعرفت تقلبات  
خطيرة من الناحية السياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، كان لها اثر

كبير فى حياة المغرب الفكرية ، التي انطبعت منذ ذلك العهد بطابع لا تخفى معالمه على كثير ممن درسوا تاريخ هذه البلاد ، وربطوا ماضيها بحاضرها . فالمغرب فى عهد بني مرين وبني وطاس ، كان كما هو معلوم على صلة كبيرة بالاندلس والجزائر وتونس ، كما كانت له علاقات مع افريقيا السوداء ، واسبانيا المسيحية ، فى هذا الاطار الواسع والمتنوع والمتقلب والمتناقض فى آن واحد ، عملت الدولة المرينية والوطاسية ، وبذلت من الجهود ما هو معروف فى تاريخها .

على ان المؤلف ، وهو مؤرخ الحركة الثقافية ، لم ينسق وراء هذه التيارات لعرضها وتحليلها ، فاكفى طبقا للحدود التي رسمها لبحثه ، باقتناء وابرار اهم الاحداث التي كان لها اثر مباشر فى تطوير الحركة الفكرية ، فى ازدهارها او فى ضعفها ، فربط الاسباب بالمسببات وعلل الظواهر الثقافية بارجاعها الى مصادرها الاصلية ، وفسرها فى كثير من الاحيان تفسيراً اجتماعياً ونفسياً .

استهل المؤلف بحثه بمقدمة طويلة ، قام فيها بدراسة تحليلية ونقدية لاهم المصادر التي اعتمدها ( مخطوطة او مطبوعة فى المغرب وخارج المغرب ) ، فأعطى فكرة كافية عن المنهج الذي اتبعه والمشاكل التي اعترضت سبيله ، والوسائل التي اتخذها كحل لهذه المشاكل ، وبذلك مهد الطريق لمن يريد المزيد من الاطلاع او التوسع فى مواضيع معينة مستقلة . ففي هذا الفصل يجد القارئ اشارات وتلميحات وتعليقات ، بالاضافة الى التحليل والنقد اللذين تتسم به هذه الدراسة المخصصة للمصادر .

بعد هذا المدخل ، ينتقل المؤلف الى باب يعد من ابواب الكتاب الرئيسية ، فيه تحليل للعوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية والبشرية والتربوية الخ . . . التي كانت وراء الحركة الفكرية المغربية فى هذا العصر ، والتي تضافرت وتكاملت او تناقضت فى بعض الاحيان ، لانشاء تيار فكري وثقافي من نوع خاص ، فتصدى لهذه العوامل بالدرس فابرز كل عامل على حدة من اطاره ، ليظهره على حقيقته وبقوته وبتأثيره .

فالظاهرة الاجتماعية قد تكون مبسطة ، وقد تكون مركزة ومعقدة ، تتضمن عناصر سلبية وأخرى ايجابية ، تكون مصادر خير وشر في نفس الوقت ، قد تضر بالسياسة ، مثلا من جانب معين ، كما قد تكون دافعة بالنسبة لجوانب أخرى تعليمية أو تربوية أو اجتماعية ، قد تستفيد الثقافة أو غيرها من ظروف تعتبر شاذة ، والعكس بالعكس .

المهم ان المؤلف حرص في هذا الباب على ان يقدم لقرائه الجوانب الظاهرة والخفية ، البسيطة والمعقدة ، التي ساعدت على تنشيط الحركة العلمية والتربوية والثقافية بوجه عام . وهكذا على سبيل المثال بدأ بابرار أهمية بني مرين كعنصر سياسي ثم كعنصر ثقافي ، فدرس سلوكهم من هذه النواحي ، ليستخلص منها الآثار التي عادت على الثقافة المغربية بفوائد كثيرة ، كتجيبس الكتب ، وانشاء المدارس ، وتنظيم الدروس والندوات والمحاضرات ، والعناية بكراسي الاساتذة ، واستقدام العلماء من دول المشرق والمغرب ، وتنظيمهم داخل البلاط الرسمي والبلاط المتنقل ، واقامة علاقة دبلوماسية مع دول مختلفة الخ .

اهتم المؤلف بهذه العناصر وغيرها ، فجمع المعروف منها وغير المعروف ، فناقش وحلل ، وأتى بحجج مستمدة من وثائق نادرة في حاجة الى النشر والتحقيق .

اما الباب الرئيسي ، الذي يشكل حجر الزاوية من الكتاب فهو الفصل الذي خصصه المؤلف لدراسة عدد كبير من الشخصيات الثقافية المغربية التي عاشت في عصر بني مرين وبني وطاس ، حيث نجد فيه اثر تلك الشخصيات مبنية ومرتبة ترتيبا خاصا ، حاول المؤلف استقصاء الدراسات التي انجزت حول هذه الشخصيات الثقافية ، فقدمها وناقشها قبل ان يدلي برأيه فيها حسب المعلومات الجديدة التي توفرت لديه عنها ، كما حاول استقصاء مؤلفاتها المخطوطة والمطبوعة والمفقودة ، فقدم عرضا عنها ، بين فيه قيمتها ملخصا محلا مقارنا مناقشا مبينا بالارقام والصور والدرس أهمية كل كتاب ، استحق في نظره الوصف والتحليل والنشر ،

نظرا لقيمته او ندرته او ضياعه ، فجمع من ذلك ثروة جديرة بالتعريف والتحقيق .

اما المهنج الذي سلكه الدكتور محمد ابن شقرون في هذه الدراسة الخاصة بأدياننا وعلمائنا وشعرائنا في عصر بني مرين وبني وطاس ، فهو منهج تطوري تدريجي يبتدىء بابتداء الدولة المرينية ، وينتهي بانتها الدولة الوطاسية . والسبب في ذلك راجع الى الرغبة في اعطاء فكره تدريجية عن التطور الثقافي المغربي في هذا العصر . والدارس لهذه الظاهرة يستطيع التدرج بدون مفاجأة او خلط او تفصيل مشوه للبحث . نجد في هذا الباب الطويل على سبيل المثال : ابن المناصف ، وابن اصبح ، وابو الحسن الصغير ، والقباب ، والشطبيبي ، والمهبطي ، والتجيني ، وابن الاحمر ، وابن رشيد السبتي ، وابن السكاك ، والخراف ، وابن جري ، وابن داود السلوي ، وابن الرفاء ، وابن الزهراء ، وابو مفرع ، والفار ، وابن المرحل ، وابن ميمون ، والكراسي ، وابن الزيات ، والاصمعي ، وابن رضوان ، وابن الحكيم ، وابن طلحة الرجراجي ، وابن عاشر ، وابن خلدون ، وابن الخطيب ، وزروق ، وابن غازي ، وابن البناء ، والونشريسي ، والفزواني ، واليصلوتي ، وابن عسكر ، وابن الدراج ، والسجلماسي ، والمجاصي ، وغيرهم . هذه أسماء وردت في الكتاب ، بدون ترتيب ، لأعطاء فكرة وجيزة عن أهميتها ، وللإشارة الى الانتاج العلمي والادبي والفني الذي تركته الشخصيات المدروسة .

ثم بعد هذا ، ننتقل الى باب آخر ، يعتبر تنويجا للبحث ، ونتيجة للتحليل الذي قام به المؤلف منذ البداية ، وهو خاص بالميزات العامة التي طبعت الحياة العقلية المغربية في هذه الحقبة الطويلة في تاريخها . فالى جانب العلاقات الثقافية بين المغرب والدول الاخرى ، التي كانت ترتبط به في ميادين مختلفة ، نجد العلوم ، والفنون ، من فقه ، وادب ، ونثر ، وشعر ، وتصوف ، وتاريخ ، ولغة ، ونحو ، وفلاحة ، وفلك ، ورحلة ، وترجمة ، وفهرسة ، وفلسفة ، وتربية الخ .. استقل كل منها بدراسة خاصة ، تستهدف ابراز المظاهر وبيان التطور ، وتعليل الازدهار او الفتور ، كما تتعرض للآثار الناتجة عن هذا التطور ، بالنسبة لعصور اخرى أتت من بعد .



# الدرع للثقافة

## شكر وتقدير

يطيب لهيئة تحرير « المناهل » ويسعدنا ، ان توجه عميق شكرها لكافة الشخصيات التي اعربت لها عن عواطفها الحارة المشفوعة بتقديرها وارتياحها لصدور هذه المجلة ، منوهة باخراجها ، ومضمون محتوياتها .

فمن مختلف المنظمات الثقافية ، ومن عديد حملة الاقلام داخل المغرب وخارجه ، سعت الينا رسائل اطراء بهذا العمل الثقافي الذي اضطلعت به وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية في عهدنا الجديد ، آملة لها الانتشار ، والمصير الطيب الزاخر ، وبعد الصدى .

وهذا الترحاب الذي لقيه العدد الاول من « المناهل » ، من جانب جمهرة القراء ، والصحافة الوطنية ، واجهزة الاعلام المغربية ، من شأنه

ان يطوقنا بمسؤولية ادبية ، تدعونا بالحاح الى مضاعفة الجهد ، حتى نكون فى مستوى تلك المشاعر الطيبة النبيلة .

وبصدور هذا العدد ، اكتشفنا ان ميداننا الثقافي ، كان فى امر الحاجة الى تعزيزه بمجلة ، باستطاعتها ان تستقطب رجال الفكر حولها ، وتدفع بهم الى مواصلة العمل الفكري بثبات ، ونبيل طموح ، وشهامة هدف ورسالة ، وتعبر فى نفس الوقت ، عن الراي الفكري فى بلادنا ، باجلى مظاهره . ونستطيع ان نسجل باعتزاز ، من خلال صدور « المناهل » ان ميداننا الفكري بخير ، لا يعوزه - فى نظرنا - الا تشجيع كفاياته ، واستنهاضها .

وكدليل على ما المعنا اليه ، نذكر ان ملف « المناهل » ، ضاق بالعديد الوافر من الانتاجات الجادة المرموقة ، التي توصلنا بها من صفوة كتابنا وشعرائنا ، وحتى من اولئك الذين احجموا عن العطاء مدة غير يسيرة ، كما اننا لم نستطع تلبية جميع الطلبات التي انهالت علينا من مختلف المكتبات المغربية ، وكلها ترغب فى المزيد من نسخ « المناهل » بعد مدة وجيزة من صدورها ، مما دفعنا الى مضاعفة طبعة هذا العدد .

ونحن اذ نعتر بهذا الترحاب ، ونقدر تلك العواطف الكريمة ، نوكد للجميع - كتابا وقراء - اننا سنعمل على مواصلة الجهد والبذل فى سبيل هذه الرسالة الثقافية ، والدفع بها الى الاحسن والامثل بحول الله ، بمساعدة كتابها . والله الموفق .

## المغرب يحتفل بالذكرى الالفية لولادة الشاعر القرطبي أبو الوليد ابن زيد ون 394-1394

قررت وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية ، تنظيم مهرجان ادبي كبير ، فى عاصمة المملكة المغربية ، خلال هذه السنة - تخليدا

للذكرى الالفية لولادة هذا الشاعر العظيم - ستشارك فيه نخبة ممتازة من الباحثين المهتمين بالدراسات الاندلسية من جميع البلدان العربية ، بمعية عدد من المستشرقين المختصين فى هذا الموضوع ، كما ستشارك فيه صفوة من الشعراء والصحفيين العرب الذين يمثلون الوطن العربي .

وفى هذا الموضوع ، وجه السيد وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية ، الاديب الكبير المبدع ، الاستاذ السيد الحاج محمد ابا حنيني ، رسالتين : الاولى لاعلام الباحثين والدارسين العرب ، والمستشرقين ، والثانية خاصة بصفوة من بحاثنا المغاربة المختصين فى الدراسات الاندلسية ، يدعوهم فيها للمشاركة فى هذا الاحتفال .

ولطرافة الرسالتين ، وروعتهما الادبية الشعرية ، واستيعابهما لعناصر هذا الحدث الادبي ، ابداعا ، واشراقا ، وندرة ترسل ، احببنا نشرهما فيما يلي :

## الرسالة الأولى

ينصرم بانصرام السنة الحالية ، الف عام على ازدياد الشعاع القرطبي الكبير ابي الوليد احمد ابن زيدون . وسيادتكم من اوسع الناس علما بان هذا الشاعر يتبوا من ادبنا العربي مكانا لامعا مشرقا ، ويتسنىم بشعر اوحته العواطف الانسانية التي لا تخلق ولا تبلى ، وان تطاول عليها الاملد ، وينثر باق ما بقي للآداب العربية اثر ماثور ، نروة البيان وقمة المجد ، بين من اسلست لهم الكلمة الحافلة الرائعة قيادها ، وادرت لهم اخلاف الفكر والاحساس اساكيبها وعهادها .

وقد رأت وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية ، ان تعير هذا الحدث ما هو خليق به من اهتمام ، وتحفل بهذه الذكرى فى عاصمة

المملكة المغربية ، التي تصلها بالفردوس المفقود صلات قرب وقرابة وثيقة ، وتوشج بينها وبين تلك المغاني - التي تألفت في عرصات ، حضارة طبعها سلطان المسلمين بأرض الاندلس بطابع التفرد والامتياز - اواصر اخذ وعطاء محكمة ، وروابط تداخل وامتزاج محصنة متينة .

وان من ادعى الاسباب الى المسرة والابتهاج ، ان تلاقى في صعيد واحد الارادات والرغائب العربية في مشارق بلاد العروبة ومغاربها ، وتآزرت جهود ابنائها المتصلة ، باحثه منقبة ، ودارسة محققة ناشرة ، وساعية دائبة حريصة على استجلاء ما اجنه الحدثان من ملامح تلك الحضارة ، وتقاسيم حياها الوسيم .

فوافى الحظ مسعفا بالكثير من الدراسات الادبية التي توخت التعريف ، وقصدت الى التنويه بما كان لبنة الحضارة الاندلسية من فضل ، وما كان لمثقفها - علمائها وكتابها وشعرائها من باع طويل ، وقدر جليل .

بيد ان العرب ، لم يختصوا بمزية هذا العمل الرامي الى الكشف والوصف ، وابرار المعالم والقاء الاضواء على ما اختبا وانطوى ، ولم ينفردوا بتقريب الشقة وتيسير طرق المعرفة ، فقد سبقهم الى التصنيف او واكبهم في الاشادة والتعريف ، طائفة من المستشرقين آثروا العلم بالاخلاص ، والحقيقة بالولاء والتفضيل . وما اكثر ما استعانت الدراسة العربية على اختلاف ما اتجهت نحوه من قصد ، بما فتحه هؤلاء المستشرقون من ابواب ، واشرعوه من آفاق .

ومن اجل هذا كله ، يجيش في نفسي الامل ان يشترك - في الاحتفال بذكرى تجرم الف عام على ازدياد شاعر الاندلس الاخاذ - اعلام الباحثين والدارسين من مختلف الاقطار العربية ، والمستشرقون الذين وقفوا ردحا من حياتهم ، وحظا جزيلا من عنايتهم ، سعيا وراء رفع جانب من الاستار والسجوف المنسدلة على ذخائر من الفكر واعلاق من الشعور .

وقد عرفتكم دارسا باحثا نقابا ، واتصلت بما خرجتم به على الناس  
من مصنفات ومؤلفات ، كشفت النقاب عن سر مكنون ، من أسرار التراث  
الاندلسي ، وأسدت الى الحضارة الاسلامية اليد والصنيع ، فاستقر في  
نفسي اليقين ، بانكم سترحبون بالتماس المشاركة والاسهام ، وتسارعون  
الى تلبية هذا النداء ، الذي اوجهه اليكم مطمئنا الى مصيره ، مستريحا  
الى الماثور عنكم من كلف وولوع بتكريم الاعلام النبهاء ، وتخيل مجد  
العباقر من الكتاب والشعراء .

مد الله في توفيقكم ، ولا حرمتنا من طلعتكم وابداعكم .

## الرسالة الثانية

كتب الله لشاعر الاندلس العظيم ، ابي الوليد احمد ابن زيدون ، ان  
يسائر عصورا مديدة تلاحقت عقودها ، ويعايش اجيالا عديدة تداركت  
عهودها ، ويظل ادبه وقد جاب المسالك والممالك ، وجاس خلال الامصار  
والاقطار ، مدى أحقاب وأحقاب ، طري العود ، بغض الشباب ، بهي  
الطلعة ، وسيما قسيما ثريا زكيا ، وان تباعدت فصول التاريخ وتباينت  
اصناف الناس ، وتفارقت الميول والاهواء ، وتطارحت الملكات والاذواق .

عبر علم قرطبة وأديبها الفذ الذي ملا بشعره ونثره الاكوان ، وعمر  
الازمان ، كل هاتيك الاحقاب فوافانا منذ ايام على ميعاد الف عام ، حفل  
مسرى الشاعر في اثنائها من الهائمين بادبه ببلغ الاهتمام ، وجليل  
الاقبال ، ووثيق الاتصال ، وكريم العشرة والمصاحبة ، وجميل السود  
والاكبار ومكين الصبابة ، التي يستهويها سبىر الاغوار ، ويفريها  
الاستشفاف بالمجهول ، من الاخبار والدخائل والاسرار .

فرحبت وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية ، بهذه الوفادة خير  
ترحيب ، ورات ان تقابل الركب الميمون ، والمقدم السعيد ، بما يليق  
بعظمة الوافد ، من سنى التكريم ، وفاخر التمجيد .



وهكذا ، عقدت النية على تخليد الذكرى الالفية لازدياد ذي  
الوزارتين ، الشاعر المدنف العميد ، فى عاصمة المملكة المغربية ، حيث  
يتأرجح عبير الفردوس المفقود ، وتتألق معالم حضارة ، ترافد المغرب  
والاندلس على ابداعها ، وتأزرا بغية ازهارها واشعاعها ، فخاطبت طائفة  
من العلماء والباحثين المشاركة والمستشرقين ، واهابت بهم أن يشاركوا  
فى الاحتفال ، ويسهموا بمناسبة حلول الذكرى ، وتخليد المغرب لجلالها  
وجمالها ، بما افاء الله عليهم من علم ، وأمدهم به من بيان ، واضفاه على  
عقولهم من حصافة ، ويسر لبصائرهم من اسباب النفاذ الى المستطرف  
من اطوار حياة الشاعر العبقرى .

وما كان لادباء المغرب وعلمائه ، وباحثيه أن يتخلفوا عن اخوانهم  
المشاركة ، وعن الاجانب من المستشرقين ، ويتركوا لهؤلاء وحدهم مجال  
الدرس والتنقيب ، والاستكشاف والاستجلاء ، وهم لهم نظراء واكفاء ،  
وللشاعر القرطبي الكبير انسباء واقرباء .

ولذا ، فان الامل الواسع معقود بعلمكم ، ومنوط بما أوتيتهم من  
موهبة البحث الدقيق ، ومزية الدرس العميق .

ولي ثابت اليقين ومكينه ، بأنكم ستهبون للمشاركة فى الاحتفال  
بالذكرى الالفية ، لشاعر الانفة والشمم ، واللوعة والالام ، والرصف  
والوصف ، بما يؤمن لكتاب المغرب ومفكره ، الصيت الدائع ، والذكر  
الجميل ، ويدر عليهم فى محفل هذا اللقاء ، وفى غيره من المحافل ، بالغ  
التقدير ، وصادق الاعجاب .

مد الله فى توفيقكم ، وعصب النجاح بجهودكم ، وابقاكم علما من  
اعلام التصنيف والتثقيف .

## بلاغات في الموضوع

وقد أصدرت وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية ، بلاغات وإعلانات في هذا الموضوع ، نثبت أهمها :

يسر وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية ، أن تزف إلى الجمهور المغربي الكريم أنه من ضمن المشاريع التي تعتزم الوزارة تحقيقها في بحر السنة المقبلة إقامة مهرجان للشاعر الأندلسي الذائع الصيت ابن زيدون القرطبي المولود سنة 394 هـ .

وسيشترك في المهرجان جمهرة من المختصين في الدراسات الأندلسية من عرب ومستشرقين .

والمهرجان مناسبة لكشف جوانب حية من حياة الشاعر ، خصوصا الجوانب النفسية غير المدروسة في أدبه .

فانتاج ابن زيدون ، يتوفر على جوانب إنسانية خالدة ، أثرت الأدب العربي ، وشهد له فيها القدماء والمحدثون بالجدّة والطراوة .

فقد جمع الشاعر المذكور ، بين أمارّة السيف والقلم ، وكان في مقدّمة الشعراء بما حفظ من فنون اللغة ، وما وعى من أخبار الأدباء والشعراء ، وأمثال العرب وحوادثها ، ومسائل اللغة والعلم .

ولابن زيدون صلة بالمغرب ، فقد كان له ابن يكنى أبا بكر تقلد الوزارة بعد أبيه أيام المعتمد بن عباد ، وتولى سفارة الاستنجاد ، بيوسف ابن تاشفين حينما تهر ( الأذفونش ) الأسباني لملوك الطوائف وخاصة بني عباد .

وسيكون المهرجان فرصة للاشادة بابن زيدون ، من طرف الشعراء  
المغاربة وغيرهم من خيرة شعراء الوطن العربي .

## بلاغ عن اللجنة الوطنية للاحتفال بابن زيدون

فى نطاق الاعداد لمهرجان ابن زيدون اجتمعت اللجنة الوطنية  
الموسعة بمقر الوزارة تحت رئاسة السيد وزير الدولة المكلف بالشؤون  
الثقافية .

وقد تدارست اللجنة جميع التدابير المزمع اتخاذها ، والتي من  
شأنها ان تضفي على المهرجان ما تتطلبه شخصية أدبية ظلت ملء السمع  
والبصر ، وشهد لها القدياء والمحدثون بالاصالة والتجديد ، واثرت  
الآداب الانسانية على مر الزمن .

ومن جملة القرارات المصادق عليها من طرف اللجنة المذكورة :

- تحديد قائمة للشخصيات التي ستستدعى لحضور المهرجان من  
عرب ومبتشرقين مختصين .
- اصدار طابع بريدي للشاعر .
- اصدار عدد من مجلة « المناهل » خاص بالمهرجان .
- تنظيم معرض لآثار ابن زيدون وللدراسات والابحاث المؤلفة فيه .
- رصد جوائز للفائزين فى المباريات .
- عرض مسرحي « من انتاج مغربي » عن حياة ابن زيدون .
- تكوين لجنة لمباشرة تحقيق جديد لديوانه .

## إعلان عن مباراة

فى نطاق الاستعداد لآحفاء الذكرى الالفية للشاعر ابن زبـنـون ،  
وتبعاً لما سبق أن أعلنت عنه وزارة الثقافة ، يهيب السيد وزير الدولة  
المكلف بالشؤون الثقافية للفنانين التشكيليين ، مغاربة وغيرهم من أبناء  
الوطن العربى ، أن يتخللوا صوراً تعبر عن شخصية الشاعر ابن زبـنـون  
وولادة بنت المستكفي ، وملامحهما أو تترجم جانباً لحياتهما النفسية  
والعاطفية ، بعد دراسة عميقة لآياة الشاعرين وأوصافهما من خلال الكتب  
والمرويات .

وقد رصدت الوزارة لذلك ثلاث جوائز قيمة ، قدر كل واحدة منها  
خمسة آلاف درهم ، فعلى الراغبين فى المساهمة الالتزام بما يلى :

— أن لا يكون طول اللوحة بالنسبة للرسمين بين خمسين الى خمسة  
وستين سنتيماً ( 50 الى 65 سم ) .

— أن لا يكون الإنتاج موقعاً ، رسماً كان أو نحتاً أو نقشاً .

— أن يرفق برسالة بها بيانات توضيحية عن الإنتاج ، ومذيلة باسم  
المنتج وعنوانه .

وآخر أجل للقبول ، نهاية مارس المقبل بحول الله . ويبعث الإنتاج  
أو يسلم الى مصلحة التنشيط الثقافى بوزارة الدولة المكلفة بالشؤون  
الثقافية : شارع غاندى . الرباط .

## معرض الكتاب العربى

امتدادا للمسيرة التاريخية التي تربط الامة العربية ، وتمتينا  
لاواصر القربى النابعة من التلاحم الروحي المتجلى فى كل مناسبة ،  
وتطلعا للآفاق المشرقة التي تصبو اليها الشعوب العربية ، نظمت وزارة  
الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية ، بتعاون مع سفارات الدول العربية  
الشقيقة معرضا للكتاب العربى ، بمناسبة انعقاد مؤتمر القمة العربى  
السابع فى عاصمة المملكة المغربية .

ضم المعرض حصيلة قيمة فى شتى مجالات المعرفة الانسانية التي  
نبغ فيها عباقرة عرب ، القدماء منهم والمحدثون .

وهكذا نظم هذا المعرض على شكل اروقة ، كل رواق خاص ببلاد  
عربية ، اشتمل على أحدث منتوجاتها الفكرية . قام بتدشينه السيد وزير  
الدولة المكلف بالشؤون الثقافية ، فى حفل ثقافى حافل ، حضره بعض  
سفراء الدول العربية ، الى جانب جمهرة من المؤلفين والمثقفين  
والصحفيين .

## نتيجة جائرة المغرب لسنة 1974

نص البلاغ الذي اصدرته وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية ،  
بعد انتهاء اعمال لجنة التحكيم لهذه الجائزة :

فى الساعة السادسة من مساء يوم الجمعة 28 ذي القعدة 1394  
الموافق 16 دجنبر 1974 ، استقبل السيد وزير الدولة المكلف بالشؤون



الثقافة بمكتبه اعضاء اللجنة العامة لجائزة المغرب لسنة 1974 المؤلفة من خمسة وعشرين عضوا من كبار الاساتذة المختصين الذين درسوا الكتب المرشحة لنيل الجائزة ، دراسة انعام واستيعاب ، في نطاق النصوص التشريعية الصادرة في هذا الصدد ، وبعد ان رحب السيد الوزير بهم ، ونوه بكفائاتهم ، وشكر تفضلهم بالاضطلاع بمهمة الفحص والتقويم ، اعرب عن يقينه بان جائزة المغرب باصنافها الثلاثة ستمنح - لا محالة - لمستحقها لما يتوفر لاعضاء اللجنة من مزايا المعرفة الواسعة ، والاضطلاع الكبير ، والتجرد ، والاخلاص .

وعقب هذا الاستقبال ، تفرعت لجنة التحكيم العامة الى ثلاث لجن :

( 1 ) لجنة العلوم الانسانية والاجتماعية .

( 2 ) لجنة العلوم والرياضيات .

( 3 ) لجنة الآداب والفنون .

واختلت كل لجنة من هذه اللجن في قاعة خاصة . وبعد مناقشات ومداولات دامت حتى منتصف الليل ، استقر الرأي على منح :

جائزة العلوم الانسانية والاجتماعية :

للسيد عبد الوهاب ابن منصور ، تقديرا لكتابه « الحسن الثاني - حياته ، وجهاده ، ومنجزاته » .

جائزة الآداب والفنون :

للسيد عبد الكريم غلاب ، تقديرا لروايته « المعلم علي » .

وعلى الاحتفاظ بجائزة الفيزياء ، والكيمياء ، والعلوم الرياضية .

وتأمل الوزارة ، ان يقدم اليها في العام المقبل ، انتاج في مستوى الجائزة ، ويسعدنا من جهة اخرى ، ان تشيد بالجو العلمي الرفيع الذي

ساد المداولات ، والمناقشات ، مجددة شكرها لافضاء اللجنة العامة  
المحترمين . والسلام .

## الأسبوع الثقافي المغربي بالاتحاد السوفياتي

نظمت وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية ، اسبوعا ثقافيا وطنيا  
بالاتحاد السوفياتي ، في الفترة ما بين 14 و 26 نونبر الماضي .

وقد تضمن هذا الاسبوع عدة حفلات ومهرجانات نذكر منها على  
الخصوص :

( 1 ) معروضات للمخطوطات القيمة والازياء الوطنية ونماذج من  
قطاع الصناعة التقليدية .

( 2 ) عرض ثلاثة أفلام وثائقية عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية  
في بلادنا .

( 3 ) احياء حفلات موسيقية في مدن : موسكو ، وبالطا ،  
وسنغريبول ، وسبستبول ، وكيف .

( 4 ) لقاء محاضرة عن تقدم الفن المسرحي في المغرب .

وكانت برامج الاسبوع ومتنوعاته الحافلة فرصة للتعرف على ما يزخر  
به ماضي المغرب وحاضره من تراث تليد ، وما تتميز به الحضارة في  
بلادنا من أصالة وعراقة ، استمدت عمقها من عبقرية الامة المغربية ،  
التي ساهمت عبر القرون والحقب في اغناء الفكر البشري وتطوير  
إنتاجه .

وقد القيت فى هذه المناسبة عروض ، وكلمات ، ومحاضرات ،  
وعقدت ندوات فى سبيل التعريف بمظاهر حياتنا الفكرية والحضارية  
والتاريخية ماضيا وحاضرا .

سجل هذا الاسبوع نجاحا منقطع النظير ، ونوهت به أجهزة الاعلام  
السوفيتية تنويها كبيرا ، وترك صدى طيبا فى نفوس جميع الذين  
عاشوه .

## الاسبوع الثقافي المغربي بالسينغال

كما نظمت وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية ، اسبوعا ثقافيا  
مغربيا آخر فى السينغال ، من 5 دجنبر 1974 الى 11 منه .

وقد هدفت الوزارة من تنظيم هذا المهرجان الثقافي ، الى اعطاء  
صورة عن بعض مظاهر الحضارة المغربية ، ومدى تطورهما فى بلادنا فى  
مختلف المجالات الثقافية ، والفنية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ،  
وسواها ، عن طريق المحاضرات ، والمعارض المختلفة ، والعروض  
السينمائية ، والفولكلورية ، والموسيقية .

كما تميز هذا الاسبوع بتقديم نماذج وصور عن مبانينا التاريخية ،  
وقطع من متاحفنا الاترية ، وصناعتنا التقليدية ، وبعض وثائقنا ،  
ومخطوطاتنا ، كلها تركت صدى ترحاب واستحسان فى نفوس  
السينغاليين .

افتتح هذا الاسبوع ، فخامة الرئيس السينغالي سنغور ، ومعالي  
وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية السيد الحاج امحمد ابا حيني .

وبالمناسبة ، وشح الرئيس السينغالي ، صدر وزيرنا فى الثقافة ،  
بالحمالة الوطنية الكبرى للأسد ، معبرا عن اغتباطه وسروره ، ذاكرًا  
بأنها منحت عن جدارة واستحقاق لـ « رجل الفكر والثقافة » ، مشيدا  
فى نفس الوقت بالعلاقات المتينة التى تربط المغرب بالسينغال ،  
والعلاقات الاخوية التى تجمع بينه ، وبين صاحب الجلالة الملك المعظم  
الحسن الثانى ، ومرحبا باقامة هذا المهرجان الحافل فى بلاده .

## اجتماع حول تخطيط العمل الثقافى

عقدت لجنة تخطيط العمل الثقافى وتنظيم اجهزته فى الوطن  
العربى اجتماعاتها ، بدعوة من المنظمة العربية للثقافة والعلوم فى مقر  
المنظمة بالقاهرة من 11 الى 14 نونبر 1974 ، وضمت اللجنة خبراء فى  
الثقافة من مختلف البلاد العربية ، كما ضمت وفودا من معظم الوزارات  
المعنية بالثقافة . وقد اوفدت وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية ،  
الاستاذة السيدة حبيبة البورقادية ، رئيسة قسم التنشيط الثقافى  
بالوزارة المذكورة ، لحضور هذا الاجتماع ، الذى تركزت اعماله فى كل  
ما له مساس بالثقافة داخل الوطن العربى وخارجه . واصدر عدة  
توصيات قيمة ، فى صالح الثقافة العربية .

## جائزة الحسن الثانى للوثائق والمخطوطات لسنة 1974

فى اطار التعريف بالتراث التاريخى والحضارى بالمغرب ، وجريا  
على العادة المألوفة التى سلكتها وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية ،  
فى تنظيم جائزة الحسن الثانى للمخطوطات والوثائق ، يسرها ان تعلن

للجمهور المغربي الكريم في هذه السنة عن الجائزة السابعة للمخطوطات والوثائق التي خصصت لها مكافآت مالية تتصاعد حسب أهمية المخطوط او الوثيقة التي توجد في الملكية الخاصة .

ومن المعلوم ان جل ما هو مخطوط يعتبر ذخيرة ، كان مكتوبا على الورق ، او الرق ، او الالواح ، ولهذا ، فان الجوائز ستخصص لما يلي :

اولا : للأهم من الكتب المخطوطة : مؤلفات ، وتقايد ، وكناشات علمية ، ومذكرات شخصية ، ومجموعات موسيقية ، وكل ما هو مخطوط ، ولو على ورقة او ورقات معدودة .

ثانيا : للوثائق ايا كان عصرها وموضوعها ، ظواهر ، ورسائل رسمية او شخصية ، ورسوم عدلية ، ومحاسبات ، واجازات علمية ، وشهادات الانساب وغير ذلك .

هذا ، وستشرف لجنة برئاسة معالي السيد وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية ، على فحص هذه المخطوطات وتقييمها ، واصدار بلاغات حول نتائج الجائزة .

وتؤكد الوزارة انها اتخذت كل الاحتياطات لضمان ارجاع المخطوطات الى اصحابها كاملة غير منقوصة ، بدون ابطاء ولا تاخير ، فور انتهاء المعرض واشغال اللجنة المختصة .

والجدير بالذكر ، ان قيمة المخطوط او الوثيقة ، انما تتجلى في مدى ما قد يستفيد منها تاريخ الامة وحضارتها ، وان ضياع وثيقة مهمة نتيجة آفة من الآفات ، تعد خسارة في ثروتها الفكرية . لهذه الاعتبارات كلها ، قررت وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية ، تصوير المخطوطات والوثائق النفيسة لتحفظ في المكتبة العامة بالرباط ، للاستفادة منها ، وخشية مما قد يعتريها من ضياع ، كما ان تصويرها لا يمكن ان يصيب المخطوط او الوثيقة باي ضرر ، ولا يفقد ايا منهما ما له من قيمة ، كمستند خطي .



ورغبة من الوزارة في الحصول على مخطوطات ووثائق جديدة ،  
تؤكد للسادة المساهمين في هذه الجائزة ، أن المخطوطات والوثائق التي  
سبق عرضها وتقديمها لن تقبل في المسابقة الحالية .

فعلى من يتوفر على شيء من هذه النخائر ، أن يتقدم بها من الآن  
وحتى عشرين فبراير 1975 الى المراكز المعلن عنها .

## جائزة للدراسات والأبحاث الخاصة بأقاليمنا الصحراوية والشمالية والجزر المحتلة من بلادنا

تعلن وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية ، أنها قررت احداث  
جائزة للدراسات والأبحاث الخاصة بأقاليمنا الصحراوية والشمالية  
والجزر المحتلة من بلادنا . والمطلوب منها أن تبرز شخصية هذه  
المناطق وأصالتها المغربية : تاريخيا ، سياسيا ، واجتماعيا ،  
واقتصاديا ، وسلاليا في الماضي والحاضر .

ووزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية ، اذ تعلن عن هذه  
الجائزة الوطنية ، تهيب بجميع المواطنين ، أن يتقدموا بهذه  
الدراسات والأبحاث الى المراكز المعلن عنها ، اسهاما منهم  
في هذا العمل القومي النبيل .

وسيقفل باب الترشيح في مساء يوم 28 فبراير الحالي

## معرض التطريز المغربي

لوالي وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية ، اقامة معارض  
موسمية ، ببهو الوزارة ، تهدف الى ابراز الآثار الفنية المغربية البديعة

التي تزخر بها بلادنا عبر التاريخ ، والتعريف بها عن طريق عرض نماذج منها . فبعد المعرضين اللذين اقامتهما عن « الخزف المغربي » و « الآلات الموسيقية المغربية » ، نظمت مؤخرا معرضا رائعا اخاذا ، عرضت فيه نماذج من التطريز المغربي قديما وحديثا .

## المؤتمر السابع للآثار بـ"أبوظبي"

اسهاما من وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية ، في المهرجانات الفكرية والعلمية العربية ، وجهت هذه الوزارة وفدا برئاسة الاستاذ عبد العزيز بن عبد الله ، وعضوية الدكتور عبد الهادي التازي ، ومصطفى اعشى ، والمهندس المعماري سعيد الفاسي ، والمهدي الديرو ، لحضور المؤتمر السابع للآثار العربية المنعقد بـ « (أبوظبي) » ما بين 7 و 16 دجنير 74 ، وقد درس المؤتمر مظاهر المعالم الاثرية في البلاد العربية شرقا وغربا ، والقى رؤساء الوفود عروضاً حول معطيات الفن العربي في كل قطر ، وتبودلت الآراء بين الوفود العربية ، والجهد الذي يبذله كل بلد عربي في هذا السبيل . وقد قام الوفد المغربي بنشاط ملموس للتعريف بمظاهر هذا الحقل الحيوي ، كما القى رئيس وفده ، محاضرة قيمة حول معطيات الفن الاسلامي في المغرب العربي من عهد المرابطين الى العصر الحاضر ، مع ابراز خواص الفنون المعمارية والاثرية بالنسبة لكل عصر .

## معرض فلسطين

رحبت وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية ، باقامة « معرض فلسطين » في عاصمة المملكة المغربية ، في النصف الثاني من شهر مارس

المقبل ، بناء على الاقتراح الذي تقدم به فى هذا الموضوع ، الامين العام للاتحاد العام للفنانين التشكيليين الى السيد وزير الدولة فى الثقافة .

سيضم هذا المعرض خمسين عملا فنيا لفنانين تشكيليين عرب ، تناول قضية فلسطين ، وسينقل بعد اقامته بالرباط ( باب الرواح ) ، الى كل من الجزائر ، وتونس .

## المهرجان العالمى الثانى للفنون الزنجية

سيعقد باللاغوس ، من 22 نونبر الى 20 دجنبر من هذه السنة ، المهرجان العالمى الثانى ، للفنون الزنجية .

وسيشترك فى هذا المهرجان ، اكثر من سبعين دولة من دول افريقيا ، وآسيا ، ويشتمل على برنامج حافل بالمعارض الفنية ، والتمثيلات ، والحفلات الموسيقية ، والفولكلورية ، والمحاضرات ، والندوات حول موضوع : « الحضارة الزنجية والتربية » .

وقد قررت وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية ، مشاركة المغرب فى هذا المهرجان العالمى ، بمختلف المشاهد ، والمظاهر الثقافية والفنية المغربية ، نتيجة للمحادثات التي اجراها فى هذا الصدد، السيد وزير الدولة النيجيري ، المكلف بالثقافة ، مع السيد وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية فى شهر شتنبر الماضى .

## معرض السنين للفنانين التشكيليين

تحت اشراف وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية ، يقيم الاتحاد العام للفنانين التشكيليين العرب ، الذي يضم فنانين من : المغرب ،

والجزائر ، وتونس ، وليبيا ، ومصر ، واليمن ، وفلسطين ، ولبنان ، وسوريا ، والكويت ، والعراق ، « معرض السنتين » فى شهر ابريل من سنة 1976 بالرباط . وقد سبق لهذا الاتحاد ، ان اقام معرضه الاول فى بغداد ، شاركت فيه كل تجمعاته .

تأسست هذه الجمعية فى اواخر عام 1971 فى دمشق ، برعاية السيد رئيس مجلس الوزراء السوري ، وعقد مؤتمره الاول فى بغداد فى شهر ابريل 1973 ، برعاية رئيس الجمهورية العراقي ، وقد أصدر الاتحاد مجلة تعنى بابرار نشاطه الفنى .

## ميخائيل نعيمه - و المناهل

بعد صدور العدد الاول من « المناهل » ، بعث السيد محمد الصباغ ، برسالة الى صديقه الكبير ميخائيل نعيمه ، يود فيها منه ، ان يشارك بانتاجه فى هذه المجلة ، فاعتذر « ناسك الشخروب » ، عن الاستجابة لهذه الرغبة ، لكونه لم يعد فى استطاعه ان يكتب ، بعد ان جاوز الخامسة والثمانين .

والملاحظ فى جواب نعيمه ، انه مكتوب بمشقة وعناء ، فتبين حروفه مهزوزة غير مستقيمة ولا منتظمة .

احببنا نشر صورة من فقرات هذه الرسالة ، لانها تؤرخ لمرحلة من حياة شيخ الادباء العرب الكبير - التي سخرها جادا ، صبورا ، مخلصا ، لقلمه بغير شريكة حياة ، ولا نعمة اولاد ، ولا قطع وقت فى ما لا ينفع . وانما كان ذلك الاديب الملتزم لفكره ونبضات قلبه ، يقتات مما يدر عليه انتاجه ، دون ان يلتجئ فى حياته كلها الى وظيف ، من شأنه ان يعدم

عن رسالته الانسانية . وكثيرة هي الوظائف السامية التي عرضت عليه ، فرفضها ، معتزاً بوظيفة القلم ، التي يراها أسمى الوظائف وأبقاها على الدهر ، حتى أثرى المكتبة العربية بروائعه ونفائسه ، فكتب في جميع الميادين القلمية ، من شعر ، وقصة ، ورواية ، ومسرحية ، ومقالة ، ونقد ، وسيرة ، وترجمت جل أعماله الأدبية الى اللغات الحية ، كما كتب بعض مؤلفاته باللغة الانجليزية ، ككتابه « مرداد » ، الذي يعد حصيلة تفكيره وفلسفته في الحياة ، والكون ، والناس . ورشح لجائزة نوبل عدة مرات .

يعد نعيمه انطلاقة لمدرسة جديدة في الادب العربي الحديث ، منذ اوائل العشرينات اي منذ تأسيس « الرابطة القلمية » في نيويورك ، تلك التي اشتهرت بالمدرسة المهجرية الشمالية ، التي لم يبق من افرادها على قيد الحياة ، الا نعيمه ، بعد وفاة : جبران ، وأبى ماضي ، ووليام كاستفليس ، وندرة حداد ، وعبد المسيح حداد ، ونسيب عريضة .

وها هو ميخائيل نعيمه ، في الخامسة والثمانين ، يجيب صديقه ، بانه ليس في مستطاعه ان يكتب ! فتزدحم في هذه الجملة تلك السنون الكثيرة الطويلة ، وما فيها من صراع ، وذكريات ، وطموح ، وجهود ومجد ، يتف عندها اليوم قلم نعيمه ، ليسجل في آخر صفحتها (نقطة) .

انها نقطة بداية ، وليست نقطة نهاية .



ميجل نيل نعيم  
بكتا - بستان  
١٢ ك ١٩٧٤

## أني كمة

سرتي جدا أن أنهي رسالتك  
بعد انتعاش أخبارك عن مدة طويلة.  
لم يصلني بعد العدد الأول  
من مجلة المناهل التي تشرف أنت  
على تحريرها. وبالبيت كان في مستطاع  
أن ألبس عليك غدا فيك بعضا  
للعدد الثاني منها. إلا أن ذلك  
بات فوق طاقتي وقد جاء من الحقة  
والثاني.

الحقة  
ميجل نيل نعيم

## الأستاذ محمد ابن تاويت "الطنجى" فى ذمة الله

نعت وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية آسفة ، احد الاعلام  
المغاربة الافداد ، البحاثه الذائع الصيت ، الاستاذ محمد ابن تاويت  
( الطنجى ) .

والمرحوم الكبير ، شخصية علم ، ومعرفة ، وبحث ، وتأليف ،  
ادى لعالم الابحاث جهودا مرموقة مشكورة ، حتى باتت هذه الابحاث  
مصدرا أميناً حصيفاً ، يرجع اليه الباحثون العرب ، وغير العرب ، من  
مختلف المستشرقين .

هو صاحب مدرسة فى البحث ، اتسمت بشمولية المصادر ،  
واستيعاب المراجع وتمحيصها بعلم ، ودراية ، مع ذوق ، وصبر ،  
ومعاناة ، وكانت أعماله دائماً مطبوعة بطابع التفرد والتميز .

درس بجامعة القرويين . ثم بكلية الآداب بالقاهرة . اشتغل استاذاً  
بجامعة انقرة ، ثم رئيساً للقسم الثقافى بوزارة الدولة المكلفة بالشؤون  
الاسلامية سنة 1962 .

وعلى سبيل المثال ، نذكر من الكتب التى حققها وعلق عليها :

- التعريف لابن خلدون .
- جذوة المقتبس للامام الحميدى .
- شفاء السائل لابن خلدون .
- اخلاق الوزيرين ( الصاحب ابن عباد ، وابن العميد ) لابي حيان  
التوحيدى .
- كما كان يتوفر على نصوص غير معروفة لمقدمة ابن خلدون ،  
وجملة فصول غير مطبوعة من كتاب فهرسة لابن النديم .

نسأل الله تعالى أن يتغمد برحمته فقيدنا الغالي ، فقيده العلم  
والبحث والتحصيل ، وأن يسكنه فسيح جنانه . وانا لله وانا اليه  
راجعون .

## عيسى الناعوري في المغرب

زار المغرب مؤخراً الكاتب الاردني المعروف ، الاستاذ عيسى  
الناعوري ، زيارة استطلاعية للتعرف على الحركة الفكرية في المغرب ،  
والوقوف على مظاهرها الثقافية والاجتماعية . وخلال اقامته في المغرب ،  
نظمت له وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية ، عدة زيارات لمختلف  
المكتبات المغربية ، وعقدت له اتصالات مع رجال الفكر فيها .

وختم الاستاذ الناعوري ، زيارته لبلاطنا ، بالقاء محاضرة في  
مسرح محمد الخامس ، تحت اشراف وزارة الثقافة ، في موضوع :  
« الآثار العربية في الاندلس - كنوز حضارة ومجد » .

## كتب مغربية صدرت مؤخراً

- « الحياة الفكرية على عهد الدولة المرينية والوطاسية » ( باللفة  
الفرنسية) للدكتور محمد ابن شقرون : مطبعة محمد الخامس - فاس .
- « ملامح من شخصية علال الفاسي » لعبد الكريم غلاب : مطبعة  
الرسالة - الرباط .
- « مع الادب والادباء » لعبد الكريم غلاب : دار الكتاب . الدار

البيضاء ، المغرب .

— « مجموعات قصص بسمة للأطفال » ( تسع حلقات ) :

( 1 ) نشيد مدرسي .

( 2 ) العـش .

( 3 ) على مائدة الطعام .

( 4 ) مونا ليزا .

( 5 ) السمكة المسحورة .

( 6 ) أصـوات .

( 7 ) الصيـاد .

( 8 ) عنكبوتة .

( 9 ) مخلوق . مؤلفها محمد الصباغ : دار الكتاب اللبناني - بيروت .

— « الأشياء المنكسرة » ، شعر لعبد الكريم الطبال : دار النشر  
المغربية - الدار البيضاء .

— « من أدب الدعوة الإسلامية » ، للدكتور عباس الجراري : دار  
الثقافة - الدار البيضاء المغرب .

## ندوة ثقافية بوزارة الثقافة

نظمت وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية بقاعة محاضراتها ،  
ندوة عن المجامع والجامعات العربية ، شارك فيها أعضاء من اللجنة  
الاستشارية لمكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي وهم :

الدكتور ناصر الدين الاسد : المدير المساعد لمنظمة التربية والثقافة والعلوم .

الدكتور شكري فيصل : الاستاذ بجامعة دمشق وامين سر المجمع العلمي بدمشق .

الدكتور محي الدين عبد الرزاق : رئيس مجمع العلمي العراقي .

الدكتور عبد الحليم منتصر : عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

وادار الندوة الدكتور عبد الهادي التازي .

حضر هذا الحفل الثقافي ، السيد وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية ، وبعض الوزراء وسفراء البلاد العربية ، وجمهور غفير من المثقفين والادباء والاساتذة والطلبة . طرحت في هذه الندوة عدة قضايا : تكوين المجمع العربية ، ووحدتها ، وانتاجها ، ودور الجامعات في البلاد العربية ، ومهمة البحث العلمي ، والمصطلحات العلمية والحضارية .

وكانت الندوة مفيدة وناجحة تدخل في مناقشاتها كثير من الحاضرين .

## حفلة تكريمة لأعضاء اللجنة الاستشارية للمكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي

اقام وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية الاستاذ السيد الحاج محمد ابا حنيني ، مائدة عشاء ، تكريماً لأعضاء اللجنة الاستشارية للمكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي، حضره بعض الوزراء ، وبعض رجال السلك الدبلوماسي العربي ، بالإضافة الى مجموعة كبيرة من رجال الادب والفكر .



وبهذه المناسبة القى السيد وزير الثقافة خطابا بليغا ، اثبتنا نصه  
افتتاحا لهذا العدد .

وقد شارك الجوق الاندلسي بنغماته فى هذا الحفل الثقافى  
التكريمى .

## مشاركة وزارة الدولة فى الثقافة فى تأبين السيدة أم كلثوم

اسهاما من وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية ، فى تأبين  
سيدة الغناء العربى ، المرحومة الكبيرة السيدة ام كلثوم ، خصص  
التليفزيون المغربى للوزارة برنامجا عبرت فيه عن عواطفها نحو الراحلة  
الكريمة . املى هذه العاطفة وبثها السيد محمد الصباغ ، عضو ديوان  
السيد وزير الثقافة :

اترئين ؟ ! انت انت تترئين بعبارات الكفن والتابوت ؟ !

وجميع ألواح الدوح عيدان ومزامير ، لم تبقى فيها فسحة لاي  
تابوت لك ، يا من سبكت رثاء الناس فى ضمة تهنئة ، وقطرت الوجع ذوب  
انتخاب فى كؤوس ، وترجمت الدمة الى بسملة ندى فى صباح الورد ،  
وعشية الياسمينة .

الحزن ، انت خطفته من اناله ايام السواد .

الحداد ، انت وثيت اصابعه بلون المهرجان .

الفاجرة ، انت نفيتها من الكوخ ، وسرير المريض ، ودجنة التائه  
المذللهم .

تحضرين ، فيطرب خاطر ، ويخفق هاجس ، ويسمر عيد فى الف ليلة  
وليلة ، فيسكت عن الكلام المباح ، فى حضرتك (( الهرونية )) الفيناء .

وفي غفلتك ، تنبل وردة المجلس ، ويكتهل السام حتى يشيب  
ثاؤبًا .

ويا ايها الصوت المارد ، وقد حطمت نواته ، فانفلق لعبة سحر  
ذبذبات في لهاتك ، تبتدعينا : زئيرا وحفيفا ، نفيرا ونسيما ، قعقمة  
وهينمة ، عويلا ورخاء نجوى ، وابتهاال صلاة .

فالحرب انت ، والسلام انت ، والنار انت بردا وسلاما ، والخمرة  
والهوى ، يا انت ، وترفعين صوتك ، فتنحني الهامات وتنضي في قبضتك .  
اترئين ؟ ! انت انت تترئين بعبارات الكفن والتراب ؟ ! يا ام الحياة  
المكلثمة في سمقة وبهاء الحياة ، من حياتك التي تقبلين عليها ، وانت  
نداوة في عروق من تركتهم من الملايين على قمة الهرم العربي الشاسع ،  
يشهدون بزوغ مولدك وانطلاقه كلما ان رباب ، ورن وتر ، وعندل ايك ،  
وهش وجه بفرحة ، وبشرى .

ففي كل بيت بيت لك مهد مولدك ، وفي كل ناد ناد لك هواتف بحياتك  
وبقائك ، ما بقيت السماء تفرخ الزقزقات ، وما دامت الارض تنفث  
الزقزقات .

والسلام عليك يوم جرت لهوتك بالخارقة ، ويوم صدعت باسرار  
كلثومك الام ، واوان نحتفل بمولدك ، فنستقبلك اليوم في جمع اغانيك .  
ففيابك عنا دقيقة ( وصلة ) ، تحفة حضور ، موصول ، محفور ،  
في اسطوانة حياة ، تديرها ملايين الاصابع .

## المؤتمر الأول لتاريخ المغرب وحضارته بتونس

افتتح بتونس ، في الاسبوع الاخير من شهر دجنبر الماضي ،  
المؤتمر الاول لتاريخ المغرب وحضارته ، حضر اشغاله ثمانون عالما في  
التاريخ من مختلف بلدان المغرب العربي ، وافريقيا ، واوروبا ، قدموا فيه

ما يقرب من ستين بحثا ، فى التاريخ القديم ، والوسيط ، والعصر الحديث .

## الاحتفال بالذكرى الاربعية لوفاة الشابي

اقامت تونس مهرجانا ادبيا كبيرا بمناسبة مرور اربعين سنة على وفاة شاعرها المبدع ابو القاسم الشابي ، استدعى للمشاركة فيه مجموعة من الادباء والشعراء من مختلف البلدان العربية المهتمين بأدب الشابي ، وقد القيت فى هذا المهرجان عدة كلمات ودراسات اتسمت بالجدة ، والكشف عن بعض الجوانب فى حياة الشابي وأدبه لم تدرس من قبل .

## إكتشاف مخطوطات عربية

توجد مجموعة من المخطوطات العربية القيمة يعود تاريخها الى ما قبل 1200 عام ، موجودة حاليا فى سرداب أحد البنوك بمقاطعة ليكتنشتاين الواقعة بين النمسا وسويسرة . وقيل انها تساوي مليون دولار .

وأشارت الصحيفة الى رأي أحد الخبراء ، فى ان هذه المجموعة ، هي أكبر مجموعة لمخطوطات كتبت على ورق البردي تكتشف حتى الان ، ستزود التاريخ الاسلامي بتفاصيل تتعلق بالفترة التي تلت وفاة الرسول « ص » .

وتحتوي المجموعة على ألفي مخطوطة ، منها 400 باللغة العربية ، والباقية كتبت باللغات : اليونانية ، والقبطية ، والنهرية ، والديموطية .

وقد جرت العادة على أن يزيد حجم مخطوطات ورق البردي على

حجم بطاقة البريد لاسباب اقتصادية ، اما هذه المجموعة ، فتضم مخطوطات كبيرة الحجم ، فهناك مخطوطة تحمل قرار احد الخلفاء ، ينصب عامل على احدى الولايات فى القرن الثامن الميلادي ، يبلغ طولها ( 24 ) عقدة ، وعرضها ( 14 ) عقدة .

هذا ، وقد حاولت اسرائيل منع هذه الوثائق القيمة التي كانت موجودة فى القدس المحتلة ، من التسرب الى ليكتنشتاين ، الا انها فشلت فى ذلك .

ويقول احد اساتذة التاريخ الاسلامي ، ان هذه المخطوطات ، ستساعد على توفير معلومات قيمة ، تتعلق بادارة الشؤون المالية ، اثناء الحكم ودراسة الاسعار ، وكيفية فرض الضرائب ومعاملة الاقليات ، ويرى هذا الاستاذ ان الامبراطورية الاسلامية ، قد ضعفت بسبب اخطاء اقتصادية ارتكبتها .

كما يقول استاذ آخر ، انه من المؤسف ، ان تبقى هذه المخطوطات مخزونة ، ويجب اخراجها فورا ، والاستفادة منها ، اذ ان قيمتها التاريخية لا تقدر .

## كتب التراث العربي

من كتب التراث التي صدرت حديثا :

( 1 ) شرح القصائد التسع المشهورات ، صنعة ابي جعفر احمد بن محمد النحاسي المتوفى 338 هـ ، تحقيق الاستاذ احمد الخطاب ، صدر الكتاب فى جزئين ، بلغ عدد صفحاته ، 894 صفحة نشر مديرية الثقافة العامة بوزارة الاعلام العراقية ، والكتاب رقم 23 من سلسلة كتب التراث .

( 2 ) كتاب الاصول فى النحو ، لابي بكر بن السراج النحوي البغدادي ، المتوفى 316 هـ ، تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي ، وقد ساعد على طبعه المجمع العلمي العراقي ، وطبع بمطبعة النعمان بالنجف الاشرف سنة 1973 الجزء الاول فى 544 صفحة .

( 3 ) الانصاف فى التنبيه على الاسباب التي اوجبت الاختلاف بين المسلمين فى آرائهم ، لابن السيد البطليوسي ، تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية الاستاذ المساعد بجامعة دمشق ، طبع دار الفكر - دمشق 1974 .

( 4 ) الرصف لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من الفعل والوصف ، تأليف محمد بن محمد بن عبد الله العاقولي المتوفى سنة 797 هـ ، تحقيق لجنة من العلماء الافاضل ، طبع فى دمشق سنة 1973 ، وصدر الجزء الاول فى 632 صفحة .

( 5 ) فهرس المخطوطات العربية ، فى مكتبة الاوقاف العامة ببغداد ، الجزء الثاني ويضم كتب علم اصول الفقه والميراث والتصوف والعقائد والحكمة والفرق الاسلامية ، ويقع فى 655 صفحة ، منشورات رئاسة ديوان الاوقاف ، طبع مطبعة الارشاد ببغداد سنة 1974 .

( 6 ) التسهيل لعلوم التنزيل ، لابن جزي الكلبي الفرناطي ، تحقيق الاستاذين محمد عبد المنعم اليونسي ، وابراهيم عطوة عوض ، صدر فى اربعة اجزاء عن دار الكتب الحديثة بالقاهرة .

من الكتب التي تحت الطبع :

( 1 ) كتاب التقفية للبندنجي ، وهو معجم من اقدم المعاجم اللغوية ، تحقيق الدكتور خليل ابراهيم العطية الاستاذ المساعد فى كلية الآداب بجامعة البصرة .



- ( 2 ) عقيدة عدي بن مسافر ، تحقيق الاستاذين : ابراهيم النعمة ،  
ومحمد علي الياس العدواني .
- ( 3 ) ربيع الابرار ، للزمخشري ، تحقيق الدكتور سليم النعيمي .  
وقد تقرر طبع هذه الكتب الثلاثة في سلسلة احياء التراث الاسلامي  
التي تصدرها رئاسة ديوان الاوقاف ببغداد .
- ( 4 ) شرح مشكلة ديوان المتنبي ، لابن سيده الاندلسي .
- ( 5 ) ديوان ابن الجياب الغرناطي الاندلسي ، ويقوم بتحقيقهما الدكتور  
محمد رضوان الداية استاذ الادب المساعد بكلية الآداب بجامعة  
دمشق

## الاحتفال بالذكرى الألفية للفارابي

يعتبر الفارابي صاحب « المدينة الفاضلة » من عمالقة الفكر الاسلامي  
الذين استقطبوا اهتمام عدد كبير من الباحثين العرب وغير العرب ، فقد  
لفت عن منهجيته الفكرية كتب كثيرة بالعربية ، واهتم المستشرقون به  
اهتماما متزايدا ، حتى اطلق عليه لقب « المعلم الثاني » .

الف الفارابي مبادئ « المدينة الفاضلة » ، طبع لأول مرة سنة  
1895 ، وتسعة كتب في الرياضيات ، والنجوم ، والكيمياء ، والموسيقى ،  
وتسعة مؤلفات أخرى في موضوعات مختلفة ، بالإضافة الى مؤلفاته في  
احصاء العلوم ، والسياسة المدنية . وقد توفي عام 331 هـ .

وبمناسبة مرور ألف سنة على وفاته ، يقيم العراق مهرجانا ادبيا حافلا .

وقد تكلفت لجنة تضم فريقا من اهل الفكر والادب العراقيين ، بالاعداد لهذا الاحتفال الذي سيقام في بغداد ، في شهر اكتوبر 1975 ، سيدعى اليه علماء ومفكرون من البلاد العربية ، وغيرها من الاقطار .

## الذكرى المئوية لولادة أمين الريحاني

بمناسبة مرور مائة عام على ولادة فيلسوف الفريكة - أمين الريحاني، ينظم في بيروت خلال سنة 1976 ، مهرجان ادبي تحضره شخصيات من رجال القلم في البلاد العربية ، وستجمع جميع اعماله الفكرية ، وتطبع في مجلد واحد .

المناسبات

## الفهرس

صفحة	
7 -	افتتاحية .....
15 -	أحمد بن شعيب الجزائى .....
34 -	السدر والسائج .....
42 -	عروض الموشج .....
59 -	يا الف ابن زيدون .....
65 -	مع ابن بطوطة - من البحر الاسود الى نهر جيحون .....
97 -	جبل الشيخ ( شعر ) .....
103 -	نشأة الادب العربى فى المغرب : ظروفها ومظاهرها .....
139 -	دنيى يا دنيى ( قصة ) .....
155 -	بين انصار الورد وخصومه .....
180 -	وامتصمها .. ( شعر ) .....
185 -	أبو الوليد ابن زيدون .....
191 -	حلم بالصحراء ( شعر ) .....
196 -	الكناشات المغربية ودورها فى الكشف عن الدلائل التاريخية .....
233 -	قرتسى فى الربيع ( شعر ) .....
236 -	أضواء على حياة الحسن بن محمد الوزان .....
287 -	بـــــــــــــراء ( شعر ) .....
292 -	حول انتحار العلماء المختصين فى الانتحار .....
297 -	فديكو كرتيا لوركا ( شعر ) .....
302 -	أبو حيان ناقد تخريجات قراءات الزمخشري .....
310 -	سمعتها ( شعر ) .....
313 -	النظام الضربى المغربى بين الماضى والحاضر .....
324 -	ابن سيده المرسى - 2 - .....
334 -	ذيل وتعليق حول قضية المتمدن بن عباد - 2 - .....
	فى مكتبة المناهل :
353 -	الشعر الوطنى المغربى .....
363 -	من ادب الدعوة الاسلامية .....
367 -	الحياة الفكرية على عهد الدولة المرينية والوطاسية .....
371 -	الاعلام الثقافى .....
	وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية أحمد أبا حنى عبد الله كنون محمد العربى الخطاى محمد الفاسى محمد الصباغ د. عبد الهادى التازى د. ندير المظنة د. عباس الجرارى عبد المجيد ابن جلون مصطفى القصرى علي الصقلي حببة البورقادية أبو بكر اللتونى محمد المنونى عيسى الناعورى د. شوقي عطا الله الجمل عمر بهاء الدين الاميرى د. رشدي فكار ترجمة « المناهل » د. الراجى التهامى الهائى أحمد عبد السلام البقالى د. ابراهيم دسوقي أباطة د. داريو كابانيلاس رودريكس ترجمة وتعليق : حسن الوراكلى عبد الرحمان الفاسى د. عباس الجرارى حببة البورقادية